التسجيل الدولي ISSN 2305-591X

مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية

٧٧

Yanabee'a
ينابيع

مَجلّةٌ ثقافيّةٌ تُعنى بِنَشرِ فِكرِ أَهْلِ البَيْت عليهم السلام / السَّنة ١٤ / العَدَد ٧٧ ذو العقدة- ذو الحجة ١٤٣٨هـ/ آب - ايلول/ ٢٠١٧ م

ينابيع ٧٧

مجلة ثقافية تعنى بنشر فكر أهل البيت عليهم السلام

تصدر كل شهرين عن

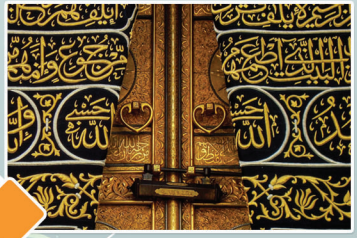

مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية

1Z30959

المشرف العام

السيد عبد الحسين القاضي

رئيس التحرير

الحاج فلاح حسن علي العلي

مدير التحرير

حيدر الجد

سكرتير التحرير

حسين جودي الجبوري

التدقيق ومراجعة النصوص

سعد فخر الدين

التصميم والإخراج الفني

وسام مسلم المظفر

مسلم شاكر مالك

التنضيد الإلكتروني

ميثم عبد علي الزاملي

العراق ـ النجف الاشرف ـ حي السعد

العنوان الإلكتروني: www.Yanabee.org

البريد الإلكتروني: Yanabee_Mag@Ymail.com

ص.ب (٥٥٠) **موبايل:** ٠٧٨٠٣١٧١٥٠٥

أسعار المجلة: العراق ١٠٠٠ دينار. الكويت ٣٥٠ فلساً. الأردن ٧٥٠ فلساً. المملكة العربية السعودية ٣ ر.س. سوريا ٧٥ ل.س. وباقي الدول ١,٥ دولار أو ما يعادله.

قيمة الاشتراك السنوي لستة أعداد: في العراق للمؤسسات ١٢٠٠٠ دينار وللأفراد ٨٠٠٠ دينار وخارج العراق ١٠ دولار أو ما يعادلها.

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٨٨٠ لسنة ٢٠٠٦

مسجلة في نقابة الصحفيين العراقيين برقم ١٣٩ في ١٦/ ١١/ ٢٠٠٥م

- المقالات تعبّر عن رأي أصحابها.
- يخضع ترتيب المقالات إلى ضوابط فنية.
- لا تعاد المقالات إلى أصحابها سواء أنشرت أم لم تنشر.

قصيدة
في الإمام الرضا عليه السلام

يمِّم خراسان

الشيخ جعفر الهلالي

يمِّم خراسان واقصد ظِلَّها الرحبا ... وانشد بها من قريض الشعر ما عذبا
وحيّها تُربةً تسمو بروعتها ... فها هنا المجدُ صرحٌ ينطحُ الشُّهبا
مجدٌ له في سما العلياء مؤتلقٌ ... لا زال يخترقُ الأجيالَ والحُقبا
مجدٌ تهاوى له الأملاك ساجدةً ... مِن قبلِ ألفٍ ولم تعدل به سببا
مجد (الرِضا) مَنْ على هام الزمانِ لهُ ... تاجٌ، فسبحان من أعطى ومن وهبا
سِبطُ النبيّ وفرعٌ مِن أرومتِهِ ... قد شرَّفَ اللهُ فيهِ العُجمَ والعَربا
مُنزّهٌ عن صفاتِ النقصِ طاهرةٌ ... منه الثياب تسامى عِزّةً وإبا
مِنْ معشرٍ هم لهذا الخَلق سادتُهُ ... مَنْ حُبّهم في كتابِ اللهِ قد وجبا
آلُ الرسولِ وهل تُحصى مناقبهم ... عدًّا، وهل يبلغ المعشارَ مَنْ كتبا
حارَ الأنام فأفكار الحصيف بها ... تاهت وردَّت على أعقابها نكَبا

وهل يحيط بماء البحرَ من غَرَفت ... كـفّـاه والـبَـحـرُ زخّـار ومـا نضبا
مـاذا يقول أخـو الأشـعـار في بشرٍ ... جَلّوا عن المدح حتّى أخرسوا الخُطبا
سِـرُّ الـوجـود فـلـولاهـم لما برأ ... الله الخلائق لا شمسًا ولا قُطبا
كانوا الـبـدورَ بعرشِ الله مُحْدِقةً ... أنوارهم تكشفُ الظلماءَ والحُجبا
مـن قـبـل آدم لـلـبـاري تُـسـبِّـحُـهُ ... حـتّـى تَـحـوَّل فيه الـنـور والتَهَبا
وحين تسجد أمـلاك الـسـمـاءِ لَـهُ ... كانوا هم السببَ المنشودَ مطَّلبا
هـذا الفخار فأين المدَّعي كذِباً ... وهـل يُـسـوّى بـرأس أبـتـرًا ذنبا
آلُ الـنـبـيّ وأبـنـاء الـوصـيّ فقد ... طـابـوا بـذلـك أُمًّـا بـرَّةً وأبـا

* * * * * * * * * * * * * *

(أبـا الـجـواد) وحَسبي أن أبثّكها ... عواطف الحبِّ لا زورًا ولا كذِبا
نهلتُها فـزكـت روحـي بخالصها ... دَرًّا زكـيًّـا طـهـورًا صـافـيًـا رطِبا
في يـوم ميلادك الأسمى أُرَدِّدُهـا ... على المسامع تجلو الهمَّ والتَّعبا
يـومٌ طلعتَ على الدنيا فـراح بهِ ... يزهو الوجود وأبـدى ثوبَه القَشِبا
يوم (لِتُكتَمَ) حيث الفضل تكسِبُه ... وفي سباق المعالي تُحرِزُ القَصَبا
و (الكاظم) الغيظ يُحيي ذِكرَهُ خَلَفٌ ... صـبّ الإمـامـة يـتـلـوه بـهـا عقبا
أكـبـرتُـه علماً تُـهـدى النفوس به ... إلـى الحقيقة نهجًا مشرقًا لحبا

* * * * * * * * * * * * * *

يـا مَـن غـدَوتَ مِـن الـبـاري بقِيّته ... على العباد يزيل الـشَّـكَّ والرِّيَبا
ويـا إمـامًـا تـحـدّى فـي إمـامـتِـه ... أهـل الضلال وقـد رامـوا بها شَغَبا
فـ (الـواقـفـيّـة) أغرتها مطامعها ... غـداة راحـت تَحيكُ الـزور مُكتسبا
قـد أنـكـرت لأبـيـك الطهرَ موتَته ... صـوّرت أنّـه قـد غـاب واحتجبا
وتلكم الطعنة النجلاء كـاد بها ... ركـنُ الإمـامـة أن ينهدَّ مُنشَعِبا
فرحتَ تبطل ما حاكوا وما برموا ... بثاقب مِـن دليل الـحـقّ قـد لَهَبا

حتّى شمختَ وقد هُدَّت مطامعهم ... وزُيِّفوا وتلاشوا بعد ذاك هبا
سبحانَ ربّك لم يترك شريعتَه ... نَهباً فأعطاك منه النَّصرَ والغَلَبا

* * * * * * * * * * * * * *

يا مَن به الدين قد ألفي دَعائِمَه ... مصانةً حيثُ كنتَ الدرعَ واليَلبا
شَيَّدته بعظيم الفكر تنشره ... رعباً هزمت به للكفر ما جَلَبا
قارعتها حُجَجاً وافى بها نفرٌ ... مِن كلِّ طائفة قد أجلبت عُصَبا
ولا غرابةَ يا بن الأكرمين إذا ... لاحت خِلالكَ في دنيا الهدى شُهُبا
فأنتَ للعلم والعرفان وارثُه ... مِن أحمد فاض كالبركان وانسكبا
حتّى عدوُّكَ لم تبخل عليه بما ... وضعتَ مِن منهج للطبِّ قد نُسِبا
ورحتَ ترشِده عن نقضِ بَيعتِه ... في شكلها فأعاد الأمرَ واضطربا
قد رام خَفضَ مقام أنتَ صاحبُه ... فكان كالوعل أدمى قِرنَه فنبا
يريد إطفاء نور الله في صَلَف ... والله يأبى سوى ما خَطَّ أو كتبا

* * * * * * * * * * * * * *

أين الصُّروح بني العباس هل بقيت ... آثارها حينَ ضجّت منكمُ صَخَبا
أين الجمور وقد كانت مُعتَّقةً ... تجلى الكؤوس بها صِرفاً لمن شربا
أين المزامير والقينات تَصحبُها ... تحيي الليالي بها مجنونةً طَرَبا
أين الذي وسع الدنيا بما غنِمت ... يُجبى الخراج له ما أمطرت سُحُبا
وأينَ من كاد يبغي في حَبائله ... غدرَ الرضا مُذ له مِن داره جَلَبا
فلا الرشيد له ملك يخلّده ... ولا بقي لابنه المأمون ما طَلَبا
وقبلهم في الورى كانوا فراعنةً ... طواهم الدهر لا مجداً ولا حَسبا
وذاك (موسى) وبردُ الخُلدِ جلَّله ... وذا (عليّ) تسامى عِزُّه قببا
فبالتُّقى هذه الآثار واضحة ... أعلامها للهداة السادةِ النُّجبا
على الطريق مصابيح مُنَوَّرةٌ ... ما خاب مَن بهم استهدى وما نكبا

أهم المواضيع

خلود الغدير في القرآن الكريم
أ.م.د مرتضى عبد النبي الشاوي

القرآنيات
ص (١٠)

مع الفقيه
ص (٧٢)

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله)

الترغيب الحسّي في حياة البرزخ
محسن عبد العظيم هادي الخاقاني

آمن الرسول
ص (٢٦)

في النفس والمجتمع
ص (٧٦)

التربية والتعليم في الإسلام
محمد دعيبل

الأبعاد المعنوية للحج الإبراهيمي
الباحثة ندى شاكر

ملف العدد
ص (٥٢)

للفضيلة نجومها
ص(١١٠)

مرويات أبي حمزةالثمالي
الباحثة لينا أمير عبد الحسين الحريزي

زهد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام
د.أحمد جاسم مسلم الخيال

إضاءات السيرة
ص (٦٧)

واحة الأدب
ص (١٣٨)

آليات الحجاج اللغوية في رسائل الإمام الحسن عليه السلام. د. عبد الإله العرداوي

كلمة العدد

المرجعية الدينية .. ودورها في الإصلاح !

رئيس التحرير..... ٨

قرآنيات

خلود الغدير في القرآن الكريم

أ.م.د مرتضى عبد البني الشاوي ١٠

الدلالة الصوتية في سورة الواقعة

الباحثة ميساء حسن علي ١٦

العدول القرآني في الضمائر

م.م فرقان الدباغ ٢١

أمن الرسول

الترغيب الحسّي في حياة البرزخ

محسن عبد العظيم هادي الخاقاني ٢٦

ملف العدد (الحج)

نافذة على الحج قراءة في آداب الحج وأسراره

الشيخ ليث العتابي..... ٣٢

الإحرام ... مواقيته وآدابه

محمد علي جعفر ٣٨

آية الطواف بين الصفا والمروة (دراسة تحليلية)

أ.م.د. عادل عباس النصراوي ٤٦

الأبعاد المعنوية للحج الإبراهيمي

الباحثة ندى شاكر ٥٢

المثلث اللغوي لمفردة (الحج) ترادفا واشتراكا

د. عبد علي حسن ناعور الجاسمي ٥٨

من دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام في يوم عرفه

هيئة التحرير ٦٣

إضاءات السيرة

زهد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

د. أحمد جاسم مسلم الخيّال..... ٦٧

مع الفقيه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى

سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله)..... ٧٢

في النفس والمجتمع

التربية والتعليم في الإسلام

محمد دعبيل..... ٧٦

الإنسان بين شكر النعم الإلهية وجحودها

ايلاف عبد العزيز الصافي ٨٤

للفضيلة نجومها

مرويات أبي حمزة الثمالي في تفاسير مدرسة أهل البيت عليهم السلام

الباحثة لينا أمير عبد الحسين ٩٨

طروحات عامة

نسبية الزمن بدليل القرآن الكريم

د. فيصل علي البصام..... ١٠٤

موقف أهل البيت عليهم السلام وعلماء الامامية من الغلو والمغالين

الباحث: سامر محمد رشاد ١١٠

واحة الأدب

آليات الحجاج اللغوية في رسائل الإمام الحسن عليه السلام

د. عبد الإله العرداوي ١١٦

الغدير في الشعر العربي

الباحثة سرى عبد الرؤوف عرار ١٢١

القصة القصيرة: ورزقكم في السماء

كمال السيد ١٢٧

حكاية مستبصر..... ٩٠

في الذاكرة..... ٩٢

وقفة مع الذكرى:..... ٨٦

المرجعية الدينية .. ودورها في الإصلاح!

بقلم : رئيس التحرير

لا يخفى على كل ذي لبٍّ وأدنى بصيرة الدور الريادي الذي نهضت به المرجعية الدينية الرشيدة في الأحداث التي تلت عام ٢٠٠٣م، ولسنا بصدد استعراض ما بذلته لإخماد نار الفتن الطائفية التي لو قدر لها الاستعار لالتهمت الأخضر واليابس، ناهيك عن حضورها إلى جانب أبناء الشعب في جميع المنعطفات المصيرية المرتبطة بتلك الأحداث، بدءًا من كتابة الدستور ومرورًا بالحث على المشاركة في العملية السياسية، وليس انتهاءً بالانتخابات التشريعية، لكننا هنا في مقام التذكير بذلك الدور الفاعل، لعل الذكرى تنفع المؤمنين.

إثْرَ الملاحم البطولية الرائعة التي سطرتها قواتنا الباسلة بتضحياتها، استجابة لنداء المرجعية الرشيدة ودعوتها إلى الدفاع عن الوطن والمقدسات، والتي قبرت فيها مخططات الدوائر الاستخبارية الدولية والإقليمية، وفضحت عملاءها الذين كانوا يتربصون بأرض العراق وشعبه ومقدساته الدوائر، وهزمتهم شر هزيمة، كان لابد لهؤلاء المهزومين - حسب المتوقع- من الانتقام من المرجعية وجماهيرها المسترشدة بتوجيهاتها، بتوسُّل شتى الوسائل البائسة، من قبيل ربط مَلف الفساد المتفشي في البلد مثلًا، بصمت المرجعية المزعوم عنه، وتهاونها في ردعه، داعين إلى انتفاضة جماهيرية أو ثورة تقودها المرجعية بنفسها لإسقاط الفاسدين والحكومة معهم، تأسيًا بما كان يقوم به أمير المؤمنين عليه السلام من عزل لولاته الفاسدين.

ولبيان دور المرجعية في مواجهة الفساد والمفسدين لابد لنا من الإضاءة بهذا الخصوص بشكل مختزل:

أولاً: دور المرجع

يضطلع المرجع بدور إرشاد الأمة وتوعيتها وتحذيرها في غياب المعصوم عليه السلام، فقد ورد عنه عليه السلام: (وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم) (رواه المفيد في الفصول العشرة:١٠).

وقد يلتبس على البعض هذا العنوان العام لمرجع الدين فيحمّلونَهُ مالا يحتمل من تبعات عدم التزام الآخرين بإرشاداته وتوجيهاته في خضم الأحداث التي تمر بها الأمة، فغالوا في تصوراتهم حتى باتوا يُحَمِّلون المرجع مسؤولية تردي الأوضاع وانتشار الفساد في كل مفاصل الدولة..

ثانيًا: النبي صلى الله عليه وآله وسيطرته على هداية الأمة:

قال الله تعالى مخاطبًا نبيَّه الأكرم: (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ)(الرعد:٧)

وفي آية أخرى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ)(المائدة:٦٧)

وفي آية ثالثة: (إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ)(الغاشية:٢١- ٢٢)

إذن فالنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله منذرٌ ومذكّرٌ ومبلّغٌ للعباد، ليس له سيطرة عليهم إن أبَوْا الهداية والانصياع لأوامره، فمهامه تبليغية توعوية، وحسابهم عند ربهم. (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا).

وحتى عندما حضرته الوفاة ﷺ وأراد أن يكتب للأمة وصيته لكي لا يضلوا بعده، أبَوْا ذلك فأعرض عن كتابتها .. إذ لا سيطرة له عليهم، اللهم إلا دعوتهم وإنذارهم وتبليغهم: (لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ)(الأنفال:٤٢).

ثالثًا: سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام:

وهذه سيرة أئمتنا عليهم السلام ابتداءً من أمير المؤمنين عليه السلام وانتهاءً بالحجة المنتظر(عج) في غيبته، كانت مكرسة للتبليغ والدعوة وتوعية الأمة وتعريفها بدينها، وكشف البدع والانحرافات، والتحذير من الوقوع فيها، من دون فرض ذلك عليها.

فقد صبر أمير المؤمنين عليه السلام خمساً وثلاثين سنة بعد وفاة النبي ﷺرغم اغتصابهم حقه في الخلافة، استشرى خلالها الفساد والانحراف في المجتمع، وأصبح عباد الله خولاً وأمواله دولاً، فلم يشهر سيفًا ولم يعلن حربًا، ولكنه بقي يمارس دوره المرسوم له في التذكير والتبليغ وبيان الحق من الباطل.

نعم، حين آل إليه الأمر وتسلم الخلافة ـ غير راغب فيها ـ...صار يثبّت أركان دولته وحماية الرعية التي في عهدته.. فخاض حروبه خلال فترة خلافته فقط. والبالغة أربع سنوات ونيّف.. وبدّل الولاة الفاسدين بآخرين صالحين، ووزع الأموال على الرعية بالسوية، وحكم بالعدل والإحسان، ومارس دوره كحاكم عادل للبلاد، وسائسًا رحيمًا للعباد.

وكذلك الإمام الحسن عليه السلام بعد استشهاد أبيه أمير المؤمنين عليه السلام ومبايعته للخلافة، لبس لامة حربه واستعد للقتال، ولكن بعد إبرام الهدنة مع معاوية رجع إلى المدينة المنورة ممارسًا دوره كإمام في التبليغ والتذكير والتوعية...

وبعده سار شقيقه سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام قبل أن يهمُّوا بقتله ولو تعلّقَ بأستار الكعبة، معبِّرًا عليه السلام بقوله: (لو تُركَ القطا لنام)، فصار لزامًا عليه - والأمر كذلك- أن يقدّم نفسه وأهل بيته وخيرة الأصحاب قرابين للحفاظ على بيضة الإسلام، بعد أن تجاوز الانحراف كلَّ الحدود، وصارَ الكلامُ وحده غيرَ كاف لتنبيه الأمة من رقدتها وإيقاظها من سباتها وإرجاعها إلى رُشدها وهداها.. نعم، قدّم نفسه ولم يفرض على أحد ذلك، بل ترك لهم الخيار بقوله: (من كان فينا باذلاً مهجته، مُوَطِّنًا على لقاء اللّه نفسَهُ، فليرحل معنا).

وقد أعقبه الأئمة التسعة من ذريته عليهم السلام مبلغين ومنذرين وهادين للأمة من دون إكراهها على فعل ما.

وها هي المرجعية تسير على خطى الأئمة المعصومين عليهم السلام فتصدر بياناتها وتوجيهاتها للأمة، مذكِّرةً ومحذرةً، ومرشدة إلى الطريق الذي تراه آمنًا، إبراءً لذمتها وتجليةً لموقفها الشرعي النابع من رؤيتها وفهمها للواقع، فمن كان مطيعًا لها حقًّا، وتواقًا للتحرر من الفاسدين والمفسدين، واستبدال الذي هو خيرٌ بالذي هو أدنى، كما نادت بذلك المرجعية (وقد بح صوتها من النداء)، فالطريق سالك نحو التغيير(إِنَّ اللّه لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) (الرعد:١١)، لا أن يرددوا بلا تأمُّل أو تدبر، ما يبثه أعداء الأمة في أوساط البسطاء، من توهين للمرجعية ولدورها الريادي في توجيه الأمة الوجهة الصحيحة.

هدانا اللّه وإياكم لما فيه الصلاح والإصلاح، وعجل اللّه فرج وليِّنا وإمامنا الحجة (عج) حتى لا يظفرَ بشيءٍ من الباطلِ إلا مزقه ويُحِقَّ الحَقَّ ويحققه.

خلود الغدير في القرآن الكريم

أ . م . د . مرتضى عبد النبي الشاوي
كلية التربية القرنة / جامعة البصرة

بداية إنّ من لطف الله سبحانه وتعالى في عباده إرسال الأنبياء ومن بعدهم الأئمة الأطهار بهدايتهم نحو الطريق الصحيح، وقد جعل عدة وسائل لمعرفتهم، منها الإعجاز، ومنها كذلك تصديق المعصوم السابق بالمعصوم اللاحق والاشارة اليه بأمر من الله تعالى.

وهذا ما حصل مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حيث قام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالإشارة إليه من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المشيرة إلى إمامته.

وقد حصل كل هذا في مناسبة عظيمة وهي واقعة الغدير حيث كانت بداية الإمامة.

حديث الغدير:

نقل الرواة حديث الغدير بأساليب مختلفة، ولكنها جميعًا تتفق في مؤداه، وننقل هنا ما رواه العلامة الأميني بشيء من الاختصار: (فلما قضى ـ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ مناسكه وانصرف راجعًا إلى المدينة ومعه من كان من ـ المسلمين من كل الأمصار ـ وصل إلى غدير خم من الجحفة، نزل إليه جبرئيل الأمين عن الله وأمره أن يقيم

عليًا علمًا للناس ويبلغهم ما نزل فيه من الولاية وفرض الطاعة على كل أحد، ـ ثم خطب خطبة في ذلك اليوم أسمع فيها جميع من حضرـ ثم أخذ بيد علي فرفعها حتى رؤي بياض آباطهما وعرفهُ القوم أجمعون، فقال: أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: اللّه ورسوله أعلم، قال: إن اللّه مولاي وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعلي مولاه، يقولها ثلاث مرات، ثم قال: اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وأحبَّ منَ أحبه، وأبغض مَن أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا فليبلغ الشاهد الغايب)[1].

وبما أن هذه الواقعة وقعت منذ زمن بعيد إلّا أنها حصلت على سر الخلود عن طريق القرآن الكريم.

وبهذا نجد أنّ أهمية هذه الواقعة تنبعث من أهمية مسألة الإمامة، حيث ألهم اللّه سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم عن طريق الوحي إعلان إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، وذلك انّ الطبيعة الإنسانية تقتضي الاجتماع بالإلهام الإلهي[2] وتعتقد به.

وعلى اعتبار أنّ الإمامة شيء عظيم وتعني: أنّ النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم قد نصب نائباً ينوب عنه في هداية الناس وشؤونهم يسمى الإمام[3].

وقيل إنّ الإمامة هي (رئاسة عامة)، أو هي (رئاسة في أمور الدين والدنيا)[4].

وهذا التعريف يتفق مع ما قاله علماء اللغة في معنى كلمة (مولاه) الواردة في حديث الغدير الآنف الذكر، والتي تعني: السيد غير المالك، المعتق أو الأمير والسلطان[5] أو المترف في شؤون العباد ....الخ، وبهذا يتضح أنّ الإمامة لطف إلهي[6].

وتنبع أهمية الغدير من كونها واقعة مثالية لإعلان منصب عمود الدين وحبل اللّه المتين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

إن القرآن الكريم هو كلام اللّه تعالى وهو الوحي الإلهي المنزل على لسان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيه تبيان كل شيء وقد احتوى على حقائق ومعارف عالية[7].

ولم يكن القصد من نزوله تعليم الأحكام والشرائع فقط، وإنّما كان لنزوله سبب آخر وهو الإشارة والدلالة على الهداة والمعصومين الذين اختارهم اللّه تعالى.

فالقرآن تكفل بالكشف عن الأحداث التاريخية والوقائع التي كانت من دواعي نزول النص القرآني[8]. لذلك كانت الآيات المنزلة فيه آيات ثابتة، ذلك أنّ القرآن لا يعترضه التبديل والتغيير والتحريف[9].

ولهذا نجد أنّ كل ما ذكر فيه ثابت وخالد ولا يحرف، ومن ذلك الآيات التي نصت على تنصيب الإمام علي عليه السلام، فكان الأساس الذي اعتمدت عليه واقعة الغدير هو القرآن الكريم.

قال تعالى : (**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**) (المائدة : ٦٧).

إن هذه الآية عظيمة جداً، حيث احتوت على التفاتات رائعة للدلالة على عظمة يوم الغدير ومنها:

فكلمة (بَلِّغْ) جاءت بأسلوب الطلب (الأمر)، أي يا محمد عليك تبليغ ذلك من

حيث أن الرسول ﷺ لم يقصر يومًا في الرسالة، وبذل الغالي والنفيس في سبيل إعلاء كلمة الحق وإيصال الرسالة إلى كل بقعة من بقاع الأرض.

إلّا أن هذه الكلمة جاءت من أجل التنبيه وإظهار عظمة ما يبلغ به النبي ﷺ بعد قليل وكيف أن الحاضرين والسامعين في تلك الفترة يعلمون أن النبي ﷺ هو مبلغ الأمة ولا ينطق عن الهوى، ولكن رغم ذلك فإن بعضهم لم يقبل بما يقوله النبي ألا وهو ولاية علي بن أبي طالب، لذلك جاء الطلب بأسلوب مباشر[١٠].

أي: يا محمد بلغ ما أنزل إليك في فضل علي بن أبي طالب[١١].

ذلك أن أولى الناس بأمر هذه الأمة قديمًا وحديثًا أقربها من رسول الله ﷺ وأعلمها بالكتاب وأفقهها في الدين وأولها إسلاماً وأفضلها جهاداً وأشدها بما تحمله الأمة من أمر الأمة اضطلاعا[١٢].

ثم جاء القول: (**وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**)، فالرسول الكريم قضى عمره الشريف في تبليغ الدعوة الإسلامية إلّا أن كل ذلك متوقف عند الله على تبليغ هذا الخبر وهو ولاية علي عليه السلام. فهل من المعقول أن لا يبلغه الرسول؟

ثم قال: (**وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**) أي يحفظك منهم لأنَ بعضهم لم يقبل بولاية أمير العدالة والعدل خوفاً على مصالحه.

وبعد ذلك ذكر (**إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**) أي أن الله تعالى لا يهدي من لم يقبل بولاية علي في ذلك اليوم ويبقى يتخبط في الضلال.

وبهذا كانت هذه الآية خير دليل على تنصيب الإمام علي عليه السلام والذي يعني: تعيين الخليفة الإسلامي بنص إلهي بعد الرسول الكريم ﷺ[١٣].

وهذا ما حصل في ذلك اليوم الذي كان دليلًا على أن إمامة علي عليه السلام اختيار سماوي لم يتدخل به أهل الأرض.

وعلى الرغم من كثرة الإشارات والدلائل في هذه الآية على ولاية علي عليه السلام إلّا أن كثيراً من الناس من لم يرض بالقول بإمامته عليه السلام في حين أنهم لم يعترضوا من قبل على أي مسألة بلغ بها النبي ﷺ [١٤].

قال تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)(المائدة:٣).

أجمع مفسرو الشيعة على أن هذه الآية نزلت في يوم الغدير، حيث تمّ إكمال الدين بمجرد إعلان ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وياله من إكمال رائع ونعمة تامة فيقول: أكملت لكم دينكم، أي: أحكامه وفروضه، وأتممت النعمة ورضيت لكم الإسلام ديناً[١٥]، وعمود هذا الدين هو أمير المؤمنين عليه السلام.

فشاع ذلك الخبر في البلاد حتى وصل الحارث بن النعمان الفهري فأتى للرسول ﷺ على ناقة حمراء إلى أن وصل إلى الرسول ﷺ وقال له: يا محمد أمرتنا أن نصلي فقبلنا منك، وأمرتنا بالزكاة والحج فقبلنا، ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك ففضلته علينا وقلت: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، فهذا شيء منك أم من الله؟

فقال الرسول ﷺ: والله الذي لا إله إلا هو أنه من الله.

فولى الحارث وقال: اللهم إن كان ما

يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء، فما وصل إلى رحله حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره، ونزلت هذه الآية الكريمة: (**سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ**)(المعارج:١-٢).

قال تعالى: (**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**)(المائدة:٥٥).

الشاهد من هذه الآية لفظة (وليكم) التي ترمز للولاية فالله تعالى يقول: إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ (وَالَّذِينَ آمَنُوا) والمقصود من الذين آمنوا هو علي بن أبي طالب عليه السلام حيث نزلت هذه الآية بحقه عندما سأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد، فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللهم اشهد أني سألت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يعطني أحد شيئاً. وكان علي عليه السلام راكعاً فأومأ بخنصره الأيمن وكان يتختم فيه فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره، وقد شهد النبي صلى الله عليه وآله ذلك بعينه فرفع يده للسماء، وقال:

اللهم أشرح صدري ويسر لي أمري وأجعلي لي وزيراً من أهلي أشدد به ظهري. فنزل جبرئيل عليه السلام، بقوله تعالى: (**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا....**)[١٦].

قال تعالى: (**وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا**)(الزخرف:٤٥).

فجاء في تفسير هذه الآية أن ملك الوحي جاء للرسول محمد صلى الله عليه وآله، فقال: (اسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا على ما بُعثوا؟ قال الرسول: على ما بعثوا؟ فقال الملك: على ولايتك وولاية علي بن أبي طالب)[١٧].

والمقصود هنا بـ (من أرسلنا) هم مؤمنو الكتاب[١٨].

الاقتباس في القرآن الكريم ودوره في اثبات ولاية أمير المؤمنين عليه السلام:

إن القرآن الكريم كان وما زال يضم خزائن الله العظيمة التي يراها العلماء ولا يستطيعون وصفها، وكلما بحثوا فيه لا يزال بكرًا على عقولهم.

فالقرآن وردت فيه آيات قرآنية أشارت بشكل مباشر إلى ولاية الأمير علي عليه السلام في حين أن هناك آيات أخرى تضمنت أو اقتبست معنى الولاية بشكل غير مباشر ومن ذلك نذكر:

١- قوله تعالى: (**رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ**)(آل عمران:١٩٣-١٩٤).

- هذا ما يدل على أن تنصيب الإمام أمر إلهي قرآني، وهذا ما عمل على تأكيده الإمام الصادق عليه السلام في نفوس المتلقين فنداؤهما هو نداء البيعة والمنادي هو الرسول صلى الله عليه وآله وقد اقتبست هذه الآية المفهوم بشكل غير مباشر لدلالته على ولاية الإمام علي عليه السلام. ومن هذه الآية اقتبس الإمام الصادق عليه السلام كلامه[١٩].

٢-قال تعالى (**عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ * الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ**) (النبأ:١، ٢، ٣).

كما أنه من الصفات المقتبسة للإمام العظيم (النبأ العظيم) فهو اقتباس غير

نصي، والقصد: إنهم يتساءلون عن علي عليه السلام وعن ولايته حتى اختلفوا في أمره بين موافق ومخالف للولاية. اقتبس منه قول الإمام الصادق عليه السلام وأن علياً أمير المؤمنين عليه السلام هو النبأ العظيم)[20].

٣-قال تعالى: (**ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ**)(التكاثر: ٨).

فالنعيم هنا هو اقتباس كان القصد منه علي بن أبي طالب عليه السلام[21].

فهو من يُسأل عنه يوم القيامة، فمن كان على ولايته نجا ومن لم يكن ضل وخسر، ومن هذه الآية اقتبس الإمام الصادق عليه السلام قوله: (يا صادق الوعد ..... أتمم علينا نعمتك بموالاة أوليائك المسؤول عنهم عبادك فأنك قلت (**لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ**).

٤-ومن الاقتباس المعنوي قول الإمام الصادق عليه السلام: (لك الحمد على ما مننت به علينا .... ولم تجعلنا من الناكثين والمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين)[22].

حيث اقتبس هذا القول من قوله تعالى: (**وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ**)(المطففين:١٠- ١١).

فيوم الدين هو يوم إعلان الإسلام ديناً للمسلمين.

وخلاصة ذلك أنّ واقعة الغدير من الوقائع العظيمة، وقد نالت شهرتها لأنها بداية الإمامة ونهاية النبوة ولعظم هذه الواقعة كان لا بد أن تخلد عبر الأجيال والأزمان لذلك تعرض لحفظها القرآن الكريم والشعر العربي.

١- موسوعة الغدير/العلامة الأميني/ج١ص١٠.

٢- ينظر: المجتمع الديني عند العلامة الطباطبائي، رحلة في تفسير الميزان/ص ٣٦.

٣- ينظر: الفقه الميسر طبقاً لفتاوى المرجع الكبير السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم/ص٨.

٤- محاضرات في أصول الدين، السيد صدر الدين القبانجي /ص: ١٣٩.

٥- ينظر: مفاد حديث الغدير، للشيخ عبد الحسين الأميني:

٦- ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل/ الشيخ ناصر مكارم الشيرازي/ج١ص ١١٦.

٧- ينظر: عقائد الإمامية/الشيخ محمد رضا المظفر/ص ٣٢.

٨- ينظر: موجز علوم القرآن: د . داود العطار / ص٢٠.

٩- ينظر: عقائد الإمامية: ٣٢.

١٠- ينظر: تفسير المعين للواعظين والمتعظين، للشيخ محمد هويدي /ص١١٩.

١١- ينظر: تكملة الغدير ثمرات الأسفار إلى الأقطار /ص ٦٥.

١٢- ينظر: تفسير المعين: ١١٩.

١٣- ينظر: خطبة الغدير.

١٤- ينظر: تفسير الأمثل: ١١٦.

١٥- ينظر: تفسير المعين: ١٠٧.

١٦- تكملة الغدير: ١/ ٧٢-٧٣.

١٧- ينظر: تكملة الغدير: ٨٦.

١٨- ينظر: تفسير المعين: ٤٩٢.

١٩- ينظر: مصباح المتهجد/الطوسي/ص٧٥٠.

٢٠- نفس المصدر.

٢١- نفس المصدر.

٢٢- إقبال الأعمال/ابن طاووس/ج٢ص٥ ٢٨.

في فضل الحج

* جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني رجل ميل - يعني كثير المال - وإني في بلد ليس يصلح مالي غيري، فأخبرني يا رسول الله بشيء إن أنا صنعته كان لي مثل أجر الحاج، فقال (ص): (انظر إلى الجبل - يعني أبا قبيس - لو أنفقت مثل هذا ذهبًا تتصدق به في سبيل الله عز وجل ما أدركت أجر الحاج).

(من لا يحضره الفقيه/ ج٢ ص٢٢٤)

* وقال الإمام الصادق عليه السلام: (من أنفق درهمًا في الحج كان خيرًا له من مائة ألف درهم ينفقها في حق).

(من لا يحضره الفقيه/ ج٢ ص٢٢٤)

* عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: (قال رسول الله ﷺ: ما من نفقة أحب إلى الله عز وجل من نفقة قصد، ويبغض الإسراف إلّا في حج أو عمرة).

(من لا يحضره الفقيه/ الشيخ الصدوق: ج٢ ص١٧٩)

* وعنه عليه السلام: (الحاج عليه نور الحج ما لم يَلُمَّ بذنب).

(من لا يحضره الفقيه/ ج٢ ص٢٢٤)

* وقال الصادق عليه السلام: (وَدَّ مَنْ في القبور لو أن له حجة بالدنيا وما فيها). (ن.م)

* وروي: (أن الحاج والمعتمر يرجعان كمولودين مات أحدهما طفلًا لا ذنب له، وعاش الآخر ما عاش معصومًا) (ن.م)

* عَنْ الإمام أَبِي عَبْدِ الله الصادق عليه السلام قَالَ: الْحَاجُّ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ صِنْفٌ يُعْتَقُ مِنَ النَّارِ، وصِنْفٌ يَخْرُجُ مِنْ ذُنُوبِه كَهَيْئَةِ يَوْمَ وَلَدَتْه أُمُّه، وصِنْفٌ يُحْفَظُ فِي أَهْلِه ومَالِه وهُوَ أَدْنَى مَا يَرْجِعُ بِه الْحَاجُّ) (الكافي/ الكليني/ ج٤ ص٢٦٢)

* وروي: (أن حجة واحدة أفضل من عتق سبعين رقبة).

(من لا يحضره الفقيه/ ج٢ ص٢٢٤)

* وعن الإمام الصادق عليه السلام: (يَفْقِدُ النَّاسُ إِمَامَهُمْ يَشْهَدُ الْمَوْسِمَ فَيَرَاهُمْ ولَا يَرَوْنَه)

(الكافي/ الكليني/ ج١ ص٣٣٧)

الدلالة الصوتية في سورة الواقعة

الباحثة ميساء حسن علي
كلية الآداب / جامعة البصرة

بسم الله الرحمن الرحيم
إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة
إذا رجت الأرض رجا وبست الجبال بسا فكانت
هباء منبثا وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة
ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة ما أصحاب
المشئمة والسابقون السابقون أولئك المقربون
في جنات النعيم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين
على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين
يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين
لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون
ولحم طير مما يشتهون وحور عين كأمثال اللؤلؤ
المكنون جزاء بما كانوا يعملون لا يسمعون فيها لغوا
ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما وأصحاب اليمين ما أصحاب
اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود

بداية القرآن الكريم كتاب منزل من لدن حكيم خبير، فكل شيء فيه جاء عن دراية وقصد وحكمة، فهو منزه بكل حركاته وسكناته، وفي حروفه وأصواته، عن اللغو والعبث، لذلك ترى لأصواته ميزة خاصة لا تمتلكها بقية النظم الأخرى من (شعر، ونثر، وسجع)، ومن هنا احتلت الدلالة الصوتية حيزًا لها من بين الدلالات المستقاة من القرآن الكريم، كالدلالة الصرفية والنحوية والسياقية والمعجمية، وربما كانت الدلالة الصوتية هي

الأبرز من بينها، كون اللغة ما هي إلّا أصوات[1]، والقرآن الكريم نازل بهذه اللغة وينص على ذلك قوله تعالى (**بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ**) (الشعراء:١٩٥)، أي إنه يُتلى وليس موجودًا في الكتب، فالأصوات كانت هي السبيل الأول لنقل القران الكريم، فلا ريب بما للدلالة الصوتية من أهمية.

ومعلوم لدينا إن القران الكريم أُنزل للناس جميعًا، وهو آخر الكتب السماوية المرسلة، ولهذا فهو على مستوى فائق من العناية الإلهية التي شملت كل حركاته وسكناته ومعانيه وحروفه وحتى أصواته، فأصوات القرآن الكريم مختارة بعناية حسب ما يتطلبه الموقف وما يقتضيه السياق، أي أن لكل صوت دلالة معينة تسترعي انتباه القارئ أو السامع حتى وإن كانا في جهل تام لدلالة الأصوات، فهو في موضع من القرآن الكريم يشعر بلذة ويطمئن قلبه، وفي موضع آخر ينتابه الخوف ويتملكه الفزع لسماعه بعض الأصوات في سياق آيات معينة، فلقد (اعتنى الله تعالى أيّما عناية بأصوات القرآن الكريم، فإذا أردت أن تعلم ما معنى الدلالة الصوتية للحروف، لا سبيل أمامك إلّا الرجوع للكتاب المبين، فطريقة نظمه جعلت المسامع لا تنبو عن شيء من القرآن ولا تلوي من دونه حجاب القلب، حتى لم يكن لمن يسمعه بدٌ من الاسترسال معه والتوفر على الإصغاء إليه، لا يستلهمه أمر من دونه ،...، فإنه إنما يسمع ضرباً خالصاً من الموسيقى اللغوية في انسجامه واطرّاد نسقه واتزانه على أجزاء النفس مَقطَعاً مَقطَعاً ونبرةً نبرةً كأنها توقّعه توقيعاً ولا تتلوه تلاوة)[2].

ومن نعم الله سبحانه على الإنسان أن جعل له قدرة تمكنه من إنتاج وحدات صوتية دالة ومعبرة يستعملها في التعبير عن حاجاته، فسما بهذه القدرة على بقية المخلوقات[3]، ثم جعل من كتابه برهانًا لمن أراد التثبت من وجود هذه القدرة، فخص كل صوت بدلالة معينة وعند اجتماع عدة أصوات تنتج الدلالة الصوتية التي تستمد من طبيعة بعض الأصوات من العبارات ولها عدة مظاهر كالنبر والتنغيم[4].

إلّا أن الدراسة الصوتية عند القدماء كانت عبارة عن إشارات متناثرة في بطون الكتب المؤلفة في تلك الحقبة، إذ لم تخصص لها مباحث منفردة، لكنها بعد ذلك استقلت وأضحت علمًا من علوم اللغة، وذلك بسبب التقدم الحاصل وتوفير الأجهزة للدارسين في هذا المجال[5].

فأصبحت الدراسة الصوتية بعد ذلك من أبرز الدراسات في العصر الحديث وتنبه الباحثون لأهمية الأصوات في توضيح الدلالة.

الدلالة الصوتية في سورة الواقعة:

إن المتتبع لآثار الدلالة الصوتية في سورة الواقعة يجدها في كثير من المواطن التي تدلل عليها، ومن هذه الأدلة:

١- الفاصلة:

وهي عبارة عن (لفظ آخر الآية ينتهي بصوت قد يتكرر محدثًا إيقاعاً مؤثراً في صورة السجع وقد لا يتكرر)[6]،

وقد انتقى القرآن الكريم لفواصل هذه السورة المباركة حروفاً تميزت بوقعها النغمي لتكون أكثر وضوحاً للسمع عند الوقوف عليها[٧].

لقد توزعت الفاصلة القرآنية ما بين (التاء، والنون، والميم، والألف، والباء، والدال، واللام، والهمزة) والذي حظي بنسبة أكبر هو صوت النون وأقل صوت هما صوتًا الهمزة واللام إذ ذكرا مرة واحدة، وهذه الفواصل لها دلالة صوتية كبيرة فهي (صور تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى، وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقاً عجيباً يلائم نوع الصوت والوجه الذي يساق عليه)[٨].

٢- التركيز على أصوات معينة:

إن استغلال الكلمات بحروف دون غيرها يكسبها ذائقة سمعية، فتكون لها استغلالية صوتية خاصة تجعلها مختلفة عن غيرها من الكلمات المتفقة معها في المعنى نفسه، فهي ربما تكون أكثر تأثيرًا في الصدى أو البعد الصوتي أو بتكثيف المعنى أو بإقبال العاطفة، فهي مرة تصك السمع وأخرى تهيئ النفس أو تضفي دلالة الفزع من شيء، أو توجهاً لشيء أو طمعاً في شيء[٩].

وإن السياق الذي جاءت به السورة المباركة، هو وصف القيامة الكبرى التي فيها بعث الناس وحسابهم وجزاؤهم، فتذكر أولاً شيء من أهوالها، فتذكر تقليبها للأوضاع والأحوال بالخفض والرفع وارتجاج الأرض وانبثاث الجبال وتقسم الناس ثم الاحتجاج على أصحاب الشمال المنكرين لربوبية البارئ وللبعث ثم تختم الكلام بذكر الاحتضار بنزول الموت[١٠]، لذلك كان التركيز في هذه السورة المباركة على أصوات تناسب الحديث عن هذه الأمور.

٣- الصيغة الصوتية الواحدة:

وهي (تسمية الكائن الواحد، والأمر المرتقب المنظور بأسماء متعددة ذات صيغة واحدة، بنسق صوتي متجانس للدلالة بمجموعة مقاطعه على مضمونه وبصوتيته، على كنه معناه ومن ذلك تسمية القيامة في القرآن بأسماء متقاربة الصدى)[١١].

فإن استعمال صيغة معينة للتعبير عن أمر معين يكون لسبب معين يريد المتكلم إيصاله، فهذه الصيغ كالقارعة، والآزفة، والراجفة، ومن ضمنها الواقعة، (تهزك من الأعماق، ويبعثك صوتها من الجذور، لتطمئن يقيناً إلى اليوم الذي لا مناص عنه، ولا خلاص منه، فهو واقع يقرعك بقوارعه، وحادث يثيرك برواجفه ،...، الصدى الصوتي، والوزن المتراص، والسكت على هائه أو تائه القصيرة)[١٢]، فكأنما ارتبط سماع هذا اللفظ إيذاناً بوقوع أمر جلل فأصبح المتلقي يخشى من هذه العبارة خشيته من يوم القيامة نفسه، فالمعنى اللغوي للواقعة (النازلة الشَّديدةُ من صُروف الدَّهر)[١٣]، وهي عند وقوعها تزلزل الناس وتقلب أحوالهم فتخفض المرتفع وترفع المنخفض[١٤]، فعبر عما يحدث في ذلك اليوم من اضطراب بصيغة صوتية مناسبة لما يحدث فيه من انقلاب وقبله (وأكثر ما جاء في القرآن من هذه الصيغة جاء في الشدة والعذاب، وصوت اللفظ يوحي بهذا المعنى)[١٥].

٤- مادة الصوت:

لقد اختار الله عز وجل للتعبير عن ألفاظ كتابه العزيز أصواتاً معينة وفق مبدأ منظم بإحكام تام وليس اعتباطًا، فتجد لفظة معينة في القرآن الكريم تعبر عن دلالة معينة لا تقوم بمهمتها أية لفظة أخرى، (وليس يخفى أن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وأن هذا الانفعال بطبيعته، إنما هو سبب في تنويع الصوت بما يخرجه فيه مداً أو غنّة أو ليناً أو شدة، وبما يهيئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه ،...، ثم هو يجعل الصوت إلى الإيجاز والاجتماع، أو الإطناب والبسط، بمقدار ما يكسبه من الحدوة والارتفاع والاهتزاز)[١٦]، لهذا يُلاحظ في هذه السورة المباركة التركيز على مادة الأصوات فصوت الباء الذي تكرر في السورة في كلمات كقوله تعالى: كاذبةٌ...بُسَّت... بَسًّا...هَبَاءً...مُنبثّاً، فهذا الصوت من الأصوات المجهورة[١٧]، ومعنى الجهر: الوضوح، والصوت الجَهير أي الصوت العالي[١٨]، وأيضاً يمتاز هذا الصوت بالشدة، فالأصوات الشديدة هي: (الهمزة، والقاف، والكاف، والجيم، والطاء، والتاء، والدال، والباء)[١٩]، وهذان المعنيان أي الوضوح والشدة مما يتناسب بلا شك مع السياق المراد في هذه السورة المباركة، وقد استعمل الله عز وجل عبارات دون غيرها نحو لفظة: رُجَّت...بُسّت...هباءً...مَّوضُونة... يُصَّدعُونَ، ولكل واحدة من هذه العبارات لفظة مقابلة لها أو أكثر، لكن الله عز وجل آثر استعمال هذه الألفاظ على نظائرها، فالرجّ مثلًا هو: (تحريك الشيء تحريكاً شديداً، إشارة إلى زلزلة الساعة)[٢٠]، فلم يقل الله عز وجل: وحركت، فالحاء تُعد من الأصوات الرخوة بعكس الجيم التي تُعد من الأصوات الشديدة[٢١]، فلما كانت الراء موجودة في اللفظتين وكانت الكاف والجيم من الأصوات الشديدة جاءت المفاضلة بصوت الجيم، وإن لم يكن مقابلاً للصوت في الكلمة الأخرى، فعبر عن المعنى المراد خير تعبير فالأرض في ذلك اليوم (تتحرك بحركة مزعجة)[٢٢]، وكذلك الرج فيه إشارة إلى القَلب والإمالة فعند رجنا لقنينة الدواء مثلاً دائماً ما نميلها ولا نقوم بالرج بصورة عمودية.

وكذلك (البَسّ) فهو التفتيت والطحن[٢٣]، وهو (عود الجسم بدق ونحوه أجزاء صغاراً متلاشية كالدقيق)[٢٤]، وكما هو معروف أن الفاء من الأصوات المفخمة فقد أُستعيض عن هذه العبارة أي (الفَتْ) بلفظة (البَسْ) لأن الباء من الأصوات الشديدة وهي تختلف عن الفاء التي تكون من ضمن الأصوات الرخوة[٢٥].

والبَسْ (هو جرٌ للحمار)[٢٦]، وقد استعمل هنا للدلالة على أنها مُقادة خاضعة فشابهت حالُ الحمار الذي لا حول له ولا قوة.

وفي قوله تعالى: (هَبَاءً)، من (هبو: الهَبْوَةُ: غبار ساطع في الهواء كأنّه دخانٌ ،...، والهباءُ دقائق التّراب)[٢٧]، فالهباء إما يُراد به الغبار أو الذّرة من الغُبار[٢٨] فيدل على الكل والجزء بلفظة واحدة وهو ما يتناسب مع حال السموات والأرضين كما يتناسب مع القدرة الإلهية التي لا يفوقها شيء فيُلاحظ أن الهاء والغين من الأصوات الرخوة والباء من

الأصوات الشديدة والألف من الأصوات المتوسطة، فجاءت المُفاضلة بين اللفظتين عن طريق الراء والهمزة حيث الراء تُعتبر من الأصوات المتوسطة بعكس الهمزة التي تُعد من الأصوات الشديدة[٢٩]. فجاءت عبارة (هباء) للتعبير عن انعدام الشيء انعداماً تاماً.

خاتمة

إن الأصوات ذات أهمية كبرى بالنسبة لأي خطاب، فما بالك بخطاب أزلي موجه إلى الناس كافة، ولمّا كان تلقي القرآن الكريم لأول مرة عن طريق السماع، فكان من الضروري التركيز على أصوات القرآن الكريم وماهية هذه الأصوات، وتتبع ألفاظ سورة الواقعة أكد هذه الحقيقة التي تتجلى واضحة في أمور عدة منها:

١- الفاصلة.

٢- التركيز على أصوات معينة تمتاز بالجهر والشدة.

٣- لزوم بعض العبارات صيغاً محددة، غَدت عَلماً على حدوث أمر جلل.

٤- مادة الأصوات.

١- الخصائص / ابن جني ٣٣/١.

٢- إعجاز القران والبلاغة النبوية / مصطفى صادق الرافعي، ٢١٢-٢١٣.

٣- يُنظر: البحث الدلالي في التبيان في تفسير القران لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ت٤٦٠م، ابتهال كاصد ياسر الزيدي، أطروحة دكتوراه، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٤م، ص٣١.

٤- يُنظر: دلالة الألفاظ/ إبراهيم أنيس، ٤٦-٤٧.

٥- يُنظر: البحث الدلالي٣٢.

٦- علم الأصوات النطقي دراسات وصفية تطبيقية/ د.هادي نهر٢٥٣.

٧- يُنظر: المصدر نفسه ٢٥٣.

٨- إعجاز القرآن ٢١٦.

٩- يُنظر: الصوت اللغوي في القرآن، محمد حسين الصّغير ١٦٤.

١٠- يُنظر: الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي ١١٩-١٢٠.

١١- الصوت اللغوي ١٧١.

١٢- المصدر نفسه ١٧١.

١٣- العين/ الخليل بن أحمد ١٠٦٢-١٠٦٣.

١٤- يُنظر: تفسير الفخر الرّازي ١٤٠/٢٩.

١٥- الصوت اللغوي ١٧٢.

١٦- إعجاز القرآن ٢١٥-٢١٦.

١٧- يُنظر: دراسة الصّوت اللغوي/ أحمد مختار عمر ٣٢٤.

١٨- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي/ محمود السعران ٩١-٩٢.

١٩- الميزان في تفسير القرآن ١٢٠.

٢٠- يُنظر: علم الأصوات النطقي ٣٤-٣٥.

٢١- تفسير الفخر الرازي ١٤٠.

٢٢- يُنظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن/ الشنقيطي ٥١١.

٢٣- الميزان في تفسير القرآن ١٢٠.

٢٤- يُنظر: دراسة الصوت اللغوي ٣٢٥.

٢٥- يُنظر: علم اللغة ٩١-٩٢.

٢٦- العين ١٧.

٢٧- المصدر نفسه، مادة (هبا) ١٠٠١.

٢٨- يُنظر: الميزان في تفسير القرآن ١٢٠.

٢٩- يُنظر: علم الأصوات٣٤-٣٥.

العدول القرآني في الضمائر

م.م فرقان الدباغ
كلية التربية الأساس/جامعة الكوفة

ينابيع

العدول كلمة اختيرت من بين كثير من الكلمات المقاربة لها دلالياً في مجال الأسلوبية المعاصرة، ومنها الانزياح والخروج والانحراف والفجوة وغيرها؛ لقدرتها على احتضان تلك المقاربات ولاستعمالها القديم عند العرب[1]، واللغة الإبداعية تنشأ من العدول أحياناً نتيجة التحول من الكلام العادي المألوف إلى الكلام الراقي غير المألوف، أو التحول من معنى إلى آخر، أو التحول من أسلوب إلى آخر، أو من حرف إلى حرف آخر[2] وهكذا.

ولهذه الظاهرة الأسلوبية تسميات عديدة منها: (الانزياح، الإزاحة، الانحراف، التحريف، الفارق، الفرق، المفارقة، الاختلاف، الخرق، الاختراق، الفجوة، البعد، الابتعاد، التبعيد، الفاصل، ...)[3]. ويبدو أن مصطلح العدول أجملهن؛ لأن الانزياح مثلاً يُفهِمُ السامعَ البسيطَ بالخروج غير

اللازم عن حدود الإبداع، والانحراف قد يقود الذهن إلى التفكر بالانحراف الأخلاقي، والتحريف والفجوة والخرق والاختراق تشعر هذا المصطلحات بوجود خلل نصي، أو أنها لا تلائم المعنى الجمالي للقرآن، أما العدول من جنس الاعتدال؛ فهما مشتقان من جذر معجمي واحد هو (عدل)، والعدل أو الاعتدال نعمة جمالية منحها الله للإنسان، قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ**) (الانفطار: ٦-٨)، فإذا كان الله تعالى قد منحها لعبده الفقير الذليل، ألا يودعها في محكم كلامه المبارك؟!

والعدول القرآني أسلوب من أساليب تقحُّم الصعب واللامألوف، وهو ليس دليلاً من دلائل نقص ذخيرة القرآن الكريم؛ لأن جميع النصوص الأدبية عندما تكون صعبة تكون أكثر أهمية من غيرها؛ لأنها عندما تكون واضحة تفقد أدبيتها[٤] أو درجةً من ذلك، وهذا لا يعني نقص ذخيرة كل نص واضح بل تبقى القضية متعلقة بمقتضى المقام.

ويتلثم هذا الأسلوب بأساليب بلاغية عديدة كـ (الالتفات، والأسلوب الحكيم، الحذف والذكر) وغيرها.

وقد رجحت الدراسة الإبقاء على متابعة أسلوب الالتفات في ضمائر الخطاب القرآني من أجل رصد المغايرة أو العدول؛ لأن الالتفات في الضمائر يحقق خاصية العدول في التعبير بشكل لامع انطلاقاً من أن لأسلوب الالتفات خاصيةً تعبيريةً تتميز بطاقتها الإيحائية من حيث اعتماد بنائها على العدول[٥]، وكل التفات عدول، وليس كل عدول التفات، هذا يعني أن العدول أعم وأوسع من الالتفات[٦]، والالتفات في الخطاب القرآني هو العنصر الأهم في فنيته من بين الأساليب العدولية؛ لارتباطه بالإلهام أو الإبداع الذي لا يمكن الإتيان بمثله.

وسنستعين بالإجراءات الحديثة في التحليل باتجاه الرؤية الأسلوبية؛ لأن العدول من زمرة المصطلحات الأسلوبية، على الرغم من استعانته بالإنجازات النقدية الكثيرة في فهم الالتفات وتحليله.

وسنتعرف على دوافع العدول وبواعثه عند التلقي من خلال تقصي جوانب الخطاب القرآني وإمكاناته كافة التي آلت وتؤول إلى اللجوء إلى العدول الذي يقود إلى التكثيف الدلالي الذي لا يعنى بالشكل والمضمون بقدر عنايته بالدلالة.

والالتفات الضمائري يعني (العدول من حالة من الحالات الثلاث – التكلم والخطاب والغيبة – التي يقتضيها الظاهر إلى حالة أخرى منها)[٧]، وهو أنواع منها: (الالتفات من التكلم إلى الخطاب، الالتفات من التكلم إلى الغيبة، الالتفات من الخطاب إلى التكلم، الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، الالتفات من الغيبة إلى التكلم، الالتفات من الغيبة إلى الخطاب)[٨]. والأمثلة الآتية مصاديق لذلك:

قال تعالى: (**وَمَالِي لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**)(يس: ٢٢). فقد تحقق العدول هنا من صيغة التكلم (**أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي**) إلى صيغة الخطاب (**إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**). فلماذا لا يكون التعبير (وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه أرجع)؟ عند ذلك يكون سياق التعبير وتراً واحداً وهو وتر (التكلم).

ولو رجعنا إلى تفسير الآية لوجدنا أن

مقام الآية يتطلب هذا العدول؛ لأن الآية هنا في مقام الاحتجاج بوحدانية الله ونفي الآلهة، فالآية في مقام الحجاج تريد إبطال ما ادعى به أصحاب الوثنية الذين تبنوا عبادة الأصنام وأربابها[٩]؛ ولذلك عدلت الآية من ضمير التكلم إلى ضمير الخطاب من أجل ملاءمة المقال لمقتضى الحال.

وقال تعالى: (**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ**) (الكوثر: ١- ٢)، حصل العدول هنا من ضمير المتكلم الجمعي (إنا + أعطينا) إلى ضمير المفرد الغائب (ربك)، فكان من المألوف أن يقول (فصل لنا وانحر)، فلماذا هذه المغايرة بأوتار الضمائر؟! ويبدو أن هذا العدول الذي دبَّ بكلمة (ربك) جاء (تحريضاً على فعل الصلاة لحق الربوبية)[١٠] وليس غير ذلك.

وقال تعالى: (**فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ**) (هود: ٦١). فالعدول هنا من ضمير الغائب (استغفروه + إليه) إلى ضمير التكلم (ربي). كان من المألوف أن يقول (إن ربكم قريب ...).

ويبدو أن لهذا العدول قصدية، وهي مطابقة المقال لمقتضى الحال؛ فأصحاب نبي الله صالح عليه السلام وهم ثمود كانوا يعتقدون برب غير الرب الذي يعتقد به صالح عليه السلام؛ لذلك حاول أن يقنعهم بميزات ربه الذي يعبده هو، والمتجسد في قوله (ربي)، والذي يتسم بـ(القرب ، والإجابة)؛ (وذلك لأنهم إنما كانوا يعبدون الأوثان ويتخذونها شركاء لله تعالى لأنهم كانوا يقولون - على زعمهم - إن الله سبحانه أعظم من أن يحيط به فهم وأرفع وأبعد من أن تناله عبادة أو ترتفع إليه مسألة، ولا بد للإنسان من ذلك فمن الواجب أن نعبد بعض مخلوقاته الشريفة التي فوض إليها أمر هذا العالم الأرضي وتدبير النظام الجاري فيه ونتقرب بالتضرع إليه حتى يرضى عنا فينزل علينا الخيرات، ولا يسخط علينا ونأمن بذلك الشرور، وهذا الإله الرب بالحقيقة شفيعنا عند الله لأنه إله الآلهة ورب الأرباب، وإليه يرجع الأمر كله)[١١].

فالذي حصل في واقع الحال منافسةٌ بين ربّين اثنين، رب يعتقد به قوم صالح عليه السلام، ورب يعتقد به صالح عليه السلام وحده أي من دون أصحابه؛ لذلك وردت كلمة (ربي) دون كلمة (ربكم). فلسان حال نبي الله صالح عليه السلام يقول: (استغفروا ربي وليس ربكم الذي تعتقدون به ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب).

وقد تكرر العدول نفسه وفي السورة نفسها أيضاً في سياق الإخبار بقصة نبي الله شعيب عليه السلام مع قومه، إذ قال تعالى: (**وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ**) (هود: ٩٠).

وقال تعالى: (**هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ**) (يونس: ٢٢). فكان من المألوف في القياس أن يقول (جرين بكم) وليس (بهم)، فلمَ هذا العدول من صيغة الخطاب إلى صيغة الغيبة؟!

دقَّ العدولُ أوتادَه في الآية من خلال التحول من وتر إلى آخر، ونَصَّبَ دلالات بليغة أفادت تنويع الأسلوب لينشدّ القارئ إليه، وليتخذ المخاطَب منه الموعظة والحكمة، ففي سياق الرخاء والنعمة وظّفَ ضمير الخطاب، وما أن عدل عنه إلى العسر

والبؤس حتى تمَّ تحويل الضمير إلى الغيبة من أجل ملاءمة مقام المخاطب. والملاحظ أن الالتفات من ضمير المخاطب (أنتم) إلى ضمير الغيبة (هم) يفيد التخصيص بعد العموم؛ ذلك أنّ صدر الآية يخبر عن لطف الله تعالى بعباده وهم في البر والبحر وهذا أمر عام ومألوف عند الناس جميعاً ومعتاد عليه ومتداول في واقعهم المحسوس؛ إذ أن جميع الناس يتمكنون من السير في البر أو البحر؛ فجاء الخطاب المباشر بالضمير (كم) موافقاً لعموم المخاطَبين، أما السير في طقوس الخطر والمآزق فأمر خاص لا يتأتى إلا إلى القليلين، وهم على قلتهم تكون أخبارهم مجهولة في أثناء رحلتهم، فجاء الخطاب بضمير الغيبة (هم) ملاءمةً لحالهم المجهول وتنبيهاً ببعدهم عن الجماعة ومضيهم في الظرف السرمدي[١٢]، والله العالم.

وقال تعالى: (**وَاللهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ**) (فاطر:٩). لاحظ العدول الانتقال من الغيبة إلى التكلم (اللّه/هو) (فسقناه/نحن)، إن صيغة الغيبة أفادت بيان المختص بعملية الإرسال وهو البارئ القدير، و صيغة التكلم أفادت تأكيد هذا الاختصاص والتنبيه على أن قيادة السحاب إلى البلد الميت لا يقدر عليه غير الله. والتنبيه أيضاً وظيفة خطابية تهدف إلى التأكيد[١٣].

أو إن العدول من الغيبة إلى التكلم ورد في الآية من أجل المبالغة والتفخيم بأمر الفاعل – جلَّ شأنُهُ - والباب مفتوح للبحث والاجتهاد ...

وقال تعالى: (**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**) (الفاتحة:٣-٤). لاحظ الانتقال من الغيبة (مالك) إلى الخطاب (إياك)، فكان من المألوف أن يقول (إياه نعبد وإياه نستعين)، وهذا العدول يشير (إلى أن الخلق قاصرون عن مخاطبته، فإذا عرفوه بما هو له، وتوسلوا للقرب إليه، بالثناء عليه، وأقروا بالمحامد له، وتعبدوا له بما يليق بهم، تأهلوا – حينئذ – لمخاطبته ومناجاته، فقالوا: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)[١٤].

إن الاعتبارات الداعية إلى العدول عن مقتضى القياس في باب الالتفات كثيرة لكن أهل العلم به ذكروا له اعتباراً يجري في كثير من أمثلته، ألا وهو التفنن أو التلوين في طريقة الكلام من أجل تنشيط ذهن السامع، وجعله أكثر تنبهاً للإصغاء إلى الكلام؛ لأن لكلٍّ جديد لذة، ولكل طارئ بهجة. وهناك بعض المواضع من الالتفات تختص باعتبارات ونكت لا يكشف لثامها إلا من يملك فهماً كافياً، وذوقاً بلاغياً سليماً[١٥] وفقهاً بالتفاسير القرآنية.

والشكر لله في الأول والآخر .

١- ينظر: المفارقة في شعر الرواد – دراسة في نتاج الرواد من الشعر الحر: لـ (قيس حمزة الخفاجي)، رسالة ماجستير، جامعة المستنصرية/كلية التربية،١٩٩٤م: ٦٣.

٢- ينظر: الانزياح في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب: لـ(د. عباس رشيد الدده)، ص: ٤٠.

٣- إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي: لـ(د. يوسف وغليسي)، ص: ٢١٧.

٤- ينظر: دراسات في البلاغة العربية والنقد الأدبي المعاصر: لـ(د. عزيز عدمان)، ص: ١٨٢.

٥- ينظر: البلاغة والأسلوبية: لـ(د. محمد عبد المطلب)،ص ٢٧٦ .

٦- ينظر: أسلوبية الالتفات محاولة تأصيلية وتطبيقية - قصار السور القرآنية أنموذجاً: لـ(نوافل

يونس سالم الحمداني)، رسالة ماجستير، جامعة ديالى/ كلية التربية، ٢٠٠٤م: ٢٣.

٧- دروس في البلاغة: لـ(الشيخ معين دقيق العاملي)، ص : ٣٦.

٨- ينظر: المصدر نفسه: ٣٦.

٩- ينظر: الميزان في تفسير القرآن: لـ(السيد محمد حسين الطباطبائي): ٧٧/١٧.

١٠- دروس في البلاغة: ٣٧.

١١- الميزان في تفسير القرآن: ٢٩٨/١٠.

١٢- ينظر: الكشّاف/الزمخشري): ٣٢٧/٢. وينظر: بُنى البديع في القرآن الكريم – دراسة فنية: لـ(د .أميرة جاسم خلف العتابي) ص: ١٥٩ – ١٦٠.

١٣- ينظر: علم الإشارة – السيميولوجيا: لـ(بييرجيرو)، ت (د. منذر عيّاشي) ص: ٣٢ .

١٤- دروس في البلاغة: ٣٧.

١٥- ينظر: المصدر نفسه: ٣٧.

فضل ختم القرآن بمكة

* عَنْ الإمام أَبِي جَعْفَرٍ الباقر عليه السلام قَالَ:

(مَنْ خَتَمَ الْقُرْآنَ بِمَكَّةَ مِنْ جُمُعَةٍ إِلَى جُمُعَةٍ أَوْ أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ أَوْ أَكْثَرَ وخَتَمَه فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ كُتِبَ لَه مِنَ الأَجْرِ والْحَسَنَاتِ مِنْ أَوَّلِ جُمُعَةٍ كَانَتْ فِي الدُّنْيَا إِلَى آخِرِ جُمُعَةٍ تَكُونُ فِيهَا، وإِنْ خَتَمَه فِي سَائِرِ الأَيَّامِ فَكَذَلِكَ).

(الكافي/ الكليني/ ج٢ص٦١٢)

* وقال الإمام علي بن الحسين عليه السلام:

(من ختم القرآن بمكة لم يمت حتى يرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويرى منزله من الجنة).

(من لا يحضره الفقيه/ ج٢ص٢٢٧)

الترغيب الحسِّي في حياة البرزخ

مُحسِنْ عَبدُ العَظيمِ هَادِيْ الخَاقَانِي

بداية ليس الموت نهاية لحياة الإنسان وانعداماً لها، ولم تكن الحياة الدنيا هي غاية حياته، بل هو انتقال من نشأة إلى أُخرى، فالحياة مستمرة ممتدة، ولكن بعدة أشكال مختلف بعضها عن بعض، بالتفاصيل والحيثيات، للوصول إلى حقيقة الحياة الخالدة التي تكون ما بعد القيامة.

والحياة في اللغة هي ما بين سُقُوط الولد إلى وقت مَوْته[1]، وفي الاصطلاح (ما يشغل العبد عن الآخرة)[2]، والموجودات على قسمين: قسم منها لا يختلف حاله عند الحس ما دام وجوده ثابتًا كالأحجار وسائر الجمادات، وقسم منها ربما تغيرت حاله وتعطلت قواه وأفعاله مع بقاء وجودها على ما كان عليه عند الحس، وذلك كالإنسان وسائر أقسام الحيوان والنبات، فإنّا ربما نجدها تعطلت قواها ومشاعرها وأفعالها ثم يطرأ عليها الفساد تدريجياً، وبذلك أذعن الإنسان بأن وراء الحواس أمر آخر هو المبدأ للإحساسات والإدراكات العلمية والأفعال المبتنية على العلم والإرادة وهو المسمى بالحياة ويسمى بطلانه بالموت،

فالحياة نحو من وجود يترشح عنه العلم والقدرة، قال تعالى: (**قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ**) (غافر:١١)، والإحياءان المذكوران يشتملان على حياتين: إحداهما: الحياة البرزخية، والثانية: الحياة الآخرة، فللحياة أقسام كما للحي أقسام[٣]، فقد (احتج أكثر العلماء بهذه الآية في إثبات عذاب القبر، وتقرير الدليل أنهم أثبتوا لأنفسهم موتتين حيث قالوا: (**رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ**) فأحد الموتتين مشاهد في الدنيا، فلا بد من إثبات حياة أخرى في القبر حتى يصير الموت الذي يحصل عقيبها موتاً ثانياً، وذلك يدل على حصول حياة في القبر)[٤]، لأن الإماتة عن الحياة الدنيا والإحياء للبرزخ ثم الإماتة عن البرزخ والإحياء للحساب يوم القيامة، فالآية تشير إلى الإماتة بعد الحياة الدنيا والإماتة بعد الحياة البرزخية وإلى الإحياء في البرزخ والإحياء ليوم القيامة، ولولا الحياة البرزخية لم تتحقق الإماتة الثانية، لأن كُلًّا من الإماتة والإحياء يتوقف تحققه على سبق خلافه[٥].

فعالم البرزخ - كما يدل عليه اسمه - هو عالم يتوسط بين عالمنا هذا والعالم الآخر، وفي القرآن الكريم يكثر الحديث عن العالم الآخر، ولكنّه قليل عن عالم البرزخ، ولهذا السبب هناك هالة من الغموض والإبهام تحيط بالبرزخ، ومن ثم لا نعرف الكثير من خصائصه وجزئياته، ولكن عدم معرفة التفاصيل الجزئية لا تؤثر على أصل الاعتقاد بالبرزخ الذي صرّح القرآن بأصل وجوده)[٦].

فما ورد في القرآن الكريم بشأن البرزخ، بيّنته السُنة المطهرة لما فيها ما يثبت حياة الإنسان في الآخرة، التي يكون جزءاً منها حياة البرزخ، ففي الآيات الصريحة التي تذكر امتداد حياة الإنسان إلى ما بعد موته، يقول سبحانه وتعالى في حقّ الكافر إذا وقف على سوء مصيره يتمنّى عودته إلى الدنيا ليتدارك ما فات، ولكن يخيب سعيه، ويُردُّ طلبه، قال تعالى: (**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**) (المؤمنون: ٩٩-١٠٠)، وقد جاء في تفسير القمّي (ت٣٢٩هـ) أن البرزخ هو أمر بين أمرين وهو الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة، وهو ردٌّ على من أنكر عذاب القبر والثواب والعقاب قبل القيامة وهو قول الصادق عليه السلام: (والله ما أخاف عليكم إلّا البرزخ، فأما إذا صار الأمر إلينا فنحن أولى بكم)[٧]، وقال الإمام علي بن الحسين عليه السلام: (إن القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران)[٨].

الترغيب الحسي في البرزخ:

إن ابن آدم يتمثل له عمله في القبر على هيئة من الثواب أو العقاب الحسي، تبعاً لحاله في الحياة الدنيا ويتجسد له في قبره، لتأخذ مكانها في الترغيب والترهيب الحسي، وهو ما روي عن أئمة أهل البيت عليهم السلام.

فقد روى الكليني (ت٣٢٩ هـ) بسنده في كتابه الكافي[٩] عن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام قال: (... فإن كان لله وليًا أتاه[يعني عمله] أطيب الناس ريحًا وأحسنهم منظرًا وأحسنهم رياشًا، فقال: أبشر بروح وريحان وجنة نعيم ومقدمك خير مقدم، فيقول له: من أنت؟ فيقول:

أنا عملك الصالح ارتحل من الدنيا إلى الجنة، وإنه ليعرف غاسله ويناشد حامله أن يعجله فإذا أدخل قبره أتاه ملكا القبر يجران أشعارهما ويخطان الأرض بأقدامهما، أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف، فيقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: الله ربي وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ، فيقولان له: ثبتك الله فيما تحب وترضى، وهو قول الله عز وجل: (**يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ**) (إبراهيم: ٢٧)، ثم يفسحان له في قبره مد بصره، ثم يفتحان له بابًا إلى الجنة، ثم يقولان له: نم قرير العين، نوم الشاب الناعم، فإن الله عز وجل يقول: (**أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا**)(الفرقان:٢٤))[١٠].

وقد ذُكرت هذه الرواية في مجموعة من المصادر التفسيرية وبألفاظ متقاربة[١١].

وإن هذه الرواية وما اشتملت عليه من اقتباس لنصوص القرآن الكريم، لتشفي الغليل بذكرها الترغيب الحسي صراحةً ورسمها للصورة الشمية والبصرية السمعية، من قبيل أن ريح العمل تكون أطيب الريح، ومنظره أحسن المناظر، ويسمع الميت كلاماً يؤنسه، وهو يبشره بروح وريحان وجنة النعيم، ثم أن الملكان يوسعان له قبره لمسافة أضعاف ما يحتاجه فيتخلص من معيشة الضنك، ثم يفتحان له باباً إلى الجنة، ليَنامَ متنعماً إلى أن يبعثه الله عزوجل خير مبعث.

فالترغيب الحسي بالتنعُّم في القبر قد كان التصريح به في الآيات الواردة في حقّ الشهداء، من خلال النهي عن القول بأنهم أموات بل هم أحياء، ولابد من وجود ما يلازم الإحياء، كما في قوله تعالى: (**وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ**) (البقرة:١٥٤)، بمعنى: (ولا تعتقدوا فيهم الفناء والبطلان كما يفيده لفظ الموت عندكم، ومقابلته مع الحياة، ويعين على هذا القول حواسكم فليسوا بأموات بمعنى البطلان، بل أحياء ولكن حواسكم لا تنال ذلك ولا تشعر به، والآية تدل دلالة واضحة على حياة الإنسان البرزخية)[١٢].

وكما إن حياة الشهداء ليست مُدركةً من قبل الأحياء في الدنيا، كذلك بالنسبة إلى ما يتمتعون به من نعيم حسي خاص بتلك الحياة البرزخية، فلا يمكن لأحد في الحياة الدنيا أن يُدرك ما يرزقون به، فالله سبحانه وتعالى يرزقهم ولكن لا يشعرون، قال تعالى: (**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**) فلا يتوهم أحد ويحسب الشهداء أمواتاً، فهم عند الله أحياء، وإن أرواحهم تسرح في الجنة وتلتذ بنعيمها، وإن إحياء الله لهم في البرزخ جائز مقدور والحكمة تجيزه[١٣]، وهذه الآية ذكرت نوعين من الترغيب، إذ ضمت النعيم المعنوي والحسي في آنٍ واحد، لأن (الحضور عنده تعالى والقربَ منه كرامة معنوية والاستقرار في الجنة كرامة صورية)[١٤].

ثمّ إن الآية التالية تشير إلى بعض مزايا حياة الشهداء البرزخية، وما يكتنفها ويلازمها من عظيم البركات من خلال الإشارة إلى عظيم ابتهاجهم بما أوتوا هناك فيقول عز وجل: (**فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**) (آل عمران:١٧٠)، فالسبب

لابتهاجهم ومسرتهم هو ما يجدونه ويلقونه من عظيم الثواب ورفيع الدرجات، الذي ينتظر إخوانهم المجاهدين الذين لم ينالوا شرف الشهادة في المعركة، فهم فرحون ومسرورون، من جهة النعم والمواهب الإلهية التي يتلقونها، لا بها فقط بل لما يتلقونه من الفضل الإلهي الذي هو التصعيد المتزايد المستمر للنعم الذي يشمل الشهداء أيضاً إنهم يرون بأم أعينهم ما كانوا يوعدون به ويسمعون بآذانهم[١٥].

ويصف القرآن الكريم حياة الشهداء، بقوله تعالى: (**فَرِحِينَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللهُ من فَضله وَ يَستَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بهم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلا خَوْفٌ عَلَيهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَستَبْشِرُونَ بِنعْمَةٍ مِّنَ اللهِ وَفَضل وَأَنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ**) (آل عمران: ١٧٠-١٧١)، قال الإمام الصادق عليه السلام: (يستبشرون والله في الجنة بمن لم يلحقوا بهم من خلفهم من المؤمنين في الدنيا)[١٦].

فالرزق الوارد في الآية، هو من المرغبات الحسية قطعاً، وإلّا لا معنى للرزق المعنوي هنا، ويؤيد ذلك ما جاء في آية أخرى تذكر أن الرزق بكرةً وعشياً، كما في قوله تعالى: (**وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًا**) (مريم: ٦٢)، حيث فسّر بجنّة الدنيا بدليل قوله عزّ اسمه (بُكْرَةً وَعَشِيًا) فالبُكرة والعشي لا تكونان في الآخرة في جنان الخُلد بل هما في الدنيا، ونظير ذلك في ذكر النعيم أو العذاب في القبر، وبقائه طيلة بقاء السماوات والارض هو قوله تعالى: (**يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِه فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ * فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ**) (هود: ١٠٥-١٠٨)، وأما قوله ما دامت السموات والأرض إنما هو في الدنيا فإذا قامت القيامة تبدل السموات والأرض[١٧].

والجدير بالذكر أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، والأئمة الطاهرين من أهل بيته عليهم السلام الذين يشاركونه في الطهر والقداسة في آيات التطهير والمباهلة والمودّة، والذين قتلوا في سبيل الله ودفاعاً عن حياض الشريعة

المحمدية المقدسة، متماثلون في الحياة بعد الموت، فكيف يكون نداؤهم ودعاؤهم دعاء للميت الذي لا يسمع؟ ولو كان رسول الله ﷺ ميتاً فما معنى قوله ﷺ: (مَا مِنْ أَحَد يُسَلِّمُ عَلَيَّ إلَّا رَدَّ الله عزوجل عَلَيَّ رُوحي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ)؟[18] وقوله ﷺ: (وصلّوا عليّ حيثُ كُنتم فإنَ صَلواتكم تَبلُغني، وتسليمكم يبلُغني)[19]، وكذلك سماع رسول الله ﷺ لمن حضر عند قبره وسلّم عليه، كما في قوله ﷺ: (مَنْ سلّم عليّ عند قبري سمعته، ومَنْ سلّم عليّ من بعيد بلغته)[20].

وهذا معناه أن المسلمين عندما يخاطبون النّبي ﷺ ويسلمون عليه بجملة (السلام عليك أيّها النّبي ورحمة الله وبركاته) في صلواتهم في اليوم خمس مرات، فهذه المخاطبة يجب أن تكون مع من يَسمع ويُدرك، إذن فحياة النبي وأهل بيته -الشهداء في سبيل الله- في البرزخ أمر مسَّلم به، وهناك وثائق كثيرة وأدلة متعددة من القرآن والأحاديث تشهد بذلك وتؤيده، وفي هذه الحياة البرزخية إدراك وبصر أوسع من الحياة الدنيوية[21].

والغريب أن كثيراً ممن ينتسبون للإسلام ينكرون هذه الحقيقة، وهي حقيقة عقائدية لا شك فيها ولا شبهة، وإلا كان سلام المسلمين في صلاتهم اليومية على النبي عبثاً، فهؤلاء قد أغلقوا أبواب عقولهم، فلا هم يعلمون ولا يريدون أن يعلموا، حتى عابوا على من يحضر عند قبر رسول الله ﷺ، ويؤدي التحية والسلام، على من شرّف الأرض وما فيها، فعليه وعلى أهل بيته أفضل الصلاة والسلام.

١- ظ: ابن منظور، لسان العرب: ١ / ١١٦.
٢- الجرجاني، التعريفات: ٩٤.
٣- ظ: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن: ٢ / ٣٢٩.
٤- الرازي، تفسير مفاتيح الغيب: ٢٧ / ٤٩٤.
٥- ظ: الميزان في تفسير القرآن: ١٧ / ٣١٣.
٦- الشيرازي، تفسير الأمثل: ١٥ / ٢٠٣.
٧- ظ: تفسير القمي: ٢ / ٩٤، والمجلسي، بحار الأنوار: ٦ / ٢١٤.
٨- هذا الحديث مروي عن النبي ﷺ ظ: الجامع الكبير (سنن الترمذي)، ونقل هذا الحديث في المصادر الشيعية عن الإمام علي عليه السلام تارة، وعن الإمام علي بن الحسين عليه السلام تارة أخرى ظ: المجلسي، بحار الأنوار ٦ / ٢١٤ و٢١٨.
٩- ظ: الكليني، الكافي: ٣ / ٢٣١-٢٣٣.
١٠- الكافي: ٣/٢٣٢ ، بحار الانوار: ٣ / ١٥٥.
١١- الطبرسي، تفسير مجمع البيان: ٦ / ٧٧، والحويزي، تفسير نور الثقلين: ٤ / ١١، والعياشي، تفسير العياشي:٢ / ٢٢٨، والميزان في تفسير القرآن: ١ / ٣٦٣، ظ: ٢٠٧/١٥، وغيرها.
١٢- الميزان في تفسير القرآن: ١ / ٣٤٧.
١٣- ظ: الطوسي، التبيان في تفسير القرآن:٣/ ٤٥-٤٦.
١٤- الميزان في تفسير القرآن: ١٩ / ٣٤٥.
١٥- ظ: تفسير الأمثل: ٢ / ٥١٩.
١٦- ظ: تفسير القمي: ١ / ٢٠، ظ: بحار الأنوار: ١٠/٦٥-١١.
١٧- ظ: تفسير القمي: ١ / ١٩.
١٨- ظ: سنن أبي داود: ٢/٢١٨.
١٩- النوري، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل: ١٠ / ١٨٧.
٢٠- بحار الأنوار: ٢٧ / ٣٠٢، ظ: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٦/٤٧٦.
٢١- ظ: تفسير الأمثل: ١٢ / ٤١٧.

وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا

ملف العدد

نافذة على الحج
قراءة موجزة في آداب الحج وأسراره

الشيخ ليث عبد الحسين العتابي

تمهيد

الحج في اللغة: القصد، والمراد به في الشرع هو: قصد زيارة بيت الله الحرام على نحو خاص معلوم من الشريعة، وبكيفية معلومة ومبينة في الكتب الفقهية من أداء لمناسكه العبادية الواردة في الشريعة، المقيدة بمكان معين، وأيام معينة، وأفعال معينة، مع نية القربة كسائر العبادات.

فالحج وكما يعرفه الإمام علي عليه السلام بقوله: (الحج جهاد كل ضعيف)[1].

إن الحج من أهم أركان الإسلام ومبانيه، ففيه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (من مات ولم يحج، فليمت إن شاء يهودياً، وإن شاء نصرانياً)[2].

ويراد به من كانت لديه الاستطاعة وباقي الشروط، ومع ذلك تعمد عدم الذهاب، أو من ينكر هذه الفريضة الإسلامية، لا مطلقًا.

لذا فالإمام الصادق عليه السلام يوضح ذلك بقوله: (من مات و لم يحج حجة الإسلام لم يمنعه من ذلك حاجة تجحف به، أو مرض لا يطيق فيه الحج، أو سلطان يمنعه منه، فليمت يهوديًا أو نصرانيًا)[3]. في توضيح منه عليه السلام إلى المستطيع القادر على الذهاب إلى الحج، غير الممنوع، أو المصدود، وغير المطلوب، أو المطارد، ذلك أن من لا يذهب للحج من غير مانع أو عائق فهو غير مؤمن بأركان الإسلام.

فلسفة الحج:

نقف مع جملة من الأحاديث المباركة والتي تبين فلسفة الحج، وما له من بركات وأسرار، والتي منها:

١ـ الحج تواضع لله تعالى، وطاعة له سبحانه:

يقول الإمام علي عليه السلام في ذلك: (وفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِه الْحَرَام، الَّذي جَعَلَه قِبْلَةً للأَنَام، يَرِدُونَه وُرُودَ الأَنْعَام ويَأْلَهُونَ إِلَيْه وُلُوه الْحَمَام، وجَعَلَه سُبْحَانَه عَلَامَةً لِتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِه، وإِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِه)[4].

٢ـ الحج يزيد في الصحة، والرزق، والإيمان:

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: (حجوا واعتمروا تصح أجسامكم، وتتسع أرزاقكم، ويصلح إيمانكم، وتكفوا مؤونة الناس ومؤونة عيالاتكم)[٥].

٣ـ الحج تسكين للفؤاد:

قال الإمام الباقر عليه السلام: (الحج تسكين القلوب)[٦].

٤ـ الحج رضوان وغفران:

قال الإمام الصادق عليه السلام: (... و هو شعبة من رضوانه، وطريق يؤدي إلى غفرانه ...)[٧].

٥ـ مذلة للجبابرة:

قال الإمام الصادق عليه السلام: (ما من بقعة أحب إلى الله تعالى من المسعى؛ لأنه يذل فيه كل جبار)[٨].

٦ـ الحج تفقه وتعلم:

قال الإمام الرضا عليه السلام: (...لما فيه من التفقه ونقل أخبار الأئمة عليهم السلام إلى كل صقع وناحية)[٩].

آداب الإحرام للحج:

إن للحج مجموعة من الآداب، والتي على المسلم أداؤها، والتي تتوزع على جميع أعمال الحج، والتي هي:

١ـ حلية مال الحج، وطهارته، وإعطاء ما به من حقوق إلى مستحقيها من دَيْنٍ أو خمس أو زكاة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (من حج بمال حرام فقال: لبيك اللهم لبيك، قال الله له: لا لبيك ولا سعديك، حجك مردود عليك)[١٠].

٢ـ أن يكون طلبًا من أجل مرضاة الله تعالى، خاليًا من الرياء والسمعة.

قال الإمام الصادق عليه السلام: (الحج حجان: حج لله وحج للناس، فمن حج لله كان ثوابه على الله الجنة، ومن حج للناس كان ثوابه على الناس يوم القيامة)[١١].

٣ـ إخلاص النية لله مع الخوف والخشية منه تعالى.

عن مالك بن أنس قال: حججت مع الصادق عليه السلام سنة، فلما استوت به راحلته عند الإحرام كان كلما هم بالتلبية انقطع الصوت في حلقه، وكاد يخر من راحلته، فقلت: قل يا بن رسول الله، ولا بد لك من أن تقول، فقال عليه السلام: (يا بن أبي عامر، كيف أجسر أن أقول: لبيك اللهم لبيك،

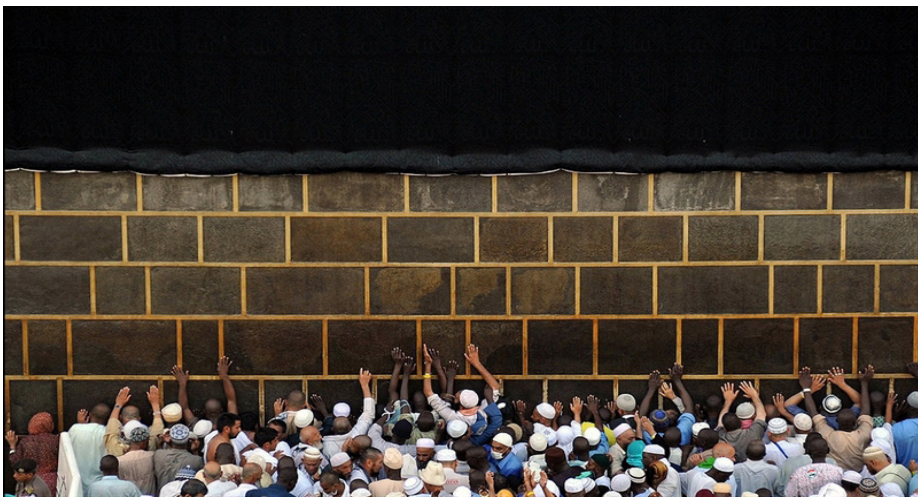

وأخشى أن يقول عز و جل لي: لا لبيك ولا سعديك)[١٢].

٤ـ الخشوع والخضوع والإقبال على الله تعالى.

قال الإمام الرضا عليه السلام: (إنما أُمروا بالإحرام ليخشعوا قبل دخولهم حرم الله وأمنه، ولئلا يلهوا ويشتغلوا بشيء من أمور الدنيا وزينتها ولذاتها، ويكونوا جادين فيما هم فيه، قاصدين نحوه، مقبلين عليه بكليتهم)[١٣].

شروط الحج ومقدماته:

إن للحج مجموعة من الشروط والمقدمات المهمة، والتي على الحاج مراعاتها، وهي:

١ـ البلوغ، فلا يجب على الصبي.

٢ـ العقل، فلا يجب على المجنون مطلقًا.

٣ـ الحرية، فلا يجب بأصل الشرع على العبد.

٤ـ الاستطاعة المالية، فلا يجب على من لم يتمكن منه من حيث المال.

٥ـ الاستطاعة البدنية، فلا يجب على الضعيف والمريض والهرم ومن أشبههم إذا كان حرجيًا في حقهم أو متعذرًا. ولمن أراد المزيد من التفصيل مراجعة الكتب الفقهية المختصة بذلك.

فوائد الحج:

إن للحج جملة من الفوائد، وبالخصوص على الصعيد الروحي، وعلى الصعيد الديني، ومن تلك الفوائد:

١ـ الحج برهان عملي من المؤمن على أنه يفضل حب الله تعالى على أهله وعمله وديار، فيتحمل مشاق السفر ومخاطر الطريق تلبية لدعوة الله تعالى وابتغاء رضوانه.

٢ـ في الحج تعويد للحاج على الصبر، وتحمل الشدائد، ومفارقة الأهل والأولاد والأوطان، وتمرين عملي على حياة الخشونة وشظف العيش.

٣ـ في الحج تقوية للإيمان وتهذيب للنفس وتكفير للذنوب، لأن المؤمن يتفرغ فيه للعبادة والتفكر وذكر الله تعالى، لا تشغله هموم الحياة ولا تفتنه بهارجها الزائلة.

٤- وفي الحج تتحقق المساواة التامة، والأخوة الإنسانية بأجلى صورها، فلا فرق بين أبيض وأسود، ولا فقير أو غني، ولا عربي وأعجمي.

٥- يكتسب المسلم في الحج ثقافة واسعة وخبرة عملية حيث يختلط بالناس بمختلف ديارهم وأوطانهم، فيتعرف عليهم وعلى أخبارهم وأحوالهم.

٦- يرى الحاج بأم عينه البقاع الطاهرة التي شهدت مولد الإسلام ونبيه الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وباقي الأئمة المعصومين عليهم السلام ومدافنهم الطاهرة، مع تلك المواقف التي شهدت قوة الإسلام وانتشاره.

الإمام الصادق عليه السلام يبين أسرار الحج:

نقف عند حديث الإمام الصادق عليه السلام والذي يبين فيه جملة من أسرار الحج، والتي علينا معرفتها:

قال عليه السلام في حديث طويل له: (...إذا أردت الحج فجرد قلبك لله تعالى من كل شاغل وحجاب حاجب، وفوض أمورك كلها إلى خالقك، وتوكل عليه في جميع ما تظهر من حركاتك وسكناتك، وسلم لقضائه وحكمه وقدره، ودع الدنيا والراحة والخلق، واخرج من حقوق يلزمك من جهة المخلوقين.

ولا تعتمد على زادك وراحلتك وأصحابك وقوتك وشبابك ومالك مخافة أن يصير ذلك عدوًا ووبالًا فإن من ادعى رضا الله واعتمد على ما سواه صيره عليه وبالًا وعدوًا ليعلم أنه ليس له قوة وحيلة ولا لأحد إلّا بعصمة الله وتوفيقه فاستعد استعداد من لا يرجو الرجوع وأحسن الصحبة.

وراع أوقات فرائض الله وسنن نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وما يجب عليك من الأدب والاحتمال والصبر والشكر والشفقة والسخاوة وإيثار الزاد على دوام الأوقات.

ثم اغسل بماء التوبة الخالصة ذنوبك.

والبس كسوة الصدق والصفا والخضوع والخشوع.

وأحرم من كل شيء يمنعك عن ذكر الله ويحجبك عن طاعته.

ولبِ بمعنى إجابة صادقة صافية خالصة

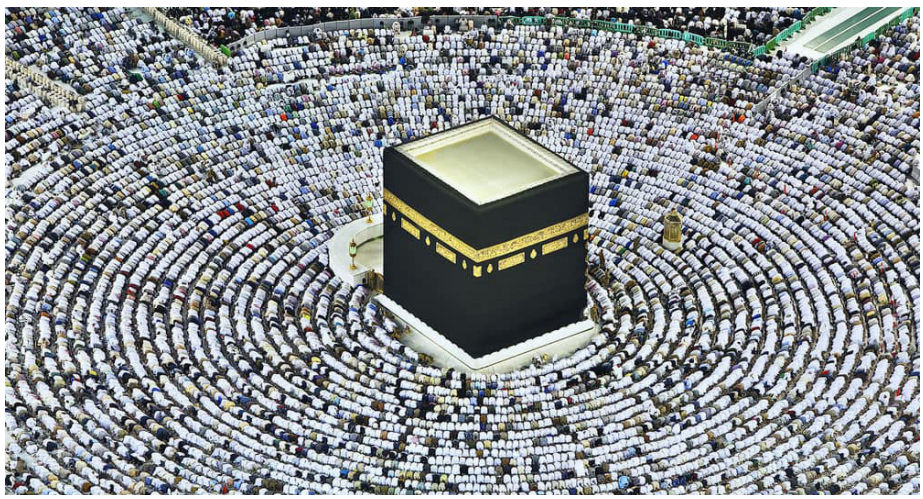

زاكية لله تعالى في دعوتك متمسكاً بالعروة الوثقى.

وطف بقلبك مع الملائكة حول العرش كطوفك مع المسلمين بنفسك حول البيت.

وهرول هرولة من هواك وتبرأ من حولك وقوتك.

واخرج من غفلتك وزلاتك بخروجك إلى منى ولا تتمن ما لا يحل لك، ولا تستحقه.

واعترف بالخطايا بعرفات، وجدد عهدك عند الله تعالى بوحدانيته وتقرب إليه.

واتقه بمزدلفة، واصعد بروحك إلى الملأ الأعلى بصعودك على الجبل.

واذبح حنجرة الهوى والطمع عند الذبيحة.

وارم الشهوات والخساسة والدناءة والذميمة عند رمي الجمرات.

واحلق العيوب الظاهرة والباطنة بحلق شعرك.

وادخُل في أمان الله وكنفه وستره وكلاءته من متابعة مرادك بدخولك الحرم.

ودر حول البيت متحققًا لتعظيم صاحبه ومعرفة جلاله وسلطانه.

واستلم الحجر رضًا بقسمته وخضوعًا لعزته.

وودع ما سواه بطواف الوداع.

واصف روحك وسرك للقائه يوم تلقاه بوقوفك على الصفا.

وكن بمرأى من الله، نقيًا أوصافك عند المروة.

واستقم على شرط حجتك هذه ووفاء عهدك الذي عاهدت به مع ربك وأوجبته له إلى يوم القيامة، واعلم بأن الله تعالى لم يفرض الحج ولم يخصه من جميع الطاعات بالإضافة إلى نفسه بقوله تعالى: **(وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا)**.

ولا شرع نبيه سنة في خلال المناسك على ترتيب ما شرعه إلّا للاستعانة والإشارة إلى الموت والقبر والبعث والقيامة وفضل بيان السبق من الدخول في الجنة أهلها ودخول النار أهلها بمشاهدة مناسك الحج من أولها إلى آخرها لأولي الألباب وأولي النهى)[١٤].

وبذلك تتوضح لنا آداب وأسرار وفوائد الحج، والذي هو فريضة وركن إسلامي مهم، تكتنف في داخله جملة أسرار، على المسلم معرفتها، والتوق إلى عملها، ففيها طاعة الله تعالى، وفيها نجاته، وفيها سعة رزقة، وزيادة حسناته.

والحمد لله رب العالمين.

١ـ الخصال، ص ٦٢٠.
٢ـ المحجة البيضاء، ج ٢، ص ١٨٩.
٣ـ المصدر السابق.
٤ـ نهج البلاغة، الخطبة ١.
٥ـ ثواب الأعمال، ص ٧٠.
٦ـ أمالي الطوسي، ص ٢٩٦.
٧ـ أمالي الصدوق، ص ٤٩٣.
٨ـ البحار، ج ٩٩، ص ٤٥.
٩ـ عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ١١٩.
١٠ـ الدر المنثور، ج ٢، ص ٦٣.
١١ـ ثواب الأعمال، ص ٧٤.
١٢ـ الخصال، ص ١٦٧.
١٣ـ الوسائل، ج ٩، ص ٣.
١٤ـ مصباح الشريعة، الحج، والمحجة البيضاء، ج ٢، ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧.

من روائع نهج البلاغة

جاء في إحدى خطب أمير المؤمنين عليه السلام ذكر الحج، فقال:

(.... وفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِه الْحَرَامِ، الَّذِي جَعَلَه قِبْلَةً لِلأَنَامِ، يَرِدُونَه وُرُودَ الأَنْعَامِ ويَأْلَهُونَ إِلَيْه وُلُوه الْحَمَامِ، وجَعَلَه سُبْحَانَه عَلَامَةً لِتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِه، وإِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِه، واخْتَارَ مِنْ خَلْقِه سُمَّاعًا أَجَابُوا إِلَيْه دَعْوَتَه، وصَدَّقُوا كَلِمَتَه ووَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِه، وتَشَبَّهُوا بِمَلَائِكَتِه الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِه، يُحْرِزُونَ الأَرْبَاحَ فِي مَتْجَرِ عِبَادَتِه، ويَتَبَادَرُونَ عِنْدَه مَوْعِدَ مَغْفِرَتِه، جَعَلَه سُبْحَانَه وتَعَالَى لِلإِسْلَامِ عَلَمًا، ولِلْعَائِذِينَ حَرَمًا فَرَضَ حَقَّه وأَوْجَبَ حَجَّه، وكَتَبَ عَلَيْكُمْ وِفَادَتَه، فَقَالَ سُبْحَانَه: **(ولله عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْه سَبِيلًا، ومَنْ كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ)**.

(نهج البلاغة/ ص٤٥)

الإحرام.. مواقيته وآدابه

محمد علي جعفر
كاتب وباحث إسلامي/ بغداد

ينابيع مكة البلد الحرام التي فيها البيت الحرام، هو أول بيت وضع للناس ليعبدوا الله فيه (**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا**)، ثم فرض الله حجه على المسلمين، فقال سبحانه: (**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**) (آل عمران: ٩٦-٩٧).

ولحرمة هذا البيت وعظمته، ولترسيخ هيبته في نفوس المسلمين وبيان مكانته عند الله، فرض الله سبحانه الإحرام على المسلم قبل دخول مكة لحج أو عمرة، (فإنه لا يجوز دخولها إلّا محرمًا)[1]، إلّا في بعض الموارد، وقد ذكرها الفقهاء في رسائلهم العملية.

فالإحرام منسك من مناسك الحج والعمرة، وهو بمثابة الطهارة للصلاة، فكما لا صلاة بلا طهارة، كذلك لا عمرة أو حج بلا إحرام.

حِكمةُ الإحرام

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: وَجَبَ الإحرامُ لعلّة الحَرَم[2].

وكذلك حديث الإمام الرضا عليه السلام: فإن قيل: فلمَ أُمروا بالإحرام؟ قيل: لأن يَخشَعوا قبلَ دُخولهم حَرَمَ الله وأمنَهُ، ولئلاّ يَلهوا ويَشتَغلوا بشيء من أُمور الدُّنيا وزينَتها ولَذّاتها، ويَكونوا صابرينَ فيما هُم فيه قاصدينَ نَحوَهُ مُقبلينَ عَليه بكُلِّيّتهم، مَعَ ما فيه من التَّعظيم لله عَزَّ وجَلَّ ولبَيته، والتَّذَلُّل لأنفُسهم عندَ قَصدهم إلى الله تَعالى، ووفادَتهم إليه، راجينَ ثوابَهُ، راهبينَ من عقابه، ماضينَ نَحوَهُ، مُقبلينَ إليه بالذُّلِّ والاستكانة والخُضوع[3].

المواقيت

المواقيت: جمع ميقات، والميقات: معناه في اللغة موضع الإحرام للحاج أو المعتمر، وهو موافق للمعنى الشرعي. والمواقيت على قسمين: زمانية ومكانية[4]:

المواقيت الزمانية: هي الأشهُر المعلومة التي بينها الله تعالى في كتابه

العزيز بقول: (**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ**...) (البقرة:١٩٧). فيجب على كل مكلف مستطيع للحج أن يحج في هذه الأشهر المعلومات التي هي: شوال، وذو القعدة، وذو الحجة، كما ورد ذلك عن الإمام الباقر عليه السلام[٥].

هذا بالنسبة إلى الحج، وأما بالنسبة إلى العمرة المفردة، فقد جعل الله تعالى وقتها أوسع من وقت الحج، وهي طيلة أيام السنة.

والمواقيت المكانية: هي الحدود التي لا يجوز للحاج أن يتعداها إلا بإحرام منها أو ما يحاذيها، وهذه المواقيت محيطة بمكة المكرمة من جميع جهاتها، فلكل حاج قادم من مصر من الأمصار نحو مكة، هناك أماكن خصصتها الشريعة الإسلامية المطهرة للإحرام منها، فعن الإمام الصادق عليه السلام: الإحرامُ من مَواقيتَ خَمسَة وَقَّتَها رَسولُ اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، لا يَنبَغي لحاجٍّ ولا لمُعتَمِر أن يُحرِمَ قَبلَها ولا بَعدَها... ولا يَنبَغي لأحَد أن يَرغَبَ عَن مَواقيتِ رَسولِ اللّه صلى الله عليه وآله وسلم[٦].

وقد حدد لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه المواقيت، فعن الإمام الصادق عليه السلام: من تَمام الحَجِّ والعُمرَة أن تُحرِمَ منَ المَواقيتِ الَّتي وَقَّتَها رَسولُ اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، ولا تُجاوِزَها إلاّ وأنتَ مُحرِمٌ، فإنَّهُ وَقَّتَ لأهلِ العِراقِ – ولَم يَكُن يَومَئِذ عِراقٌ - (بَطنَ العَقيقِ) من قِبَلِ أهلِ العِراقِ، ووَقَّتَ لأهلِ اليَمَنِ (يَلَملَمَ)، ووَقَّتَ لأهلِ الطّائفِ (قَرنَ المَنازِلِ)، ووَقَّتَ لأهلِ المَغرِبِ (الجُحفَةَ) وهيَ مَهيَعَةُ، ووَقَّتَ لأهلِ المَدينَةِ (ذَا الحُلَيفَةِ) ـ مسجد الشجرة ـ[٧].

هذه هي المواقيت الرئيسة، تضاف

اليها مواقيت أخرى ذكرها الفقهاء لمن يتعذر عليه المرور بتلك المواقيت المذكورة. وهي[٨]:

١ـ مكة: وهي ميقات حج التمتع.

٢ـ المنزل الذي يسكنه المكلف: وهو ميقات من كان منزله دون الميقات إلى مكة، فإنه يجوز له الإحرام من منزله ولا يلزم عليه الرجوع إلى المواقيت.

٣ـ الجعرانة: وهي ميقات أهل مكة لحج القران أو الإفراد.

٤ـ محاذاة مسجد الشجرة: فإن من أقام بالمدينة شهرًا أو نحوه وهو يريد الحج، ثم بدا له أن يخرج في غير طريق المدينة، فإذا سار ستة أميال كان محاذيًا للمسجد، ويحرم من محل المحاذاة.

٥ـ أدنى الحل: (يعني قبيل الدخول إلى منطقة الحرم المحيطة بمكة، وهي المنطقة التي لا يجوز لحاج دخولها إلّا مُحرمًا)[٩]. (وهو ميقات العمرة المفردة بعد حج القران أو الإفراد، بل لكل عمرة مفردة لمن كان بمكة وأراد الاتيان بها، والأفضل أن يكون من الحديبية أو الجعرانة، أو التنعيم)[١٠]. وبذلك تكون مجموع المواقيت عشرة بحسب الرسائل العملية لدى الفقهاء.

كيفيَّة الإحرام

يبدأ الإحرام بارتداء ثوبي الإحرام (الإزار والرداء)، والنية للإحرام، ثم تعقبه التلبية، وقد بين لنا أئمة أهل البيت عليهم السلام كيفية الإحرام، فعن الإمام الصادق عليه السلام: (لا يَكونُ إحرامٌ إلّا في دُبُرِ صَلاة مَكتوبَة، أحرَمتَ في دُبُرِها بَعدَ التَّسليم. وإن كانَت نافلَةً صَلَّيتَ رَكعَتَين، وأحرَمتَ في دُبُرِهما. فَإذَا انفَتَلتَ من صَلاتكَ فَاحمَد اللّهَ وأثنِ عَلَيهِ، وصَلِّ عَلَى النَّبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وقُل ـ استحباباً ـ : (اللّهُمَّ إنّي أسأَلُكَ أن تَجعَلَني ممَّن استَجابَ لَكَ وآمَنَ بوَعدكَ واتَّبَعَ أمرَكَ، فَأنّي عَبدُكَ وفي قَبضَتكَ، لا أُوقى إلاّ ما وَقَيتَ، ولا آخُذُ إلاّ ما أعطَيتَ، وقَد ذَكَرتَ الحَجَّ فَأسأَلُكَ أن تَعزمَ لي عَلَيه وعَلى كتابكَ وسُنَّة نَبيِّكَ، وتُقَوِّيَني عَلى ما ضَعُفتُ عَنهُ، وتُسَلِّم منّي مَناسكي في يُسر منكَ وعافيَة، واجعَلني من وَفدكَ الَّذي رَضيتَ وارتَضَيتَ وسَمّيتَ وكَتَبتَ. اللّهُمَّ فَتَمِّم لي حَجَّتي وعُمرَتي. اللّهُمَّ إنّي أُريدُ التَّمَتُّعَ بالعُمرَة إلَى الحَجِّ عَلى كتابكَ وسُنَّة نَبيِّكَ صَلَّى اللّهُ عَلَيه وآله، فَإن عَرَضَ لي شَيءٌ يَحبسُني فَخَلِّني حَيثُ حَبَستَني، لقَدَركَ الَّذي قَدَّرتَ عَلَيَّ، اللّهُمَّ إن لَم تَكُن حَجَّةٌ فَعُمرَةٌ، أحرَمَ لَكَ شَعري وبَشَري ولَحمي ودَمي وعظامي ومُخّي وعَصَبي منَ النِّساء والثِّياب والطيب، أبتَغي بذلكَ وَجهَكَ والدّارَ الآخرَةَ).

ويُجزيكَ أن تَقولَ هذا مَرَّةً واحدَةً حينَ تُحرمُ. ثُمَّ قُم فَامشِ هُنَيئَةً، فَإذَا استَوَت بكَ الأرضُ - ماشيًا كُنتَ أو راكبًا - فَلَبِّ[١١].

التَّلبيَة

إن ارتداء ثوبي الإحرام وما تلاه من نية للإحرام مع الأذكار والأدعية المسنونة، ليس كافيًا ليكون الحاج أو المعتمر مُحرمًا، إلّا بعد أن يجهر بالتلبية، وهو قوله: (لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك)، فإذا لبّى كذلك، أصبح مُحرمًا، وحرمت عليه أشياء معينة كالمقاربة الجنسية للنساء، والطيب، ولبس الثياب المخيطة والتدهين، والصيد وغير ذلك[١٢].

فالتلبية في الإحرام، بمثابة تكبيرة الإحرام في الصلاة، فكما لا يدخل في الصلاة إلّا بعد تكبيرة الإحرام، ولا يجوز

ميقات ذو الحليفة
مسجد الشجرة

لمن أتى بها ـ تكبيرة الإحرام ـ، أن يأتي بمنافيات الصلاة، فكذلك (لا ينعقد إحرام حج التمتع وإحرام عمرته، ولا إحرام حج الإفراد، ولا إحرام حج العمرة المفردة إلا بالتلبية)[١٣]، فلا يجوز لمن لبس ثوبي الإحرام ثم لبّى، أن يأتي بمنافيات الإحرام.

عن سُلَيمانُ بنُ جَعفَر: سَأَلتُ أبَا الحَسَن الرضا عليه السلام عَن التَّلبيَة وعلَّتها، فَقالَ: إنَّ النّاسَ إذا أحرَموا نَادَاهُمُ اللّه عَزَّ وجَلَّ، فَقالَ: عبادي وإمائي، لأحَرِّمَنَّكُم عَلَى النّار، كَما أحرَمتُم لي، فَقَولُهُم: (لَبَّيكَ اللّهُمَّ لَبَّيكَ)، إجابَةٌ للّه عَزَّ وجَلَّ عَلى نِدائِه إياهُم[١٤].

كيفيَّة التَّلبية

لقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام كيفية التلبية، فقال عليه السلام: إنَّ رَسولَ اللّه صلى الله عليه وآله وسلم لَمَّا انتَهى إلَى البَيداء - حَيثُ المَيلُ - قُرِّبَت لَهُ ناقَةٌ فَرَكِبَها، فَلَمَّا انبَعَثَت بِهِ لَبّى بِالأربَعِ، فَقالَ: (لَبَّيكَ اللّهُمَّ لَبَّيكَ، لَبَّيكَ لا شَريكَ لَكَ لَبَّيكَ، إنَّ الحَمدَ وَالنِّعمَةَ لَكَ وَالمُلكَ، لا شَريكَ لَكَ)[١٥].

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام: لَمّا لَبّى رَسولُ اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قالَ: (لَبَّيكَ اللّهُمَّ لَبَّيكَ، لَبَّيكَ لا شَريكَ لَكَ لَبَّيكَ، إنَّ الحَمدَ والنِّعمَةَ لَكَ والمُلكَ، لا شَريكَ لَكَ لَبَّيكَ، لَبَّيكَ ذَا المَعارِجِ لَبَّيكَ. وكانَ صلى الله عليه وآله وسلم يُكثِرُ من ذي المَعارِجَ، وكانَ يُلَبّي كُلَّما لَقيَ راكِبًا، أو عَلا أكَمَةً، أو هَبَطَ واديًا، ومِن آخِرِ اللَّيلِ، وفي أدبارِ الصَّلَواتِ[١٦].

وقد ورد أيضًا عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: (التَّلبيَةُ: لَبَّيكَ اللّهُمَّ لَبَّيكَ، لَبَّيكَ لا شَريكَ لَكَ لَبَّيكَ، إنَّ الحَمدَ والنِّعمَةَ لَكَ والمُلكَ، لا شَريكَ لَكَ لَبَّيكَ، لَبَّيكَ ذَا المَعارِجِ لَبَّيكَ، لَبَّيكَ داعيًا إلَى دارِ السَّلامِ لَبَّيكَ، لَبَّيكَ غَفّارَ الذُّنوبِ لَبَّيكَ، لَبَّيكَ أهلَ التَّلبيَةِ لَبَّيكَ، لَبَّيكَ ذَا الجَلالِ والإكرامِ لَبَّيكَ، لَبَّيكَ تُبدِئُ والمَعادُ إلَيكَ لَبَّيكَ، لَبَّيكَ

مسجد ميقات ذات عرق

تَستَغني ويُفتَقَرُ إليكَ لَبَّيكَ، لَبَّيكَ مَرهوبًا ومَرغوبًا إليكَ لَبَّيكَ، لَبَّيكَ إلهَ الحَقِّ لَبَّيكَ، لَبَّيكَ ذَا النَّعماء والفَضل والحَسَن الجَميل لَبَّيكَ، لَبَّيكَ كَشَّافَ الكُرَب العِظَام لَبَّيكَ، لَبَّيكَ عَبدُكَ وابنُ عَبدَيكَ لَبَّيكَ، لَبَّيكَ يا كَريمُ لَبَّيكَ).... وأكثر مَا استَطَعتَ واجهَر بها، وإن تَرَكتَ بَعضَ التَّلبيَة فَلا يَضُرُّكَ، غَيرَ أنَّ تَمامَها أفضَلُ. واعلَم أنَّهُ لابُدَّ لَكَ مِنَ التَّلبيات الأربَع في أوَّل الكَلام، وهيَ الفَريضَةُ، وهيَ التَّوحيدُ، وبها لَبَّى المُرسَلونَ. وأكثر من ذي المَعارج، فإنَّ رَسولَ اللّه صلى الله عليه وآله وسلم كانَ يُكثرُ منها، وأوَّلُ مَن لَبّى إبراهيمُ عليه السلام، قالَ: (إنَّ اللّه يَدعوكُم إلى أن تَحُجّوا بَيتَهُ) فَأجابوهُ بالتَّلبيَة، فَلَم يَبقَ أحَدٌ أخَذَ ميثاقَهُ بالمُوافاة في ظَهرِ رَجُل ولا بَطنِ امرَأة إلاّ أجابَ بالتَّلبيَة[17].

ثوابُ التَّلبيَة

لقد وردت عدة روايات عن ثواب التلبية، منها:

١ـ عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قال: ما من حاجٍّ يُضحي مُلَبِّيًا حَتّى تَزولَ الشَّمسُ، إلاّ غابَت ذُنوبُهُ مَعَها[18].

٢ـ وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ما من مسلم يضحّي للّه يلبّي حتّى تغيب الشمس إلّا غابت بذنوبه، فعاد كما ولدته أمّه[19].

٣ـ كذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم: مَن لَبّى في إحرامِهِ سَبعينَ مَرَّةً إيمانًا واحتسابًا، أشهَدَ اللّه لَهُ ألفَ ألف مَلَك ببَراءَة مِنَ النّارِ وبَراءَة مِنَ النِّفاق[20].

آدابُ التَّلبيَة

وردت عن أئمة أهل البيت عليهم السلام عدة آداب للتلبية، أهمها:

* **الخُشوع:**

ـ عن سُفيان بن عُيَينَة: حَجَّ زَينُ العابدين عليه السلام، فَلَمّا أحرَمَ واستَوَت به راحِلَتُهُ اصفَرَّ لَونُهُ ووَقَعَت عَلَيهِ الرِّعدَةُ، ولَم يَستَطِع أن يُلَبّي. فَقيلَ: ألا تُلَبّي؟ فَقالَ: أخشى أن يَقولَ لي: لا لَبَّيكَ ولا سَعدَيكَ! فَلَمّا لَبّى خَرَّ مَغشيًّا عَلَيهِ وسَقَطَ عَن راحلته، فَلَم يَزَل يَعتَريهِ ذلكَ حَتّى قَضى حَجَّهُ[21].

ـ عن مالك بن أنَس: حَجَجتُ مَعَهُ (أي الإمام الصّادق عليه السلام) سَنَةً، فَلَمّا استَوَت بِهِ راحِلَتُهُ عِندَ الإحرام كانَ كُلَّما هَمَّ بالتَّلبيَة انقَطَعَ الصَّوتُ في حَلقه، وكادَ أن يَخِرَّ من راحلته، فَقُلتُ: قُل يَا ابنَ رَسول اللّه، ولابُدَّ لَكَ من أن تَقول. فَقالَ: يَا أبَتِ أبي عامر، كَيفَ أجسُرُ أن أقولَ: (لَبَّيكَ اللّهُمَّ لَبَّيكَ) وأخشى أن يَقولَ تَعالى لي: لا لَبَّيكَ ولا سَعدَيكَ؟![22]

* **الإكثار:**

من آداب التلبية تكرارها والإكثار منها،

فقد ورد: إنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ يُكثرُ منَ التَّلبيَة [٢٣].

رَفعُ الصَّوت للرِّجال:

يستحب للرجال رفع صوتهم في التلبية، فقد روي عن رسول الله ﷺ قوله: أتاني جبرَئيل عليه السلام فقالَ: إنَّ اللّه عَزَّ وجَلَّ يَأمُرُكَ أن تأمُرَ أصحابَكَ أن يَرفَعوا أصواتَهُم بالتَّلبيَة، فإنَّها شعارُ الحَجِّ [٢٤].

وعن الامام الصادق عليه السلام: لَيسَ عَلَى النِّساء جَهرٌ بالتَّلبيَة [٢٥].

*** قَطعُ التَّلبيَة عندَ رؤيَة بُيوت مكَّة:**

فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: المُتَمَتِّعُ إذا نَظَرَ إلى بُيوتِ مَكَّةَ قَطَعَ التَّلبيَة [٢٦].

وعنه عليه السلام أيضًا: إذا دَخَلتَ مَكَّةَ وأنتَ مُتَمَتِّعٌ فَنَظَرتَ إلى بُيوتِ مَكَّةَ فَاقطَعِ التَّلبيَة [٢٧].

ما لا يَجوزُ للمُحرِم

لقد حددت الشريعة المقدسة التروك (ما يحرم على المحرم) التي ينبغي للمحرم الالتزام بها، وذلك من خلال آيات القرآن الكريم والسنة الشريفة، فقد قال تعالى:

(يا أيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَقتُلُوا الصَّيدَ وأنتُم حُرُمٌ ومَن قَتَلَهُ منكُم مُتَعَمِّدًا فَجَزاءٌ مثلُ ما قَتَلَ منَ النَّعَمِ يَحكُمُ بِه ذَوا عَدلٍ مِنكُم هَديًا بالِغَ الكَعبَةِ أو كَفّارَةٌ طَعامُ مَساكينَ أو عَدلُ ذلكَ صيامًا لِيَذوقَ وَبالَ أمرِه عَفَا اللهُ عَمّا سَلَفَ ومَن عادَ فَيَنتَقِمُ اللّهُ منهُ واللهُ عَزيزٌ ذُو انتقامٍ * أُحِلَّ لَكُم صَيدُ البَحرِ وطَعامُهُ مَتاعًا لَكُم وللسَّيّارَةِ وحُرِّمَ عَلَيكُم صَيدُ البَرِّ ما دُمتُم حُرُمًا واتَّقُوا اللهَ الَّذي إلَيهِ تُحشَرونَ) (المائدة: ٩٥-٩٦).

وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام: لا تَمُسَّ شَيئًا منَ الطِّيبِ وأنتَ مُحرِمٌ، ولا منَ الدُّهنِ، واتَّقِ الطِّيبَ، وأمسِك عَلى أنفِكَ منَ الرّيحِ الطَّيِّبَة، ولا تُمسِك عَلَيها منَ الرّيحِ المُنتِنَة؛ فَإنَّهُ لا يَنبَغي لِلمُحرِمِ أن يَتَلَذَّذَ بريحِ طَيِّبَة. واتَّقِ الطِّيبَ في زادِكَ، فَمَن ابتُلِيَ بشَيءٍ منَ ذلكَ فَليُعِد غُسلَهُ ولْيَتَصَدَّق بصَدَقَةٍ بقَدرِ ما صَنَعَ. وإنَّما يَحرُمُ عَلَيكَ منَ الطِّيبِ أربَعَةُ أشياءَ: المسكُ والعَنبَرُ والوَرسُ والزَّعفَرانُ، غَيرَ أنَّهُ يُكرَهُ للمُحرِمِ الأدهانُ الطَّيِّبَةُ، إلاَّ المُضطَرَّ إلَى الزَّيتِ أو شبهِه يَتَداوى بِه [٢٨].

وقد بينت كتب الفقه التروك التي ينبغي للمحرم أن يلتزم بها، فإذا أحرم المكلف حرمت عليه أمور، وهي خمسة وعشرون [٢٩] وكما يلي:

(١) الصيد البري (٢) مجامعة النساء (٣) تقبيل النساء (٤) لمس المرأة (٥) النظر إلى المرأة (٦) الاستمناء (٧) عقد النكاح (٨) استعمال الطيب (٩) لبس المخيط للرجال

(١٠) التكحل (١١) النظر في المرآة (١٢) لبس الخف والجورب للرجال (١٣) الكذب والسب (١٤) المجادلة (١٥) قتل القمل ونحوه من الحشرات التي تكون على جسد الإنسان (١٦) التزيين (١٧) الإدهان (١٨) إزالة الشعر من البدن (١٩) ستر الرأس للرجال وهكذا الارتماس في الماء حتى على النساء (٢٠) ستر الوجه للنساء (٢١) التظليل للرجال (٢٢) إخراج الدم من البدن (٢٣) التقليم (٢٤) قلع السن (٢٥) حمل السلاح[٣٠].

١- العروة الوثقى/السيد اليزدي/ج٤ص٥٩٨ ، وقد أجمع الفقهاء على ذلك فراجع الرسائل العملية.
٢- من لا يحضره الفقيه/الشيخ الصدوق/ج٢ص١٩٥.
٣- علل الشرايع/الشيخ الصدوق/ج١ص٢٧٤.
٤- ينظر: مناسك الحج/ السيد الكلبايكاني/ص٨١.
٥- معاني الأخبار/الشيخ الصدوق/ص٢٩٤.
٦- الكافي/الكليني/ ج٤ص٣١٩ص.
٧- تهذيب الأحكام/الشيخ الطوسي/ج٥ص٥٤.
٨- ينظر: كتاب الحج/السيد الخوئي/ج٣ص٢٩٦- وعدد من الرسائل العملية لفقهاء الإمامية.
٩- الفتاوى الواضحة/السيد محمد باقر الصدر/ ص٥٥٣.
١٠- شرح المناسك/الحج (موسوعة السيد الخوئي) تقرير بحث السيد الخوئي للخلخالي/ ج٢٨ ص٢٣٣.
١١- الكافي/الكليني/ج٤ص٣٣١.
١٢- يراجع تفصيلها في مناسك الحج في الكتب الفقهية.
١٣- مستمسك العروة الوثقى/السيد الحكيم/ ج١١ص٣٩٥.
١٤- علل الشرايع/الشيخ الصدوق /ج٢ص٤١٦.
١٥- وسائل الشيعة/الحر العاملي/ج١٢ص٣٧٦.
١٦- الكافي/الكليني/ج٤ص٢٤٩.
١٧- الكافي/ الكليني/ج٤ص٣٣٦.
١٨- من لا يحضره الفقيه/الشيخ الصدوق/ ج٢ص٢٢٢.
١٩- منتهى المطلب/العلامة الحلي/ج١٠ص٢٣٨.
٢٠- الكافي/الكليني/ج٤ص٣٣٧.
٢١- رسائل الشهيد الثاني/الشهيد الثاني/ج١ص٣٩٧.
٢٢- أمالي الشيخ الصدوق/ص٢٣٤.
٢٣- معرفة السنن والآثار/البيهقي/ج٣ص٥٥٨.
٢٤- السنن الكبرى/البيهقي/ج٥ص٤٢.
٢٥- الكافي/الكليني/ج٤ص٣٣٦.
٢٦- تذكرة الفقهاء/العلامة الحلي/ج٧ص٢٥٤.
٢٧- م.ن.
٢٨- روضة المتقين/المجلسي الأول/ج٤ص٤٢٨.
٢٩- كتاب الحج/السيد الخوئي/ج٣ص٣٦٠.
٣٠- ومن أراد المزيد فليراجع تفصيل ذلك في الرسائل العملية للفقهاء ـ باب مناسك الحج) (وسائل الشيعة: ١٢ / ٤١٥ - ٥٦٥ أبواب تروك الإحرام).

في ثواب تكريم الحاج

* عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام:

من خلَّف حاجًا في أهله وماله كان كأجره حتى كأنه يستلم الأحجار)

(وسائل الشيعة/ الحر العاملي/ ج١١ ص٤٣٠)

* وقال الإمام علي بن الحسين عليه السلام:

(يَا مَعْشَرَ مَنْ لَمْ يَحُجَّ اسْتَبْشِرُوا بِالْحَاجِّ وصَافِحُوهُمْ وعَظِّمُوهُمْ فَإِنَّ ذَلِكَ يَجِبُ عَلَيْكُمْ تُشَارِكُوهُمْ فِي الأَجْرِ).

(الكافي/ الكليني/ ج٤ ص٢٦٤)

* وقال الإمام علي بن الحسين عليه السلام:

(بَادِرُوا بِالسَّلَامِ عَلَى الْحَاجِّ والْمُعْتَمِرِ ومُصَافَحَتِهِمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُخَالِطَهُمُ الذُّنُوبُ).

(الكافي/ الكليني/ ج٤ ص٢٥٦)

* وقال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام:

(وقروا الحاج والمعتمرين فإن ذلك واجب عليكم).

(من لا يحضره الفقيه/ ج٢ ص٢٢٨)

آيةُ الطّوافِ بين الصفا والمروة
دراسةٌ تحليلية

أ.م.د. عادل عباس النصراوي

كلية التربية الأساسية – جامعة الكوفة

بداية قال سبحانه وتعالى في كتابه المجيد: **(إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ)** (البقرة: ١٥٨).

وقد نزلت هذه الآية المباركة لرفع الحرج الذي وقع فيه المسلمون عند السعي بين الصفا والمروة، إذ كان عليهما صنمان (أساف ونائلة) وكان المسلمون قد كرهوا الطواف بين الصفا والمروة، فأنزل الله تبارك وتعالى الآية المتقدمة.

إنّ سبب الحرج والكراهية كان خوفًا من أن يكون فعلهم من أفعال الجاهلية، إذ إنّ الصنمين كانا على حالهما حول الكعبة، وذلك في عمرة القضاء، ولم يكن فتح مكة بعد[1] وكان أهل الجاهلية إذا سعوا مسحوهما تيمُّنًا بهما وعبادة، وقد قيل إنّهم كانوا يكرهون السعي بينهما، فظنّ قوم أنّ في الإسلام مثل ذلك[2]، فأنزل الله تعالى الآية، وجعلهما من شعائره سبحانه، بالسعي بينهما والطواف بهما، فقال: (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ...)، إذ قدَّر العلماء محذوفًا (الطوافَ) أي أنّ طواف

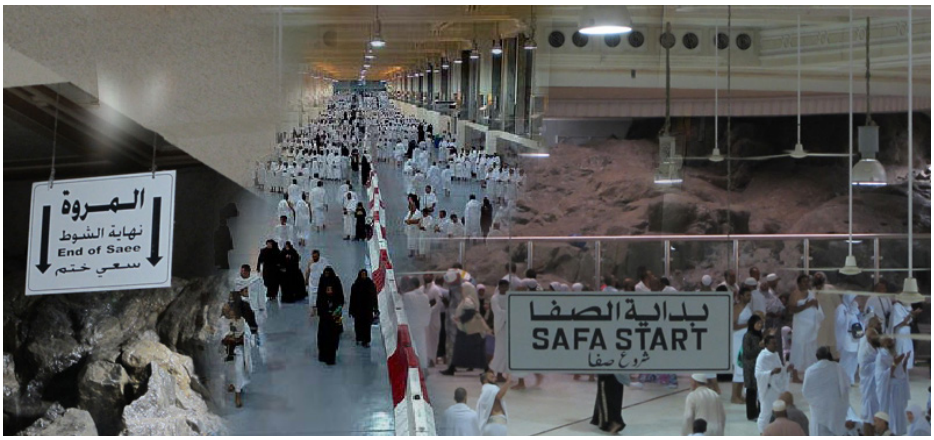

الصفا والمروة من شعائر الله، غير أنّ هذا التقدير غير مسوّغ له، إذ قال تعالى: (مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ) بعده[٣]، والشعائر جمع شَعِيرة وهَي (المعالم للأعمال، فشعائر الله: معالم الله التي جعلها مواطن للعبادة وهي أعلام متعبداته من موقف أو مسعى أو منحر، وهو مأخوذ من شعرتُ به أو علمت، وكلّ مَعْلَم لعبادة من دعاء أو صلاة أو أداء فريضة فهو مشعر لتلك العبادة)[٤]، ونقل أبو حيان الأندلسي (ت ٧٥٦هـ) عن الهروي قال: (سمعت الأزهري يقول: هي العلائم التي ندب الله إليها، وأمر القيام بها)[٥]، وهذا مُشعر لعدم أهمية تقدير محذوف لانَّ المقدّرَ معروفٌ كالمسلّم به ومتبادر إلى الذهن حال السماع.

وقد وقع الوهم في دلالة الآية المباركة بسبب من تعدّد المفاهيم المأخوذة عن النص المبارك، ولذلك تعدَّدَت الآراء في حكم السعي بين الصفا والمروة: أهو واجب أم تطوّع، أهو ركن أم لا، وكان القوم على ثلاثة أقوال:

١- إنّ السعي واجب وركن، ولا يتم الحج إلّا به، وإنّ في تركه أو بعضه يُبطل الحج. وهو رأي الإمامية، وقال به الحسن وعائشة ومالك وهو مذهب الشافعي وأصحابه، واستندوا لذلك في أنّ السُنّة قد أوجبته، وهو قوله ﷺ: (كتبَ عليكم السعي فاسعوا)، فظاهر الآية إنّما يدل على إباحة ما كرهوه من السعي[٦]، لهذا فإنّ نفي الجناح قد ورد على فعل السعي ولم يرد على عدمه، وفي هذا دلالة على الجواز بالمعنى الأعم، لا على التخيير المحض، لأنّ التخيير المحض إنّما يدل على الفعل والترك، ولم تتضمن الآية دلالة الترك.

٢- إنّ السعي واجب، وليس بركن، وهو قول أبي حنيفة وعلى تاركه دم[٧]، ودليل من أوجبه دلّ على مطلق الوجوب[٨].

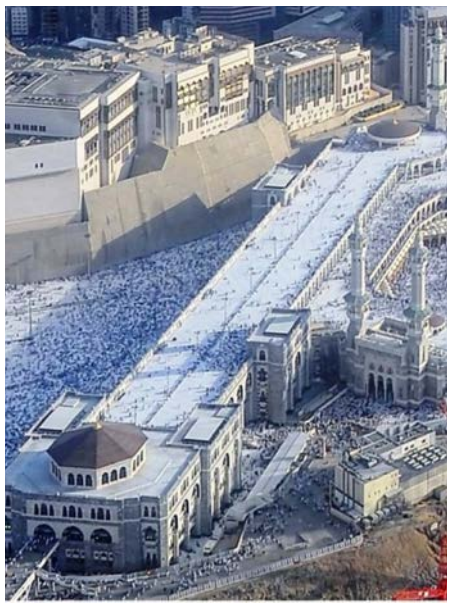

٣- إنّ السعي تطوّع، ويروى ذلك عن أنس وابن عباس وابن الزبير وعطاء ومجاهد وأحمد بن حنبل، وتنصره قراءة ابن سعد، (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لا يَطَّوَّفَ بهمَا)، ودليلهم أنّ رفع الجناح وما فيه من التخيير بين الفعل والترك [٩] كقوله تعالى: **(فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا)**(البقرة: ٢٣٠)، وقوله سبحانه: **(وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا)** (البقرة:١٥٨)، وقوله جلّ ثناؤه: **(فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ)** (البقرة: ١٨٤).

وقد استند أصحاب القولين الأول والثاني إلى ما جاء في السنة النبوية المباركة[١٠]، وما روي عنه ﷺ: (اسعوا فإن الله تبارك وتعالى كتب عليكم السعي)[١١]، وفي الحديث دلالة على الوجوب، وأما كون السعي ركنًا فإنه ثبت أنّه نسك من مناسك الحج والعمرة، أو كان منهما، فهو كالطواف، ومستند ذلك قوله ﷺ: (خذوا عني مناسككم)[١٢].

أما مستند أصحاب القول الثالث فإنهم أوّلوا (أن يطّوّف) على تقدير (ألاّ يطّوّف)

قال الفراء: (وهذا يكون على وجهين: أحدهما أن نجعل (لا) مع (أن) صلة على معنى الإلغاء كما قال: (**قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ**) (الأعراف: ١٢). والمعنى: ما منعكَ أن تسجد، والوجه الآخر أن نجعل الطواف بينهما يرخّص في تركه، والأول المعمول به)[١٣].

لكن أجدُ في السعي بين الصفا والمروة من المسلّم به، وأنّ الآية المباركة قد تجاوزت مسألة وجوده وإنّه ركن واجب، عندما عُدَّ من شعائر الله تعالى وعلامة من علامات متعبداته، ولم تشر إليه الآية بقوة لأنّه ممّا تعارف عليه كل من حج البيت أو اعتمر في الجاهلية وفي صدر الإسلام، حتى حُذف من صدر الآية، فقال تعالى: (**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ**...) الآية، ولو كان هناك حكمٌ متعلقٌ بالسعي ذاته لأشار إليه لفظًا، لكنه عندما كان مما تُسلِّمَ على وجوده ووجوبه على عادة الحجاج ترك معنى الإشارة إليه.

إذن رفع الجناح لم يكن موضوعه ذات السعي بين الصفا والمروة، وإنّما كان يشير إلى موضع الحرج الذي تعرّض له الحاج وهو وجود الصنمين عليهما، ثم أنّه لو كان رفع الجناح يشير إلى السعي ذاته لقال سبحانه: (**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ**) وسكت، وعندها سيكون رفع الجناح مطلقًا إلى السعي لا غير.

بيد أنّي أجد هذا النفي قد قُيِّد بقيد (أن يطّوّف بهما) أي أنّ رفع الجناح لا يكون إلّا بالطواف بهما، رغم وجود الصنمين وتحرجهم منهما، فكان الطواف بهما علة في رفع الجناح لا شرطًا في وقوعه، وقد تنبه الطبرسي إلى ذلك، فقال: (فرجع رفع الجُناح عن الطواف بهما إلى تحرجهم عن الطواف بهما لأجل الصنمين لا إلى عين الطواف، كما لو كان الإنسان محبوسًا في موضع لا يمكن الصلاة إلّا بالتوجه إلى ما يكره التوجيه إليه من المخرج وغيره، فيقال له: لا جُناح عليك في الصلاة إلى ذلك المكان، فلا يرجع رفع الجناح إلى عين الصلاة، لأنّ عين الصلاة واجبة وإنّما يرجع إلى التوجه إلى ذلك المكان)[١٤].

وإنّ وقوف الآية عند قوله: (أن يطّوّف بهما) دليل وجوب الطواف والسعي، لأنّ

ظاهر النص بعده يشير إلى التطوّع، إذ أنّ النص ابتدأ بجملة جديدة حين استأنف الحديث بقوله سبحانه: (**وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا**)، وهذا مما لا يدع شكًا لوجوبه، ولو لم يأت بهذه الجملة الاستئنافية الجديدة، لأطلقَ الدلالة واحتمل الوجوب والتطوع في السعي والطواف.

إذن في الآية إجمال وتفصيل، فقد أجمل سبحانه في المواضع التي تسالم عليها الحجيج، وفصّل في نفي الجناح، وموضعه والتطوّع ومكامنه لأنّه كان موضعًا لسبب نزول الآية وبيان أحكامها، ففصّل بها فأحكم التفصيل.

ثم قد يتساءل أحدٌ: لماذا قال تعالى: (أن يطَّوَف بهما)؟ فجيء بالمصدر المؤول من (أن والفعل) الذي يبدو أنّ مجيئه فيه الدلالة على الزمن الماضي والمستقبل[١٥]، وأنّ القرينة هي التي تحدد ذلك الزمن، ولما لم توجد قرينة محددة لزمن معين، دلّت الآية على الزمنين الماضي والمستقبل أي أنّ عدم وجود القرينة قد ناسب نفي الجُناح عن المسلمين قبل نزول الآية وبعدها. ولو جاء بالمصدر الصريح (التطوّف) لوقع الإبهام، لأنّ المصدر الصريح يدل على مطلق الزمن، وعندها لم تُعرف حدود الزمن أهو الماضي أم الحاضر أم المستقبل، وعندها ستختلف الأحكام في السعي والطواف وتزداد الاحتمالات وهذا مما لا يدعو له النص المبارك.

ثم أنّه جاء بحرف الجر (بهما) ولم يقل (بينهما)، فلو قال بينهما لم يدخل فعل الطواف على الجبلين (الصفا والمروة)، وهذا ليس مطلوب الآية أيضًا، فمجيء حرف الجر الباء الدال على الإلصاق، أي أنّ على الطائف أن يسحق بأقدامه سفحيهما اللذَيْن نُصب عليهما الوثنان (أساف ونائلة)، وفي هذا مغزى كبير، ذلك أنّ المسلمين كانوا حديثي عهد بالإسلام، ومازالت أدران الجاهلية عالقة في صدورهم، من تقديس الصنم ورمزيته، فدفع اللّه بهم إلى المواجهة مع هذين الرمزين والطواف بالجبلين مع وجود الصنمين قبل فتح مكة، لغرض تجاهلهما وانتصار القيم الجديدة على قيمهم القديمة.

أما المغزى من الطواف بهما بعد الفتح وتكسير الأصنام فهو لأجل تمكين النفوس المسلمة من التقدم خطوة أخرى بعد تجاهل الصنمين إلى سحقهما بأقدامهم

والوقوف عليهما انتصاراً لوحدانية الله وأن لا إله إلّا هو، وإسقاط رمزية الصنم من نفوسهم.

ويُستفاد أيضًا من صيغة الفعل (يتطوّف) الذي جاء على زنة (يتفعّل) الثلاثي المزيد بحرفين المطاوع لصيغة (فعّل) الذي يفيد التكثير، إذ إنّ من معانيها العمل المتكرر، في مهلة نحو جرّعتك الماء فتجرّعته أي كَثّرتُ لك جرع الماء، فتقبّلت ذلك التكثير[١٦].

وهذا يعني أنّ (يطّوّف) تفيد كثرة التطوّف حولهما، ولو أراد طوفة واحدة لقال (يطوف) التي تعني أداء الفعل لمرة واحدة، لكنه كثّر ذلك عندما جاء بصيغة (يطّوّف) الدالة على تكرار فعل الطواف مرة بعد مرة في مهلة، وأنّ السنة النبوية هي التي حدّدت العدد بسبع مرات.

وقد ناسب هذا الفعل أيضًا طريقة السعي والطواف، فقال (يطّوّف) فقلب التاء طاءً وأدغم في الطاء الثانية، لأنّهما من مخرج واحد وكلاهما أسناني شفوي، وشديد ومهموس، إلّا أنّ الطاء صوت مطبق، والتاء منفتح[١٧]، فتوافق الحرفان في أكثر الصفات واتحدا مع بعضهما، فكانت الغلبة لصوت الطاء لما فيه من الإطباق الذي أفقد صوت التاء خاصية الانفتاح، فنتج عن ذلك إدغامهما. (وأنّ الإدغام أنبى اللسان عن المثلين نبوة واحدة فصارا لذلك كالحرف الواحد)[١٨]، وهذا ممّا قلّل الزمن المستغرق في نطقهما وأسرع، فضلًا عن ذلك نجد في موضع الطاء الأولى قلقلة صغرى التي تؤدي إلى حفز على موضعها وضغط مما يُناسب حالة السعي الذي هو (عدوٌ دون الشدّ)[١٩]، ولو جاء الفعل على صيغة (يتطوّف) لاحتيج إلى زمن أطول، مع رفع القلقلة التي ينعدم معها الحفز والضغط على التاء أو الطاء، فيأتي الفعل على صيغته الطبيعية من الأداء الخالي من السرعة والضغط، فضلاً عن قلة العناء والتعب، في حين يُصاحب السعي شدة وتعب وعناء وسرعة، وهذا مما ناسب صيغة (يطّوّف).

١- ظ: التبيان /الطوسي :٢٤٤.
٢- ظ: م . ن.
٣- ظ: البحر المحيط /أبو حيان : ٦٥١/١.
٤- م . ن.
٥- م . ن : ٦٤٧/١.
٦- ظ: التبيان /الطوسي: ٢٤٠/١ ، ظ: الكشاف / الزمخشري: ٢٣٤/١.
٧- ظ: الكشاف /الزمخشري: ٢٣٤/١ ، تفسير آيات الأحكام /محمد علي السايس: ٣٨/١.
٨- ظ: المغني /ابن قدامة: ٤٠٨/٣.
٩- ظ: م . ن:٢٣٤/١، معاني القرآن /الفراء: ٩٥/١، البحر المحيط /ابن حيان: ٦٥١/١، تفسير آيات الاحكام /محمد علي السايس:٣٩/١.
١٠- ظ: تفسير آيات الأحكام /محمد علي السايس: ٣٨/١-٣٩.
١١- الطبقات الكبرى/ابن سعد/ج٨ص٢٤٧، تذكرة الفقهاء/العلامة الحلي/ج ٨ ص١٣٦.
١٢- الانتصار/الشريف المرتضى/ص٢٥٤.
١٣- معاني القرآن / الفراء: ٩٥/١ ، ظ: تفسير آيات الاحكام /محمد علي السايس: ٣٩/١.
١٤) مجمع البيان /الطبرسي: ٢٤٠/١ ، ظ: الطراز الاول /ابن معصوم: ٤ /٢٩٦-٢٩٧ – جنح.
١٥- ظ: الأشباه والنظائر /السيوطي: ٤ /٦٩.
١٦- ظ: شرح الشافية /ابن الحاجب: ٧٦/١ ، شذا العرف /أحمد الحملاوي:٤٥.
١٧- ظ: سر صناعة الإعراب /ابن جني: ٦٠/١ ، الأصوات اللغوية / د. إبراهيم أنيس: ٥٨.
١٨- الخصائص /ابن جني: ٤٩٦/٢.
١٩- لسان العرب /ابن منظور: ٢٧١/٦- سعى.

ثواب من مات حاجًا

* عَنْ الإمام أَبِي عَبْدِ الله الصادق عليه السلام قَالَ:

(من مات مُحرِمًا بُعث يوم القيامة مُلبِّيًا).

(من لا يحضره الفقيه/ ج٢ص٢٢٩)

* عَنْ الإمام أَبِي عَبْدِ الله الصادق عليه السلام قَالَ:

(مَنْ مَاتَ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ ذَاهِباً أَوْ جَائِياً أَمِنَ مِنَ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

(الكافي/ الكليني:ج٤ص٢٦٣)

* عَنْ الإمام أَبِي عَبْدِ الله الصادق عليه السلام قَالَ:

(من مات في أحد الحرمين بعثه الله من الآمنين، من مات بين الحرمين لم ينشر له ديوان).

(البحار/ المجلسي/ ج٧ص٣٠٢)

* عَنْ هَارُونَ بْنِ خَارِجَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الله (الصادق عليه السلام) يَقُولُ:

(مَنْ دُفِنَ فِي الْحَرَمِ أَمِنَ مِنَ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ. فَقُلْتُ لَه: مِنْ بَرِّ النَّاسِ وفَاجِرِهِمْ؟ قَالَ: مِنْ بَرِّ النَّاسِ وفَاجِرِهِمْ.

(الكافي/ الكليني: ج٤ص٢٥٨)

الأبعاد
المعنوية للحج الإبراهيمي

الباحثة ندى شاكر
النجف الأشرف

ينابيع الحج ظاهرة اجتماعية عبادية تعجّ فيها الخلائق من كلّ حدب وصوب، وعلى مرّ السنين من الرجال والنساء، إذ يتوافدون من كل فج عميق حيث بيت الله الحرام، كلٌ قد نوى الرحيل وعقد العزم على ترك الأهل والوطن قاصدًا وجهًا واحدًا ومكانًا دعا الله تعالى خليله إبراهيم عليه السلام ليقيم دعائم ذلك البيت العتيق، الذي جعله الله تعالى فيما بعد قبلة للمسلمين.

وكيف لا تهفو قلوب الملايين لذلك الصرح الشامخ ... بثوبه الأسود الملفوف الذي يزيده بهاءً وعظمة.. والطواف حوله رحمة وتوبة من الذنوب كما تاب الله

سبحانه عن ملائكته فجعل البيت الحرام رحمة للناس،.. والنظر إليه عبادة، بل يستحب إكثار النظر إلى الكعبة المشرفة، فقد روي عن رسول اللّه ﷺ: (النَّظَرُ إِلَى الكَعبَةِ حُبًّا لَها، يَهدِمُ الخَطايا هَدمًا)[1].

وعَنْ أَبي عَبْدِ اللّه الإمام الصادق عليه السلام قَالَ: (النَّظَرُ إِلَى الْكَعْبَةِ عِبَادَةٌ... وقَالَ: مَنْ نَظَرَ إِلَى الْكَعْبَةِ كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ ومُحِيَتْ عَنْه عَشْرُ سَيِّئَات)[2].

وروي أيضًا في علّة تشريع الطواف في البيت عن الإمام الرضا عليه السلام إن اللّه قال للملائكة: (**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء**) (البقرة: ٣٠)، فردّوا على اللّه بهذا الجواب فعلموا انهم أذنبوا فندموا فلاذوا في العرش واستغفروا فأحب اللّه أن يتعبد بمثل ذلك العباد فوضع في السماء الرابعة بيتًا بحذاء العرش يسمى (الضرّاح) ثم وضع في السماء الدنيا بيتًا يسمى (المعمور) بحذاء (الضرّاح)، ثم وضع هذا البيت بحذاء البيت المعمور ثم أمر آدم عليه السلام فطاف به فتاب اللّه عليه، فجرى ذلك في ولْدِه إلى يوم القيامة[3].

وبالنظر في هذه الرواية الواردة في علّة تشريع الطواف بالبيت المعظم فلاحظ ورود مفهوم التعبّد والعبادة: (فأحب اللّه أن يتعبّد بمثل ذلك العباد)، فالذي يفهم من هذه الرواية أن من آثار الطواف بالبيت كما طاف به آدم عليه السلام هو الحصول على الاستغفار والتوبة، فجرى في ولده إلى يوم القيامة، فموسم الحج وأعماله العبادية هو موسم الرجوع إلى اللّه تعالى، والهجرة إليه، والتوبة والإنابة إليه.

فالمتتبع لمسيرة النبي إبراهيم عليه السلام وحركته الرسالية مذ كان شابًا حيث حطّم الأوثان وما لاقى في سبيل نشر رسالة السماء مرورًا بكيفية جلبه لولده وزوجه إلى صحراء مكة ومن ثم قضية ذبح ولده إسماعيل، وبناء الكعبة المشرفة وما تبعها من أعمال الحج، فإننا نحصل على دورة كاملة للمسيرة العبادية والسلوك المعنوي للإنسان، حيث يخرج من مأزق الذات وعبادتها ويصل ويتقرب إلى اللّه تعالى وينبذ متعلقات النفس المادية والالتحاق بعالم المعنويات والتجافي عن هذا العالم المزخرف، فهذا السلوك المعنوي الذي يمثل روح العبادة في جميع العبادات يتجلّى في الحج أكثر من غيره، فيشترط في أوّله في التقرب نحو عالم الغيب للخروج من دائرة هذا العالم وقيوده وهذا لا يعني الانعزال وترك كل شيء بل يعني تبني طريقة الصالحين والسالكين إلى اللّه تعالى في إقامة المجتمع الصالح الأخلاقي ونشر روح العدل والفضيلة وتربية النفس على الطهارة وحبّ الخير والابتعاد عن المعاصي والأمراض الخلقية.

فقد روي (أَنَّهُ لَمّا رَجَعَ مَولانا زَينُ العابدينَ عليه السلام مِنَ الحَجِّ استَقبَلَهُ الشِّبلِيُّ، فَقالَ عليه السلام لَهُ: حَجَجتَ يا شبلِيُّ؟ قالَ: نَعَم يَا ابنَ رَسولِ اللّه، فَقالَ عليه السلام: أَنَزَلتَ الميقاتَ، وتَجَرَّدتَ عَن مَخيطِ الثِّيابِ، واغتَسَلتَ؟

قالَ: نَعَم، قالَ: فَحينَ نَزَلتَ الميقاتَ نَوَيتَ أنَّكَ خَلَعتَ ثَوبَ المَعصيَةِ ولَبِستَ ثَوبَ الطّاعَةِ؟ قالَ: لا ، قالَ: فَحينَ تَجَرَّدتَ عَن مَخيطِ ثِيابِكَ نَوَيتَ أنَّكَ تَجَرَّدتَ مِنَ الرِّياءِ والنِّفاقِ والدُّخولِ في الشُّبُهاتِ؟ قالَ: لا ، قالَ: فَحينَ اغتَسَلتَ نَوَيتَ أنَّكَ اغتَسَلتَ مِنَ الخَطايا والذُّنوبِ؟ قالَ: لا ، قالَ: فَما نَزَلتَ الميقاتَ، ولا تَجَرَّدتَ عَن مَخيطِ الثِّيابِ، ولا اغتَسَلتَ ! ثُمَّ قالَ: تَنَظَّفتَ، وأحرَمتَ، وعَقَدتَ بِالحَجِّ؟ قالَ: نَعَم، قالَ: فَحينَ تَنَظَّفتَ وأحرَمتَ وعَقَدتَ الحَجَّ نَوَيتَ أنَّكَ تَنَظَّفتَ بِنورَةِ التَّوبَةِ الخالِصَةِ لِلّه تَعالى؟ قالَ: لا ، قالَ: فَحينَ أحرَمتَ نَوَيتَ أنَّكَ حَرَّمتَ عَلى نَفسِكَ كُلَّ مُحَرَّمٍ حَرَّمَهُ اللّه عَزَّ وجَلَّ؟ قالَ: لا ، قالَ: فَحينَ عَقَدتَ الحَجَّ نَوَيتَ أنَّكَ قَد حَلَلتَ كُلَّ عَقدٍ لِغَيرِ اللّه؟ قالَ: لا ، قالَ لَهُ عليه السلام: ما تَنَظَّفتَ، ولا أحرَمتَ، ولا عَقَدتَ الحَجَّ![4]

ومما تجدر الإشارة إليه أنه لابد لنا من تسليط الضوء على معنى العبودية الذي أشارت إليه الرواية السابقة في استغفار الملائكة، وإن لم تشر إلى لفظة العبادة والعبودية بشكل صريح ولكننا وجدنا ذلك في ذيل الرواية في قوله (ثم أمر آدم فطاف به فتاب عليه) حيث أن الأوامر والنواهي تكاليف يتعبّد بها الإنسان وملزم بها من قبل اللّه سبحانه وتعالى، وأولها ترك المحرمات وفعل الطاعات وهو مقدّم على غيره من الأفعال أو كما في قوله عليه السلام: (فأحبَّ اللّه أن يتعبّد بمثل ذلك العباد).

إن معنى العبودية: إظهار التذلّل، ولا يستحقها إلّا من له غاية الإفضال[5] ولهذا قال: تعالى: (**أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ**) (يوسف:٤٠)، فإظهار التذلل من العبد في جوارحه وأفعاله لأنه مخلوق وأمره ومصيره راجع إلى اللّه سبحانه، والخالق هو الذي يستحق العبادة، لأن بيده الوجود والمصير والقدرة وغيرها .. وقد قسّم الراغب الأصفهاني معنى العبد إلى أقسام، منها قال: عبدٌ بالعبادة وهو قسمان عبدٌ للّه مخلصًا، وهو المقصود في قوله تعالى: (**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ**

سُلْطَانٌ﴾(الإسراء:٦٥)، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (الحجر :٤٠)، وعبدٌ للدنيا وأعراضها، وهو المعتكف على خدمتها ومراعاتها، وإيّاهُ قصد النبي ﷺ بقوله: (تَعِسَ عبدُ الدِّرهَمَ تَعِسَ عبدُ الدّينار)[٦].

لقد بقي النبي إبراهيم عليه السلام يدعو قومه إلى عبادة الواحد الأحد ولكن دون جدوى، لقد كان النبي عليه السلام مصداقًا لحقيقة العبودية الإلهية وكان مستسلمًا لله ولأوامره إلى أن بلغَ المقام أن يقدّم ولده إسماعيل وهو فتىً يافع قربانًا لله ولمرضاته ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ ولقد كانَ إسماعيل عليه السلام على خطى أبيه ... ذرية بعضها من بعض، أجاب والده: ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الصافات: ١٠٢). مثل هذا العطاء الخالد ومثل هذه الروحية المتفانية في حبّ الله تعالى حملَ النبي إبراهيم عليه السلام مشعل الهداية والتبليغ لرسالة السماء ليترك قومه ويذهب إلى بلد آخر لتبليغ الرسالة ﴿قَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (الصافات: ٩٩) وقد عبّر القرآن الكريم عن ذلك: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦١ - ١٦٣).

لقد كان النبي إبراهيم عليه السلام في أعلى مراتب الطاعة والانقياد لله سبحانه وتعالى، وكان يحمل من الجوانب النفسية والروحية التي تحرك الجسم والروح معًا، في طريق تحقيق الغاية من إيجاد الإنسان[٧] في هذه الحياة الدنيا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٦)، لتثمر هذه العبادة وتعطي السعادة في الدنيا والآخرة. فهذه العبادة وهذا السلوك المعنوي الذي يستوعب حركات وسكنات الإنسان فيكون في غاية الخضوع والخشوع، بل إن صلاته وعبادته وحياته ومماته لله، لأن معالم العبادة والعبودية ترتكز على أساس تحقيق الغاية وهي الوصول إلى عالم الربوبية.

نحن نقرّ بأن الله سبحانه يجازي عبدهُ المخلص ويجيبه ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة:١٨٦)، لذا كان المنطلق الذي اعتمده النبي إبراهيم عليه السلام هو كثرة تضرعه ودعائه، حيث قال سبحانه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾ (هود:٧٥).

(الأوّاه هنا المُتَأَوِّه شَفَقاً وفَرَقاً ، وقيل: المتضرع يقيناً أي إيقاناً بالإجابة ولزوماً للطاعة ؛ هذا قول الزجاج ، وقيل: الأوّاه المُسَبّحُ ، وقيل: هو الكثير الثناء . ويقال: الأوّاه الدّعّاءُ . وروي عن النبي ﷺ ، أنه قال: الأوّاه الدّعّاءُ . وقيل: الكثير البكاء . وفي الحديث: اللهم اجْعَلني مُخْبتاً أوّاهاً مُنيباً ؛ الأوّاه: المُتَأَوِّه المُتَضَرِّع)[٧]، وكل تلك المعاني مجتمعة في إبراهيم عليه السلام، حيث أن الإنابة جليّة في رجوعه في كل الأمور إلى الله تعالى، ليكشف لنا الدعاء عن مقامات العبودية والحضور التي تعيشها قلوب الأنبياء والصالحين...إن دعاء الإنسان المنطلق من القلب من أوضح معالم العلاقة بين العبد وربّه، فهو يمثل من جانب الإنسان الحاجة والتضرع وفتح باب الأمل، وتثبت لله تعالى مظاهر الألوهية والحاكمية والربوبية، وغناه المطلق وحكمته ورأفته بالخلق، وأدعية إبراهيم عليه السلام الكثيرة ترينا

هذا التعلق العبودي باللّه سبحانه وتبصّرنا كيف كان الخليل يدمن طرق أبواب الرحمة دون كلل أو ترفّع أو استكبار، حتى وصفه القرآن بأنه أوّاه، أي دعّاء.

إن من صور دعاء إبراهيم عليه السلام دعاؤه وهو يشيّد مع ولده إسماعيل الكعبة الشريفة على الأسس القديمة الداثرة، استجابة لأمر اللّه ورغبة في محبته ورضوانه، وفيما هما مستغرقان تأخذهما حالةٌ من التضرع والابتهال، قال تعالى: (**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**) (البقرة: ١٢٧- ١٢٨). واستجيبت دعوتهما، فقد جعل اللّه سبحانه مقام إبراهيم مصلىً، نتوجه بالشكر والطاعة والصلاة فيقترن ذكر ذلك النبي بتلك الأماكن المقدّسة، لذا تتضح أهمية الدعاء في حياة الإنسان في جميع المراحل وفي كل الأزمنة، وبالتأكيد هناك أوقات تتجلى بها أهمية الدعاء، وهناك أماكن يحب اللّه أن ندعوه بها ... لذلك نرى أن موسم الحج يكون حافلاً بالدعاء، ولعل الوقوف بعرفات مملوء بأجواء مشحونة بالدعاء والتضرع إلى اللّه، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله: (مِنَ الذُّنوبِ ذُنوبٌ لا تُغفَرُ إلاّ بِعَرَفات)[٨]، ولكن ما هو دعاء النبي إبراهيم عليه السلام وما هي مضامينه؟ (**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ**) (إبراهيم:٣٥- ٣٧)، لقد طلب النبي عليه السلام أن يكون البيت الحرام آمنًا، وأن يجنبه اللّه سبحانه وبنيه من الشرك وعبادة الأصنام التي أضلّت كثيرًا من الناس، ثم دعا اللّه سبحانه لذريته الذين أسكنهم عند هذا البيت ليعبدوا اللّه فيه، بهذا الواد الأجرد من الزرع، أن يجعلهم مهوى لقلوب الناس. (فاستجاب اللّه دعاءه وأمر الناس بالإتيان إلى الحج من كل فج ليتحببوا إلى ذريته ويعرضوا عليهم نصرتهم وولايتهم ليصير ذلك سببًا لنجاتهم ووسيلة إلى رفع درجاتهم وذريعة إلى تعرف أحكام دينهم وتقوية أيمانهم ويقينهم)[٩].

---

١) وسائل الشيعة/ الحر العاملي/ ج١٣ص٢٦٥.
٢) الكافي/الكليني،ج٤ص٢٤٠.
٣) علل الشرائع/الشيخ الصدوق/ج٢ص٤٠٦.
٤) مستدرك الوسائل/: ١٠ / ١٦٦نقلا عن التحفة السنية/للمحدث الجزائري/مخطوط/ص١٨٤.
٥) مفردات ألفاظ القرآن الراغب الأصفهاني ص٤٤١.
٦) المصدر السابق ص٤٤١ ـ ٤٤٢.
٧) لسان العرب/ابن منظور/ج١٣ ص٤٣٧.
٨) دعائم الإسلام/ القاضي النعمان المغربي/ج١ ص٢٩٤.
٩) الوافي/الفيض الكاشاني/ ج٢، ص١١٥.

في فضل بيت الله الحرام

* عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الناس لم يحرموا مكة ولكن الله حرمها، فهي حرام إلى يوم القيامة، وإن من أعتى الناس على الله رجل قتل في الحرم، ورجل قتل غير قاتله، ورجل أخذ بذحول الجاهلية). (الدر المنثور/ ج١ ص١٢٢)

* عن جابر: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا يحل لأحدكم أن يحمل بمكة السلاح).
(السنن الكبرى/ ج٥ ص١٥٥)

* عن الإمام الباقر عليه السلام: (من مات في أحد الحرمين بعثه الله من الآمنين، ومن مات بين الحرمين لم ينشر له ديوان). (من لا يحضره الفقيه/ ج٢ ص٢٢٨)

وعنه عليه السلام: إِنْ سَرَقَ سَارِقٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ أَوْ جَنَى جِنَايَةً عَلَى نَفْسِه فَفَرَّ إِلَى مَكَّةَ لَمْ يُؤْخَذْ مَا دَامَ فِي الْحَرَمِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْه، ولَكِنْ يُمْنَعُ مِنَ السُّوقِ ولَا يُبَايَعُ ولَا يُجَالَسُ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْه فَيُؤْخَذَ، وإِنْ أَحْدَثَ فِي الْحَرَمِ ذَلِكَ الْحَدَثَ أُخِذَ فِيه).
(الكافي/ الكليني/ ج٤ ص٢٢٦)

* عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: عِندَما طاف بِالكَعبَةِ حَتّى إذا بَلَغَ الرُّكنَ اليَمانِيَّ رَفَعَ رَأسَهُ إلَى الكَعبَةِ قال: الحَمدُ لله الَّذي شَرَّفَكِ وعَظَّمَكِ، والحَمدُ لله الَّذي بَعَثَني نَبِيًّا وجَعَلَ عَلِيًّا إمامًا. اللّهُمَّ اهدِ لَهُ خِيارَ خَلقِكَ، وجَنِّبهُ شِرارَ خَلقِكَ. (الكافي: ج٤ ص٤١٠)

* عَن الإمام أبي جَعفَر الباقر عليه السلام: ما خَلَقَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ بُقعَةً فِي الأَرضِ أحَبَّ إلَيهِ مِنها ـ ثُمَّ أومَأَ بِيَدِهِ نَحوَ الكَعبَةِ ـ ولا أكرَمَ عَلَى الله عَزَّ وجَلَّ مِنها، لَها حَرَّمَ اللهُ الأَشهُرَ الحُرُمَ في كِتابِهِ يَومَ خَلَقَ السَّماواتِ والأَرضَ، ثَلاثَةً مُتَوالِيَةً لِلحَجِّ: شَوّالٌ وذُو القَعدَةِ وذُو الحِجَّةِ، وشَهرٌ مُفرَدٌ لِلعُمرَةِ (وهُوَ) رَجَبٌ. (الكافي: ج٤ ص٢٤٠)

* عنه عليه السلام: إنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ اختارَ مِن كُلِّ شَيءٍ شَيئًا، (و) اختارَ مِنَ الأَرضِ مَوضِعَ الكَعبَةِ. (من لا يحضره الفقيه: ج٢ ص٢٤٣)

المثلث اللغوي لمفردة (الحج)

ترادفًا واشتراكًا مقاربة معجمية

د. عبد علي حسن ناعور الجاسمي

كلية الآداب/ جامعة الكوفة

ينابيع وسائل كثيرة اتسمت بها لغتنا العربية، وأسهمت في إثرائها، وزادت في قدرتها على استجلاب المعاني واستنطاق الألفاظ والانسياح في الدلالات. ولعل في طليعة هذه الوسائل أو (الظواهر) كما يسميها باحثون؛ هي (الاشتقاق)، ويجمع الباحثون من أبناء العربية أو من غير أبنائها على أن الاشتقاق من أسباب ديمومة العربية وبقائها منذ عهود ضاربة في القدم. إذ لم يتسنَّ لغير العربية أن تدوم حية ثرية مستعملة مستمرة في التعبير عن أدق المعاني وأوسعها وأكبرها أثرا عند المنشئ أو المتلقي على حد سواء.

ومن حيثيات دقة العربية في التعبير عن المعاني، هو ما يظهر من تغير دلالات الألفاظ تبعا لتغير حركاتها، والأدلة اللغوية العلمية متنوعة بتنوع ما صنفه علماء العربية في هذا الشأن حصرًا، وعرض ذلك فيه إطالة وخروج عن حيز ما نريد عرضه.

لقد أخذت مفردة (الحج) حيزها الطبيعي في مصنفات علماء العربية من تنوع دلالاتها، سواء ما جاء منها بشأن التطور الدلالي الذي اعتراها أو ماجاء بشأن المشتركات الدلالية فيما بينها، أو ما جاء في انتقالها من دلالة إلى أخرى، أو ما سواها من مظاهر الخروج من المعنى الأصل إلى معانٍ أخرى، حقيقة أو مجازًا.

وليس هدفُ هذه المقاربة الدلالية عرض مفردة (الحج) واشتقاقاتها لغويا، فهو مجال رحب الأرجاء يطوف بين دلالات متشعبة واسعة المدى. إذ تطالها علوم أخرى فضلًا عن علوم العربية نفسها، ففيه دلالات البرهان، والبيان، والدليل، والسلطان، والاستدلال، وإقامة الحجة، والمحاججة، والحِجاج، وما

سواها من مصطلحات.

إن أقصر الطرق وأقلها اختصارًا إلى ما نحن بصدده، الاستعانة بما صنفه علماؤنا في (المثلث اللغوي) لا سيما كتاب (المثلث) لابن السيد البطليوسي (ت٥٢١هـ) فهو أوسعها وأكثرها شمولًا.[١]

قال: (الحَجّة بالفتح: الفعلة الواحدة من الحج، والحَجُّ: مصدر حَجَّ الشيء إذا قصده، وحَجَّهُ: إذا شجه في دماغه، والحَجَّةُ: الشجةُ بعينها، والحَجَّةُ أيضًا: مصدر حَجَّ الطبيبُ الشجّة إذا قاسها بالميل... والحَجَّةُ أيضًا: شحمة الأذن. والحِجَّةُ بكسر الحاء: السَنَة، وقال صاحب كتاب العين[٢]: الحَجَّةُ بالفتح: قضاء نسك سنة، وبعضهم يكسر الحاء. ويقال: شهر ذي الحِجَّة والحَجَّة: بالكسر والفتح. والحُجَّة بالضم: معروفة.)[٣] ا.هـ.

إن أول ما يطرق الذهن عند سماع هذه المفردة أو قراءتها هو الفريضة التي أوجب الله تعالى أداءها على المسلم المكلف المستطيع في قوله عز شأنه: (**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**) (آل عمران: ٩٧). إذ نرى أن الأَصل الأول لاستعمال مادة (ح ج ج) هو هذه الفريضة، والإشارة واضحة بأن أصل استعمالها إنما هو (القصد)، وهي كغيرها من كثير من المفردات التي كان لها استعمال محدد ثم اتسعت في الاستعمال، وهو مبحث واسع من مباحث العربية، ومن شواهده (الصلاة) التي كانت تعني مطلق الدعاء ثم استعملت في الفريضة المعروفة. فالحج: (القصد إلى الشيء المعظم، وفي الشرع: قصدٌ لبيت الله تعالى بصفة مخصوصة، في وقت مخصوص، بشرائط مخصوصة).[٤]

ولتعضيد ما جاء في كتاب (المثلث) بشأن الحج، نشفع ذلك بنص ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) في (معجم مقاييس اللغة) بوصفه معجمًا مهتمًا بأصل الوضع للمفردات، وهل هو أصل واحد أو أكثر.

قال ابن فارس: (الْحَاءُ وَالْجِيمُ أُصُولٌ

أَرْبَعَةٌ. فَالْأَوَّلُ الْقَصْدُ، وَكُلُّ قَصْدٍ حَجٌّ... ثُمَّ اخْتُصَّ بِهَذَا الاسْمِ الْقَصْدُ إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ لِلنُّسُكِ. وَالْحَجِيجُ: الْحَاجُّ... وَيُقَالُ لَهُمُ الْحَجُّ أَيْضًا. قَالَ:

وكأن عافية النسور عليهمُ
حُجٌّ بِأَسْفَلِ ذِي الْمَجَازِ نُزُولُ[٥]

وَفِي أَمْثَالِهِمْ: (لَجَّ فَحَجَّ)[٦]. وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ: (الْحَاجَّ أَسْمَعْتَ)[٧]، وَذَلِكَ إِذَا أَفْشَى السِّرَّ. أَيْ: إِنَّكَ إِذَا أَسْمَعْتَ الْحُجَّاجَ فَقَدْ أَسْمَعْتَ الْخَلْقَ. وَمِنَ الْبَابِ الْمَحَجَّةُ، وَهِيَ جَادَّةُ الطَّرِيقِ...وَمُمْكِنٌ أَنْ يَكُونَ الْحُجَّةُ مُشْتَقَّةً مِنْ هَذَا؛ لأَنَّهَا تُقْصَدُ، أَوْ بِهَا يُقْصَدُ الْحَقُّ الْمَطْلُوبُ. يُقَالُ حَاجَجْتُ فُلَانًا فَحَجَجْتُهُ أَيْ غَلَبْتُهُ بِالْحُجَّةِ، وَذَلِكَ الظَّفَرُ يَكُونُ عِنْدَ الْخُصُومَةِ، وَالْجَمْعُ حُجَجٌ. وَالْمَصْدَرُ الْحِجَاجُ.

وَمِنَ الْبَابِ حَجَجْتُ الشَّجَّةَ، وَذَلِكَ إِذَا سَبَرْتَهَا بِالْمِيلِ، لأَنَّكَ قَصَدْتَ مَعْرِفَةَ قَدْرِهَا...وَيُقَالُ: بَلْ هُوَ أَنْ يَصُبَّ عَلَى دَمِ الشَّجَّةِ السَّمْنَ، فَيَظْهَرَ فَيُؤْخَذَ بِقُطْنَةٍ. قَالَ أَبُو ذُؤَيْبٍ:

وَصُبَّ عَلَيْهَا الْمِسْكُ حَتَّى كَأَنَّهَا ... أَسِيٌّ عَلَى أُمِّ الدِّمَاغِ حَجِيجُ[٨] ا.هـ[٩]

وفي الأصل نفسه دلالة أخرى تشارك دلالة الحج في أنها مأخوذه من الأصل نفسه، ذلك قوله: (وَمِنَ الْبَابِ الْمَحَجَّةُ، وَهِيَ جَادَّةُ الطَّرِيقِ.....) إذ يذهب إلى أن معناها هو القصد. ومما يؤيد قوله ما جاء في لسان العرب: (... وكذلك مَحَجَّة الطريق هي المَقْصِدُ والمَسْلَكُ.)[١٠]

ومن (القصد) ذهب ابن فارس إلى أن (الحُجة) التي هي الدليل أو البرهان. ذلك في قول في نصه الذي قدمناه آنفا: (وَمُمْكِنٌ أَنْ يَكُونَ الْحُجَّةُ مُشْتَقَّةً مِنْ هَذَا ; لأَنَّهَا تُقْصَدُ، أَوْ بِهَا يُقْصَدُ الْحَقُّ الْمَطْلُوبُ....) ، وهو ما ذهب اليه ابن منظور أيضًا، قال: (إنما سميت حُجَّة لأنها تُحَجُّ أي: تقتصد لأن القصد لها وإليها...)[١١]

ومن (القصد) أخرج ابن فارس دلالة أخرى في قوله المتقدم: (وَمِنَ الْبَابِ حَجَجْتُ الشَّجَّةَ، وَذَلِكَ إِذَا سَبَرْتَهَا بِالْمِيلِ، لأَنَّكَ قَصَدْتَ مَعْرِفَةَ قَدْرِهَا..). وهو مقارب لما ذكره ابن منظور في قوله (... حَجَّ الجُرْحَ سَبَرَهُ ليعرف غَوْرَهُ.)[١٢]. هذه لمحة خاطفة مما جاء من اشتراك دلالي بين الأصل الأول من أصول (ح ج ج) التي أوردها ابن فارس في معجمه (مقاييس اللغة).

أما الأصل الثاني، فهو ــ وإن جعله ثاني الأصول الأربعة ــ لم يستبعده من إمكانية الاشتراك مع الأصل الأول. قال: (وَالْأَصْلُ الْآخَرُ: الْحِجَّةُ وَهِيَ السَّنَةُ. وَقَدْ يُمْكِنُ أَنْ يُجْمَعَ هَذَا إِلَى الْأَصْلِ الْأَوَّلِ; لِأَنَّ الْحَجَّ فِي السَّنَةِ لَا يَكُونُ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً، فَكَأَنَّ الْعَامَ سُمِّيَ بِمَا فِيهِ مِنَ الْحَجِّ حِجَّةً. قَالَ:

يَرُضْنَ صِعَابَ الدُّرِّ فِي كُلِّ حِجَّةٍ ... وَلَوْ لَمْ تَكُنْ أَعْنَاقُهُنَّ عَوَاطِلَا [١٣]

قَالَ قَوْمٌ: أَرَادَ السَّنَةَ; وَقَالَ قَوْمٌ: الْحِجَّةُ هَاهُنَا: شَحْمَةُ الْأُذُنِ. وَيُقَالُ بَلِ الْحَجَّةُ الْخَرَزَةُ أَوِ اللُّؤْلُؤَةُ تُعَلَّقُ فِي الْأُذُنِ. وَفِي الْقَوْلَيْنِ نَظَرٌ.)

إن ما يؤيد قول ابن فارس فيما ذهب إليه من دلالة مفردة (الحجة) على (السنة)، كثير وشائع، وخير شاهد على ذلك قول الحق تبارك وتعالى في قصة موسى عليه السلام: (قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ)(القصص:٢٧). فالحجة، هي المرة الواحدة من حجَّ يحجُّ، وهي على زنة (فِعْلَة) مثل (جِلسة) و(قِعدة) وهو ما يطلق عليه الصرفيون: مصدر المرة. ثم سميت بها السنة كما يسمى الشيء باسم ما يكون فيه.

أما ما ذكره ابن فارس في الأصل الثاني من أن (الحجة) هي: شحمة الأذن أو هي الخرزة التي تعلق في الأذن فيبدو أنها هي المقصودة من إيرادها في ضمن الأصل الثاني من أصول (ح ج ج)، وأغلب الظن أنه وهم في سوق بيت لبيد شاهدًا أردف به قوله بشأن دلالة (الحجة) على (السنة)، إذ يتضح جليا أن البيت إنما سيق شاهدًا على أن (الحجة) هي (شحمة الأذن أو هي خرزة تعلق في الأذن) كما ذكر هو وأيده جمع من اللغويين في سياق شرحهم بيت لبيد.[١٤]

أما الأصل الثالث فهو بعيد عن أي اشتراك مع الجذر موضوع البحث. قال ابن فارس: (وَالْأَصْلُ الثَّالِثُ: الْحِجَاجُ، وَهُوَ الْعَظْمُ الْمُسْتَدِيرُ حَوْلَ الْعَيْنِ. يُقَالُ لِلْعَظِيمِ الْحِجَاجِ أَحَجُّ، جَمْعُ الْحِجَاجِ أَحِجَّةٌ. وَزَعَمَ أَبُو عَمْرٍو أَنَّهُ يُقَالُ لِلْمَكَانِ الْمُتَكَاهِفِ وَمِنَ الصَّخْرَةِ حَجَّاجٌ.).

وعند تقصي ما ورد عن اللغويين بشأن دلالتي الصلابة، والحجاج، فهم مُجمعون على ما أورده ابن فارس من دلالته على العظم المستدير حول العين أو ما هو بمعناه، أو دلالته على الصلابة. قال ابن منظور: (ورأْسٌ أَحَجُّ: صُلْبٌ. واحْتَجَّ الشيءُ: صَلُبَ؛ والحَجاجُ والحِجاجُ: العَظْمُ النابتُ عليه الحاجبُ. والحِجاجُ: العَظْمُ المُسْتَدِيرُ حَوْلَ العين، ويقال: بل هو الأَعلى تحت الحاجب. والحِجَاجُ: العَظْمُ المُطْبِقُ على وَقْبَةِ العين وعليه مَنْبَتُ شعَر الحاجب. والحَجَاجُ والحِجَاجُ، بفتح الحاء وكسرها: العظم الذي ينبت عليه الحاجب، والجمع أَحِجَّة؛... الحِجاج، بالكسر والفتح: العظم المستدير حول العين؛ ... وقيل: الحِجاجان: العظمان المُشرفان على غارِبَي العينين؛ وقيل: هما مَنْبَتا شعَر الحاجبين من العظم.)[١٥]. وقد أورد ابن منظور قولًا لابن السكيت (ت ٢٤٤هـ) مفاده أن ابن السكيت زعم أن (الحِجاج) بدلالته هذه إنما هو (الحَجّاج) بفتح الحاء وتشديد الجيم. وقد وهم ابن منظور في ما نسبه إلى ابن السكيت. إذ هو (الحِجاج) نفسه الذي جاء عن طائفة من اللغويين. قال ابن السكيت ناقلًا عن أبي عمرو بن العلاء والفراء : (يقال: حِجاج العين: وحَجاجُها، للعظم الذي عليه الحاجب.)[١٦].

لقد سمعت مرارًا من أهلنا في الريف

وهم يطلقون لفظة (الحِجاج) على المنطقة ما بين جبهة الإنسان وعينيه، بقولهم: (احْجاجَه)!.

الأصل الأخير وهو الرابع للجذر (ح ج ج) هو (الحَجْحَجَة). قال ابن فارس: (وَالأَصْلُ الرَّابِعُ: الْحَجْحَجَةُ النُّكُوصُ. يُقَالُ: حَمَلُوا عَلَيْنَا ثُمَّ حَجْحَجُوا. الْمُحَجْحِجُ: الْعَاجِزُ... وَيُقَالُ أَنَا لَا أُحَجْحِجُ فِي كَذَا، أَيْ لَا أَشُكُّ. يَقُولُونَ: لَا تَذْهَبَنَّ بِكَ حَجْحَجَةٌ وَلَا لَجْلَجَةٌ.

وهذه المفردة ليست من مشتقات مفردة (الحج)، ولا علاقة لها بدلالاتها القريبة أو البعيدة، فهي رباعية مجردة، وهي عند أصحاب المعجمات لها حيزها في (حجحج) وليس (حجّ) ولا (حجج). لأن حروفها أصلية كلها، مثل: زلزل وعسعس وما سواهما. وبناء على ذلك يمكن الجزم أن أصول مفردة (الحج) هي ثلاثة، وكل ما تفرع عنها أو اشتُقَّ منها فهو مرتبط بهذه الأصول سواء ما كان مرادفًا لها أو مشتركا معها في الدلالة.

١- المثلث: كتاب يورد الكلمات التي تتفق في بنائها الصرفي من حيث ترتيب الحروف وتختلف في حركاتها، وهو نوعان: المثلث متفق المعاني والمثلث مختلف المعاني، ومثال النوع الأول قولهم: بِغاث وبَغاث وبُغاث، وهو الطير الضعيف، أو الذي يُصاد ولا يصيد. [ظ: المثلث، لابن السيد البطليوسي (ت٥٢١هـ) تحقيق: د. صلاح مهدي الفرطوسي: ٣٥١] أما النوع الثاني فهو قولهم: البَرُّ والبِرُّ والبُرُّ. فالبر بالفتح: خلاف البحر، وبالكسر: الإكرام، وبالضم: الحنطة. وعادة ما يورد مؤلفو هذا الضرب من المصنفات المفردات بحركاتها الثلاث مبتدئين بأخفها وهي الفتحة ثم الكسرة ثم الضمة. [ظ: المثلث: ٣٥٧]

٢- ظ: العين، للفراهيدي (ت١٧٥هـ): ٩/٣ وفيه مزيد من الشرح.

٣- المثلث، لابن السيد البطليوسي: ٤٦٠-٤٦١

٤- كتاب التعريفات، الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ):٨٢

٥- البيت لجرير في ديوانه: ١٠٤ من قصيدة يهجو بها الأخطل، والعافية: الغاشية من جوارح الطير تغشى لحوم قومه الذين شبههم بجماعات الحجيج الذين تجمعوا في سوق ذي المجاز وهو من أسواق العرب المشهورة مثل عكاظ ومجنة. وفي هامش محقق الديوان (٤) أنكر المحقق أن تأتي (حُجٌّ) بضم الحاء لأنها بالكسر كما في رواية اللسان.

٦- (لج فحج من قَوْلك حاجه فحجه أي غَلبه في الْحجَّة. يضْرب لمن لَا يزَال يطْلب الشيء حَتَّى يظفر بِهِ وَقيل هُوَ من الْحَج وَأَصله أَن رجلًا غَابَ عَن أَهله غيبَة طَوِيلَة حَتَّى حج وَلم ينْو الْحَج أول مغيبه، يضْرب لمن بلغ من لجاجه أَن يخرج إِلَى مَا لَيْسَ من شانه) [المستقصى في أمثال العرب/الزمخشري (ت ٥٣٨هـ): ٢٨١/٢]

٧- المستقصى في أمثال العرب: ٣٠٩/١

٨- شعر أبي ذؤيب، ديوان الهذليين: ٥٨وفيه: (عليه المسك حتى كأنه) والبيت في صفة امرأة.

٩- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ): ٢/ ٢٩ - ٣١

١٠- لسان العرب: (حجج)

١١- م.ن.

١٢- م.ن.

١٣- شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري: ٢٤٣

١٤- ظ: لسان العرب: (حجج)

١٥- م.ن.

١٦- إصلاح المنطق، لابن السكيت:١٠٤

من دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام في يوم عرفة

تنابيع

(الْحَمْدُ للّٰه رَبِّ الْعالَمينَ)* اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ بَديعَ السَّمَاوَات والأَرْض، ذَا الْجَلَال والإكْرَام، رَبَّ الأَرْبَاب، وإلَه كُلِّ مَأْلُوه، وخَالقَ كُلِّ مَخْلُوق، ووَارثَ كُلِّ شَيْء، (لَيْسَ كَمثْله شَيْءٌ)، ولَا يَعْزُبُ عَنْه علْمُ شَيْء، وهُوَ (بكُلِّ شَيْء مُحيطٌ)، وهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْء رَقيبٌ * أَنْتَ اللّٰه لَا إلَه إلَّا أَنْتَ، الأَحَدُ الْمُتَوَحِّدُ الْفَرْدُ الْمُتَفَرِّدُ * وأَنْتَ اللّٰه لَا إلَه إلَّا أَنْتَ، الْكَريمُ الْمُتَكَرِّمُ، الْعَظيمُ الْمُتَعَظِّمُ، الْكَبيرُ الْمُتَكَبِّرُ * وأَنْتَ اللّٰه لَا إلَه إلَّا أَنْتَ، الْعَلِيُّ الْمُتَعَال، الشَّديدُ الْمحَال *

وأَنْتَ اللّٰه لَا إلَه إلَّا أَنْتَ، الرَّحْمَنُ الرَّحيمُ، الْعَليمُ الْحَكيمُ * وأَنْتَ اللّٰه لَا إلَه إلَّا أَنْتَ، السَّميعُ الْبَصيرُ، الْقَديمُ الْخَبيرُ * وأَنْتَ اللّٰه لَا إلَه إلَّا أَنْتَ، الْكَريمُ الأَكْرَمُ، الدَّائمُ الأَدْوَمُ * وأَنْتَ اللّٰه لَا إلَه إلَّا أَنْتَ، الأَوَّلُ قَبْلَ كُلِّ أَحَد، والآخرُ بَعْدَ كُلِّ عَدَد * وأَنْتَ اللّٰه لَا إلَه إلَّا

أَنْتَ، الدَّانِي فِي عُلُوِّه، والْعَالِي فِي دُنُوِّه * وأَنْتَ اللهُ لَا إِلَه إِلَّا أَنْتَ، ذُو الْبَهَاءِ والْمَجْد، والْكِبْرِيَاءِ والْحَمْد * وأَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الَّذِي أَنْشَأْتَ الأَشْيَاءَ مِنْ غَيْرِ سِنْخٍ، وصَوَّرْتَ مَا صَوَّرْتَ مِنْ غَيْرِ مِثَالٍ، وابْتَدَعْتَ الْمُبْتَدَعَاتِ بِلَا احْتِذَاءٍ *

أَنْتَ الَّذِي قَدَّرْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَقْدِيرًا، ويَسَّرْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَيْسِيرًا، ودَبَّرْتَ مَا دُونَكَ تَدْبِيرًا * أَنْتَ الَّذِي لَمْ يُعِنْكَ عَلَى خَلْقِكَ شَرِيكٌ، ولَمْ يُوَازِرْكَ فِي أَمْرِكَ وَزِيرٌ، ولَمْ يَكُنْ لَكَ مُشَاهِدٌ ولَا نَظِيرٌ * أَنْتَ الَّذِي أَرَدْتَ فَكَانَ حَتْمًا مَا أَرَدْتَ، وقَضَيْتَ فَكَانَ عَدْلًا مَا قَضَيْتَ، وحَكَمْتَ فَكَانَ نَصَفًا مَا حَكَمْتَ * أَنْتَ الَّذِي لَا يَحْوِيكَ مَكَانٌ، ولَمْ يَقُمْ لِسُلْطَانِكَ سُلْطَانٌ، ولَمْ يُعْيِكَ بُرْهَانٌ ولَا بَيَانٌ * أَنْتَ الَّذِي أَحْصَيْتَ (كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا)، وجَعَلْتَ لِكُلِّ شَيْءٍ أَمَدًا، وقَدَّرْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَقْدِيرًا *

أَنْتَ الَّذِي قَصُرَتِ الأَوْهَامُ عَنْ ذَاتِيَّتِكَ، وعَجَزَتِ الأَفْهَامُ عَنْ كَيْفِيَّتِكَ، ولَمْ تُدْرِكِ الأَبْصَارُ مَوْضِعَ أَيْنِيَّتِكَ * أَنْتَ الَّذِي لَا تُحَدُّ فَتَكُونَ مَحْدُودًا، ولَمْ تُمَثَّلْ فَتَكُونَ مَوْجُودًا، ولَمْ تَلِدْ فَتَكُونَ مَوْلُودًا * أَنْتَ الَّذِي لَا ضِدَّ مَعَكَ فَيُعَانِدَكَ، ولَا عِدْلَ لَكَ فَيُكَاثِرَكَ، ولَا نِدَّ لَكَ فَيُعَارِضَكَ * أَنْتَ الَّذِي ابْتَدَأَ، واخْتَرَعَ، واسْتَحْدَثَ، وابْتَدَعَ، وأَحْسَنَ صُنْعَ مَا صَنَعَ * سُبْحَانَكَ ! مَا أَجَلَّ شَأْنَكَ، وأَسْنَى فِي الأَمَاكِنِ مَكَانَكَ، وأَصْدَعَ بِالْحَقِّ فُرْقَانَكَ ! * سُبْحَانَكَ! مِنْ لَطِيفٍ مَا أَلْطَفَكَ، ورَؤُوفٍ مَا أَرْأَفَكَ، وحَكِيمٍ مَا أَعْرَفَكَ! *

سُبْحَانَكَ! مِنْ مَلِيكٍ مَا أَمْنَعَكَ، وجَوَادٍ مَا أَوْسَعَكَ، ورَفِيعٍ مَا أَرْفَعَكَ ! ذُو الْبَهَاءِ والْمَجْد والْكِبْرِيَاءِ والْحَمْد * سُبْحَانَكَ! بَسَطْتَ بِالْخَيْرَاتِ يَدَكَ، وعُرِّفَتِ الْهِدَايَةُ مِنْ عِنْدِكَ، فَمَنِ الْتَمَسَكَ لِدِينٍ أَوْ دُنْيَا وَجَدَكَ! * سُبْحَانَكَ! خَضَعَ لَكَ مَنْ جَرَى فِي عِلْمِكَ، وخَشَعَ لِعَظَمَتِكَ مَا دُونَ عَرْشِكَ، وانْقَادَ لِلتَّسْلِيمِ لَكَ كُلُّ خَلْقِكَ!*

سُبْحَانَكَ! لَا تُحَسُّ ولَا تُجَسُّ ولَا تُمَسُّ ولَا تُكَادُ ولَا تُمَاطُ ولَا تُنَازَعُ ولَا تُجَارَى ولَا تُمَارَى ولَا تُخَادَعُ ولَا تُمَاكَرُ! * سُبْحَانَكَ! سَبِيلُكَ جَدَدٌ، وأَمْرُكَ رَشَدٌ، وأَنْتَ حَيٌّ صَمَدٌ * سُبْحَانَكَ ! قَوْلُكَ حُكْمٌ، وقَضَاؤُكَ حَتْمٌ، وإِرَادَتُكَ عَزْمٌ! * سُبْحَانَكَ! لَا رَادَّ لِمَشِيَّتِكَ، ولَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِكَ! * سُبْحَانَكَ! بَاهِرَ الآيَاتِ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ، بَارِئَ النَّسَمَاتِ! *

لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا يَدُومُ بِدَوَامِكَ * ولَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا خَالِدًا بِنَعْمَتِكَ * ولَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا يُوَازِي صُنْعَكَ * ولَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا يَزِيدُ عَلَى رِضَاكَ * ولَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا مَعَ حَمْدِ كُلِّ حَامِدٍ، وشُكْرًا يَقْصُرُ عَنْهُ شُكْرُ كُلِّ شَاكِرٍ * حَمْدًا لَا يَنْبَغِي إِلَّا لَكَ، ولَا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَّا إِلَيْكَ * حَمْدًا يُسْتَدَامُ بِهِ الأَوَّلُ، ويُسْتَدْعَى بِهِ دَوَامُ الآخِرِ * حَمْدًا يَتَضَاعَفُ عَلَى كُرُورِ الأَزْمِنَةِ، ويَتَزَايَدُ أَضْعَافًا مُتَرَادِفَةً * حَمْدًا يَعْجِزُ عَنْ إِحْصَائِهِ الْحَفَظَةُ، ويَزِيدُ عَلَى مَا أَحْصَتْهُ فِي كِتَابِكَ الْكَتَبَةُ *

حَمْدًا يُوَازِنُ عَرْشَكَ الْمَجِيدَ ويُعَادِلُ كُرْسِيَّكَ الرَّفِيعَ * حَمْدًا يَكْمُلُ لَدَيْكَ ثَوَابُه، ويَسْتَغْرِقُ كُلَّ جَزَاءٍ جَزَاؤُه * حَمْدًا ظَاهِرُه وَفْقٌ لِبَاطِنِه، وبَاطِنُه وَفْقٌ لِصِدْقِ النِّيَّة * حَمْدًا لَمْ يَحْمَدْكَ خَلْقٌ مِثْلَه، ولَا يَعْرِفُ أَحَدٌ سِوَاكَ فَضْلَه * حَمْدًا يُعَانُ مَنِ اجْتَهَدَ فِي تَعْدِيدِه، ويُؤَيَّدُ مَنْ أَغْرَقَ نَزْعًا فِي تَوْفِيَتِه * حَمْدًا يَجْمَعُ مَا خَلَقْتَ مِنَ الْحَمْدِ، ويَنْتَظِمُ مَا أَنْتَ خَالِقُه مِنْ بَعْدُ * حَمْدًا لَا حَمْدَ أَقْرَبُ إِلَى قَوْلِكَ مِنْه، ولَا أَحْمَدَ مِمَّنْ يَحْمَدُكَ بِه * حَمْدًا يُوجِبُ بِكَرَمِكَ الْمَزِيدَ بِوُفُورِه، وتَصِلُه بِمَزِيدٍ بَعْدَ مَزِيدٍ طَوْلًا مِنْكَ *

حَمْداً يَجِبُ لِكَرَمِ وَجْهِكَ، ويُقَابِلُ عِزَّ جَلَالِكَ * رَبِّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد، الْمُنْتَجَبِ الْمُصْطَفَى الْمُكَرَّمِ الْمُقَرَّبِ، أَفْضَلَ صَلَوَاتِكَ، وبَارِكْ عَلَيْهِ أَتَمَّ بَرَكَاتِكَ، وتَرَحَّمْ عَلَيْهِ أَمْتَعَ رَحَمَاتِكَ * رَبِّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وآله، صَلَاةً زَاكِيَةً لَا تَكُونُ صَلَاةٌ أَزْكَى مِنْهَا، وصَلِّ عَلَيْهِ صَلَاةً نَامِيَةً لَا تَكُونُ صَلَاةٌ أَنْمَى مِنْهَا، وصَلِّ عَلَيْهِ صَلَاةً رَاضِيَةً لَا تَكُونُ صَلَاةٌ فَوْقَهَا * رَبِّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وآله، صَلَاةً تُرْضِيه وتَزِيدُ عَلَى رِضَاه، وصَلِّ عَلَيْهِ صَلَاةً تُرْضِيكَ وتَزِيدُ عَلَى رِضَاكَ لَه وصَلِّ عَلَيْهِ صَلَاةً لَا تَرْضَى لَه إِلَّا بِهَا، ولَا تَرَى غَيْرَه لَهَا أَهْلًا * رَبِّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِه صَلَاةً تُجَاوِزُ رِضْوَانَكَ، ويَتَّصِلُ اتِّصَالُهَا بِبَقَائِكَ، ولَا يَنْفَدُ كَمَا لَا تَنْفَدُ كَلِمَاتُكَ *

رَبِّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وآله، صَلَاةً تَنْتَظِمُ صَلَوَاتِ مَلَائِكَتِكَ وأَنْبِيَائِكَ ورُسُلِكَ وأَهْلِ طَاعَتِكَ، وتَشْتَمِلُ عَلَى صَلَوَاتِ عِبَادِكَ مِنْ جِنِّكَ وإِنْسِكَ وأَهْلِ إِجَابَتِكَ، وتَجْتَمِعُ عَلَى صَلَاةِ كُلِّ مَنْ ذَرَأْتَ وبَرَأْتَ مِنْ أَصْنَافِ خَلْقِكَ * رَبِّ صَلِّ عَلَيْهِ وآله، صَلَاةً تُحِيطُ بِكُلِّ صَلَاةٍ سَالِفَةٍ ومُسْتَأْنَفَةٍ، وصَلِّ عَلَيْهِ وعَلَى آله، صَلَاةً مَرْضِيَّةً لَكَ ولِمَنْ دُونَكَ، وتَنْشَئُ مَعَ ذَلِكَ صَلَوَاتٍ تُضَاعِفُ مَعَهَا تِلْكَ الصَّلَوَاتِ عِنْدَهَا، وتَزِيدُهَا عَلَى كُرُورِ الأَيَّامِ زِيَادَةً فِي تَضَاعِيفَ لَا يَعُدُّهَا غَيْرُكَ * رَبِّ صَلِّ عَلَى أَطَايِبِ أَهْلِ بَيْتِه الَّذِينَ اخْتَرْتَهُمْ لِأَمْرِكَ، وجَعَلْتَهُمْ خَزَنَةَ عِلْمِكَ، وحَفَظَةَ دِينِكَ، وخُلَفَاءَكَ فِي أَرْضِكَ، وحُجَجَكَ عَلَى عِبَادِكَ، وطَهَّرْتَهُمْ مِنَ الرِّجْسِ والدَّنَسِ تَطْهِيرًا بِإِرَادَتِكَ، وجَعَلْتَهُمُ الْوَسِيلَةَ إِلَيْكَ، والْمَسْلَكَ إِلَى جَنَّتِكَ *

رَبِّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وآله، صَلَاةً تُجْزِلُ لَهُمْ بِهَا مِنْ نِحَلِكَ وكَرَامَتِكَ، وتُكْمِلُ لَهُمُ الأَشْيَاءَ مِنْ عَطَايَاكَ ونَوَافِلِكَ، وتُوَفِّرُ عَلَيْهِمُ الْحَظَّ مِنْ عَوَائِدِكَ وفَوَائِدِكَ * رَبِّ صَلِّ عَلَيْهِ وعَلَيْهِمْ صَلَاةً لَا أَمَدَ فِي أَوَّلِهَا، ولَا غَايَةَ لِأَمَدِهَا، ولَا نِهَايَةَ لِآخِرِهَا * رَبِّ صَلِّ عَلَيْهِمْ زِنَةَ عَرْشِكَ ومَا دُونَه ، ومِلْءَ سَمَاوَاتِكَ ومَا فَوْقَهُنَّ، وعَدَدَ أَرَضِيكَ ومَا تَحْتَهُنَّ ومَا بَيْنَهُنَّ، صَلَاةً تُقَرِّبُهُمْ مِنْكَ زُلْفَى، وتَكُونُ لَكَ ولَهُمْ رِضًى، ومُتَّصِلَةً بِنَظَائِرِهِنَّ أَبَدًا *

اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَيَّدْتَ دِينَكَ فِي كُلِّ أَوَانٍ بِإِمَامٍ أَقَمْتَه عَلَماً لِعِبَادِكَ، ومَنَارًا فِي بِلَادِكَ بَعْدَ أَنْ وَصَلْتَ حَبْلَه بِحَبْلِكَ، وجَعَلْتَه الذَّرِيعَةَ إِلَى رِضْوَانِكَ، وافْتَرَضْتَ طَاعَتَه، وحَذَّرْتَ مَعْصِيَتَه، وأَمَرْتَ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِه، والانْتِهَاءِ عِنْدَ نَهْيِه، وأَلَّا يَتَقَدَّمَه مُتَقَدِّمٌ، ولَا يَتَأَخَّرَ عَنْه مُتَأَخِّرٌ فَهُوَ عِصْمَةُ اللَّائِذِينَ، وكَهْفُ الْمُؤْمِنِينَ وعُرْوَةُ الْمُتَمَسِّكِينَ، وبَهَاءُ الْعَالَمِينَ *

اللَّهُمَّ فَأَوْزِعْ لِوَلِيِّكَ شُكْرَ مَا أَنْعَمْتَ به عَلَيْه، وأَوْزِعْنَا مثْلَه فيه ، وآته (مِنْ لَدُنْكَ سُلْطاناً نَصيراً)، وافْتَحْ لَه فَتْحًا يَسيرًا، وأَعِنْه بِرُكْنِكَ الأَعَزِّ، واشْدُدْ أَزْرَه، وقَوِّ عَضُدَه، ورَاعِه بِعَيْنِكَ ، واحْمِه بِحِفْظِكَ وانْصُرْه بِمَلَائِكَتِكَ، وامْدُدْه بِجُنْدِكَ الأَغْلَبِ * وأَقِمْ به كِتَابَكَ وحُدُودَكَ وشَرَائِعَكَ وسُنَنَ رَسُولِكَ، صَلَوَاتُكَ اللَّهُمَّ عَلَيْه وآله، وأَحْيِ به مَا أَمَاتَه الظَّالِمُونَ مِنْ مَعَالِمِ دِينِكَ، واجْلُ به صَدَاءَ الْجَوْرِ عَنْ طَرِيقَتِكَ، وأَبِنْ به الضَّرَّاءَ مِنْ سَبِيلِكَ، وأَزِلْ به النَّاكِبِينَ عَنْ صِرَاطِكَ، وامْحَقْ به بُغَاةَ قَصْدِكَ عِوَجاً *

وأَلِنْ جَانِبَه لأَوْلِيَائِكَ، وابْسُطْ يَدَه عَلَى أَعْدَائِكَ، وهَبْ لَنَا رَأْفَتَه، ورَحْمَتَه وتَعَطُّفَه وتَحَنُّنَه، واجْعَلْنَا لَه سَامِعِينَ مُطِيعِينَ، وفِي رِضَاه سَاعِينَ، وإِلَى نُصْرَتِه والْمُدَافَعَةِ عَنْه مُكْنِفِينَ، وإِلَيْكَ وإِلَى رَسُولِكَ صَلَوَاتُكَ اللَّهُمَّ عَلَيْه وآله بِذَلِكَ مُتَقَرِّبِينَ *

اَللَّهُمَّ وصَلِّ عَلَى أَوْلِيَائِهِمُ الْمُعْتَرِفِينَ بِمَقَامِهِمْ، الْمُتَّبِعِينَ مَنْهَجَهُمْ، الْمُقْتَفِينَ آثَارَهُمْ، الْمُسْتَمْسِكِينَ بِعُرْوَتِهِمْ، الْمُتَمَسِّكِينَ بِوِلَايَتِهِمْ، الْمُؤْتَمِّينَ بِإِمَامَتِهِمْ، الْمُسَلِّمِينَ لأَمْرِهِمْ، الْمُجْتَهِدِينَ فِي طَاعَتِهِمْ، الْمُنْتَظِرِينَ أَيَّامَهُمْ، الْمَادِّينَ إِلَيْهِمْ أَعْيُنَهُمْ، الصَّلَوَاتِ الْمُبَارَكَاتِ الزَّاكِيَاتِ النَّامِيَاتِ الْغَادِيَاتِ الرَّائِحَاتِ * وسَلِّمْ عَلَيْهِمْ وعَلَى أَرْوَاحِهِمْ، واجْمَعْ عَلَى التَّقْوَى أَمْرَهُمْ، وأَصْلِحْ لَهُمْ شُئُونَهُمْ، وتُبْ عَلَيْهِمْ (إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)، و(خَيْرُ الْغَافِرِينَ)، واجْعَلْنَا مَعَهُمْ فِي دَارِ السَّلَامِ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.....

اللَّهُمَّ هَذَا يَوْمُ عَرَفَةَ يَوْمٌ شَرَّفْتَه وكَرَّمْتَه وعَظَّمْتَه، نَشَرْتَ فيه رَحْمَتَكَ، ومَنَنْتَ فيه بِعَفْوِكَ، وأَجْزَلْتَ فيه عَطِيَّتَكَ، وتَفَضَّلْتَ به عَلَى عِبَادِكَ * اللَّهُمَّ وأَنَا عَبْدُكَ الَّذِي أَنْعَمْتَ عَلَيْه قَبْلَ خَلْقِكَ لَه وبَعْدَ خَلْقِكَ إِيَّاه، فَجَعَلْتَه مِمَّنْ هَدَيْتَه لِدِينِكَ، ووَفَّقْتَه لِحَقِّكَ، وعَصَمْتَه بِحَبْلِكَ، وأَدْخَلْتَه فِي حِزْبِكَ، وأَرْشَدْتَه لِمُوَالَاةِ أَوْلِيَائِكَ، ومُعَادَاةِ أَعْدَائِكَ.....

وهَا أَنَا ذَا بَيْنَ يَدَيْكَ صَاغِرًا ذَلِيلًا خَاضِعًا خَاشِعًا خَائِفًا، مُعْتَرِفًا بِعَظِيمِ مِنَ الذُّنُوبِ تَحَمَّلْتُه، وجَلِيلِ مِنَ الْخَطَايَا اجْتَرَمْتُه، مُسْتَجِيرًا بِصَفْحِكَ، لَائِذًا بِرَحْمَتِكَ، مُوقِنًا أَنَّه لَا يُجِيرُنِي مِنْكَ مُجِيرٌ، ولَا يَمْنَعُنِي مِنْكَ مَانِعٌ * فَعُدْ عَلَيَّ بِمَا تَعُودُ به عَلَى مَنِ اقْتَرَفَ مِنْ تَغَمُّدِكَ، وجُدْ عَلَيَّ بِمَا تَجُودُ به عَلَى مَنْ أَلْقَى بِيَدِه إِلَيْكَ مِنْ عَفْوِكَ، وامْنُنْ عَلَيَّ بِمَا لَا يَتَعَاظَمُكَ أَنْ تَمُنَّ به عَلَى مَنْ أَمَّلَكَ مِنْ غُفْرَانِكَ * واجْعَلْ لِي فِي هَذَا الْيَوْمِ نَصِيبًا أَنَالُ به حَظًّا مِنْ رِضْوَانِكَ، ولَا تَرُدَّنِي صِفْرًا مِمَّا يَنْقَلِبُ به الْمُتَعَبِّدُونَ لَكَ مِنْ عِبَادِكَ.....

وافْتَحْ لِي أَبْوَابَ تَوْبَتِكَ ورَحْمَتِكَ ورَأْفَتِكَ ورِزْقِكَ الْوَاسِعِ، إِنِّي إِلَيْكَ مِنَ الرَّاغِبِينَ، وأَتْمِمْ لِي إِنْعَامَكَ، إِنَّكَ خَيْرُ الْمُنْعِمِينَ * واجْعَلْ بَاقِيَ عُمُرِي فِي الْحَجِّ والْعُمْرَةِ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وصَلَّى اللَّه عَلَى مُحَمَّدٍ وآله الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، والسَّلَامُ عَلَيْه وعَلَيْهِمْ أَبَدَ الآبِدِينَ.

(**الصحيفة السجادية الكاملة/للإمام زين العابدين** عليه السلام)

زهد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

د. أحمد جاسم مسلم الخيّال

تمهيد ما كان زهد الإمام علي عليه السلام إلاّ زهد الإمام العالم العارف، المستطيع التارك، ولم يكن زهده عليه السلام عن عجز وفقر يمنعه من الوصول إلى أطايب الطعام، ولو أراد لأقبلت إليه الدنيا بما فيها، وهو القائل: (وَلَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَفَّى هَذَا الْعَسَلِ وَلُبَابِ هَذَا الْقَمْحِ وَنَسَائِجِ هَذَا الْقَزِّ وَلَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ وَيَقُودَنِي جَشَعِي إِلَى تَخَيُّرِ الْأَطْعِمَةِ وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ الْيَمَامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ أَوْ أَبِيتَ مِبْطَاناً وَحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَى وَأَكْبَادٌ حَرَّى)[1].

إنه زهد الصادق الموقن بفناء هذه الدنيا وزوالها، المؤمن بالله تعالى، فكان يأخذ من الدنيا ما يقيم به أوده حتى لا يطول وقوفه بين يدي الله عزّ وجلّ يوم يعرض الناس للحساب، إنه زهد المواسي لأخيه الإنسان، فكرهت نفسه أن يبيت على بطنة، ولعلّ على وجه المعمورة من يشكو الجوع والفقر والعازة.

فأبت نفسه إلاّ أن تصدّ عن حطام الدنيا، وتزف عن مغرياتها، فقال لها: (إِلَيْكِ عَنِّي يَا

دُنْيَا فَحَبْلُك عَلَى غَارِبك - قَد انْسَلَلْتُ مِنْ مَخَالِبك - وَأَفْلَتُّ مِنْ حَبَائِلك)[٣].

وَكَانت حياته عليه السلام مثالاً للزهد، إذ كان يعيش مع أولاده عليهم السلام في بيت متواضع، وكان يأكل الشعير، ويطحنه لنفسه، ويأكل الخبز اليابس الذي يكسره على ركبته، وكان إذا أرعده البرد واشتدّ عليه الصقيع لا يتخذ له عدّة من دثار يقيه أذى البرد، بل يكتفي بما رقّ من لباس الصيف[٣].

وبلغ من زهده عليه السلام، ومن عظيم مواساته للرعيّة أن أبى أن يسكن قصر الإمارة الخاص به في الكوفة، حتّى لا يتميّز في سكنه عن الفقراء الذين كانوا يسكنون في بيوت متواضعة في جوانب الكوفة، وهو أراد بذلك أن يشارك الناس مكاره الدهر وقسوة العيش، وفي ذلك يقول عليه السلام: (أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِه الدَّهْرِ)[٤].

مَن أكرم منك؟ ومَن أزهد منك يا أمير المؤمنين؟ لقد ترفّعت عن الدنيا وشهواتها فرفعك الله عزّ وجلّ، وأنت القائل: (تزوجت فاطمة عليها السلام وما كان لي فراش، وصدقتي اليوم لو قسّمت على بني هاشم لوسعتهم)[٥]، وقال الإمام الباقر عليه السلام في زهد جده أمير المؤمنين عليه السلام: (وَلَقَدْ وُلِّيَ النَّاسَ خَمْسَ سِنِينَ فَمَا وَضَعَ آجُرَّةً عَلَى آجُرَّةٍ وَلَا لَبِنَةً عَلَى لَبِنَةٍ وَلَا أَقْطَعَ قَطِيعَةً وَلَا أَوْرَثَ بَيْضَاءَ وَلَا حَمْرَاءَ)[٦].

ووصف زهده ابن أبي الحديد، فقال: (وأما الزّهد في الدّنيا، فهو سيّد الزّهّاد، وبدل الأبدال، وإليه تشدّ الرّحال، وعنده تنفضّ الأحلاس ما شبع من طعام قطّ، وكان أخشن النّاس مأكلًا وملبسًا)[٧].

وقال عبد الله بن أبي رافع: دخلت إليه يوم عيد، فقدّم جرابًا مختومًا، فوجدنا فيه خبز شعير يابس مرضوضًا، فقدّم فأكلت فقلت: يا أمير المؤمنين، فكيف تختمه؟ قال: خفت هذين الولدين (الحسنين) أن يلتّاه بسمن أو زيت!!

وكان ثوبه مرقوعًا بجلد تارة وليف أخرى، ونعلاه من ليف، وكان يلبس الكرباس الغليظ، فإذا وجد كمّه طويلاً قطعه بشفرة ولم يُخطه، فكان لا يزال متساقطاً على ذراعيه حتّى يبقى سدى لا لحمة له!! وكان لا يأكل اللحم إلا قليلاً ويقول: لا تجعلوا بطونكم مقابر الحيوانات[٨].

لقد زهد الإمام علي عليه السلام في الدنيا، وأعرض عن ملذّاتها طمعًا بما عند الله عزّ وجلّ، ولو أراد لسجدت أمام قدميه الدنيا بما فيها، إلاّ أنه رغب عنها متّبعًا سنّة الأنبياء والصالحين قبله، لم يرقّ لنعومة عيش، ولم تمتدّ عيناه رغبة بمتاع قليل زائل، وخاطب الدنيا خطاب الزاهد الكريم، العارف أحوالها وخداعها ومكرها، قائلاً: (أنا الذي أهنت الدنيا)[٩]، نعم، أهان الدنيا بإعراضه عنها، وهو يعلم بأنها قضمة عيش لا بقاء لها، وكان لا ينسبها إلى نفسه تحقيرًا لها، ففي وصفه لها يقول: (وإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضَمُهَا مَا لِعَلِيٍّ ولِنَعِيم يَفْنَى ولَذَّة لَا تَبْقَى)[١٠]. ففي قوله (دنياكم) من التحقير والإهانة، ولو أن في نفسه شيء منها لقال: (دنياي)، لكنه ترفع عن ذلك عليه السلام. لأن الدنيا لم تترك في نفسه أثرًا كثيرًا كان أو قليلًا.

وكانت حياته عليه السلام مثالًا صادقًا للزهد في الدنيا، وكان شديد الحذر منها، ولا يأمن لما في يديه منها، وإنما كان نظره متوجّهًا الى ما في يدي الله عزّ وجلّ، وبقت كلماته تدور في فلك الخلود، فيها من السرّ

والحكمة لو أُخذ بها لأحيت القلوب الميّتة كما يحيي الماء الأرض القفر.

إن مثال الزهد عند الإمام عليه السلام هو مثال للإعراض عن الدنيا، وهو مثال تربوي للإنسان المسلم بأن يجعل نفسه لا تطلب إلّا ما عند الله عزّ وجلّ، ولا تركن إلى إغراءات الدنيا وشهواتها، وبذلك يخرج الإنسان عن حدود وجوده الإنساني، بأن يكون كالأنعام أو أضلّ سبيلاً.

إن زهد الإمام عليه السلام هو الباب الواسع والمدخل الرئيس الذي يستطيع الإنسان سلوكه دون أن ينحرف عقائديًّا أو يضلّ فكريًّا أو سلوكيًّا، إنها دعوة إلى الحد من الإسراف في الطيبات وتوفير بعضها، إنها دعوة للاقتصاد في الملبس من أجل غاية هي أسمى من الطعام والشراب والملبس، إنها غاية من أجل جعل النفس شفافة تنظر إلى الناس، وخصوصًا المعدمين منهم فتلمس نفوسهم ببعض تلك المتع وتدق على قلوبهم بأوتار المحبة التي تدفع هذا الإنسان كي يعيش آلامهم ويتحسس واقعهم فيرفق بهم ما أمكنه ذلك وسمحت له الظروف. إن هذا الزهد الإسلامي هو مفتاح الخير لجعل الإنسان يحسّ بحاجة أخيه الإنسان، فيندفع ليؤثره على نفسه فيجوع ليُشبع غيره ويسغب من أجل أن يرفع حاجة إنسان، إنه يلبس ما خشن من أجل أن يوفر لأخيه شيئًا من متع الحياة[11].

إن الزهد عند الإمام عليه السلام مقرون بالأخلاق، يقول عليه السلام: (إِنَّ مِنْ أَعْوَنِ الأَخْلَاقِ عَلَى الدِّينِ الزُّهْدَ فِي الدُّنْيَا)[12]، كأنما أخلاق المرء وحدها لا تعينه على دينه، فقام الزهد في الدنيا عونًا لها، يقوّم به دين المرء، ويستقيم حتّى يصل إلى مرضاة الله عزّ وجلّ، وهل الدين إلاّ مكارم الأخلاق، وكأن هذه المكارم لا تستقيم إلاّ إذا أسندها الزهد في الدنيا، وفراغ قلب المرء من غرورها وأوهامها.

وكفى للزهد فضيلةً ومدحًا أنه أعرف صفات الأنبياء والأولياء، ولم يُبعث نبي إلاّ به، ولو لم يتوقّف التقرّب إلى الله والنجاة في دار الآخرة عليه لمّا ضيّق علماء نوع الإنسان وأعرف الناس بحقيقة الحال على أنفسهم في فطامها عن شهوات الدنيا ولذّاتها[13].

وهل هناك أعرف وأعظم من الإمام علي عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبطبيعة الحال أن تكون حياته ومماته لله ربّ العالمين، على سنّة من سبقه من أولياء الله عليهم السلام، وها هو ذا يُقسم على اتباع هذه السنّة، سنة الزهد في الدنيا، لا من أجل جمع مال وادخاره أو اكتناز ذهب أو فضة أو اقتناء عقار ودار. وإنما كان زهدًا في كلّ ما حوته الدنيا، وإعراضًا عنها رغبة في ما عند الله عزّ وجلّ، وهو ذا يقول: (فَوَ اللَّهِ مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْرًا وَلَا ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفْرًا وَلَا أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْرًا وَلَا خُزْتُ مِنْ أَرْضِهَا شِبْرًا وَلَا أَخَذْتُ مِنْهُ إِلَّا كَقُوتِ أَتَانٍ دَبِرَةٍ وَلَهِيَ فِي عَيْنِي أَوْهَى وَأَوْهَنُ مِنْ عَفْصَةٍ مَقِرَةٍ)[14].

وبلغ من زهده عليه السلام أن اعترف له به عدوّه البغيض معاوية بن أبي سفيان، يقول ابن أبي الحديد: (قال عدوّه ومبغضه الذي يجتهد في وصمه وعيبه معاوية بن أبي سفيان لمخفن بن أبي مخفن الضبي لما قال له: جئتك من عند أبخل الناس، فقال: ويحك كيف تقول أبخل الناس وهو الذي لو ملك بيتًا من تبر، وبيتًا من تبن، لأنفد تبره قبل تبنه، وهو الذي كان يكنس بيوت الأموال، ويصلي فيها، وهو الذي قال: يا

صفراء ويا بيضاء غري غيري، وهو الذي لم يخلف ميراثًا، وكانت الدنيا كلّها بيده إلاّ ما كان من الشام)[١٥].

ولم يقل عدوّه معاوية ما قال، لو لم يكن الزهد مَعْلَمًا بارزًا من معالم شخصية الإمام عليه السلام، وسمة مميزة زينه الله تعالى به، وقد أكد هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إذ قال للإمام عليٍّ عليه السلام: (إن الله قد زيّنك بزينة لم يزيّن العباد بزينة أحبّ منها، هي زينة الأبرار عند الله: الزهد في الدنيا، فجعلك لا ترزأ من الدنيا ولا ترزأ الدنيا منك شيئًا، ووهبك حبّ المساكين، فجعلك ترضى بهم أتباعًا، ويرضون بك إمامًا)[١٦].

وقد زهد الإمام علي عليه السلام عن كل لذّات الحياة وزينتها وتوجّه بكلّ وجوده نحو الآخرة، وعاش عيشة المساكين وأهل المتربة من رعيته.

فهل حدّثك التاريخ عن زعيم كعلي عليه السلام في عظيم اقتدائه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، تُجبى له الأموال من الشرق والغرب، وعاصمته الكوفة تقع في أخصب أرض الله وأكثرها غنىً يومذاك، بيد أنه يعيش مواسيًا لأقلّ الناس حظًّا في العيش في هذه الحياة، يأكل خبز الشعير دون أن يخرج نخالته، ويكتفي بقميص واحد لا يجد غيره عند الغسل، ويحرّم على نفسه الأكل من بيت المال، ويرقع مدرعته حتى يستحي من راقعها[١٧].

أتُرى تستطيع العقول أن تصل إلى كنهه عليه السلام، وأن تسبر أغوار نفسه الشريفة؟ إن ذلك لأمرٌ عسير تقف عند حدوده أعظم العقول وأبعدها تأملاً، متحيّرة وشاخصة بصرها دون أن تصل إلى قرار.

فشخص الإمام علي عليه السلام جاوز الأولين وأعجز الآخرين، ووصل حدود الكمال في كلّ صفاته، وكان زهده وما سلك فيه من أكمل ما وصل إلينا عن زاهد في التاريخ، يواسي به الإنسان ممّن حرم من الطيّبات والملذات، وكانت غايته مرضاة الله عزّ وجلّ، دون أن تدفعه نفسه في لحظة من الزمن أن يخرج عن سلوكه، أو أن يهوي في ملذّة من ملذّات الحياة، وأفرغ نفسه من حبّ الدنيا وما فيها طلباً لما عند الله، وتقديساً لكرامة الإنسان، فما كان منه إلا أن يهين الدنيا مرة بعد أخرى، ويعرض عنها وإن تعرّضت له دون أن يمسّ قلبه منها هوىً قليل أو كثير.

وكانت مدة حكمه البالغة أربع سنين ونيف من الشهور مثالاً للحاكم العادل والإمام المنصف، فلم تكن الحكومة عنده تعني شيئًا إذا لم ينصف فيها مظلومًا أو يقيم حدًّا من حدود الله، وكان (مسلك الإمام تطويع وسيلة لغاية كريمة، هي إقرار إنسانية الإنسان، بقمع الانحراف، وغرس الفضائل، وسيادة العدل، وتوزيع ناتج العمل وخير المجتمع - بالحق – على جميع من فيه، ولا عجب وهو شبّ في حجر النبوّة ونهل من مكارم خلق الرسول، وتشرّب دعوته بالفكر والقلب وبالروح حتى نفذ نورها إلى كيانه، وشاع فيه إلى أبعد أغواره وأخفى خفاياه)[١٨].

وما كان ما ظهر منه من سيرة قوامها العدل والزهد إلّا صورة ظاهرة عكست ما تنطوي عليه نفسه، فتطابق ظاهره وباطنه، لذا لم يستطع إنسان أن يثبت عليه خللًا في رأي أو انحرافًا في سلوك.

وها هو أزهد الزاهدين، شبيه عيسى عليه السلام كما ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أكثر من مناسبة، أصبح غاية المريدين ومنهلاً للصالحين، يسيرون بسيرته ولا يصلون إليه. وطلّق الدنيا ثلاثًا لا رجعة فيها، ورحل

عنها ولم يورّث صفراء ولا بيضاء، رحل عنها كما أتى إليها مثالاً للصفاء والإيمان والكمال.

وصفة الزهد عند الإمام علي عليه السلام، فضلاً عن صفاته الأخرى، كانت مثالاً للإنسان في كلّ عصر، يقتدي بها ويتمثّل بها كقيمة إنسانيّة، تشعره بوجود أخيه الإنسان قربه، محافظًا على العلائق الإنسانيّة، وفي الوقت نفسه، تدفعه نوازعه الإنسانية للسير في طريق التكامل الإنساني، فالإنسان في حركة مستمرة، وعصر بعد عصر يسير خطوة في اتجاه كماله، ونهج الإمام علي عليه السلام في كماله وكمال صفاته مما يحتاجه الإنسان ليصل بأقصر الطرق إلى غايته.

١- نهج البلاغة/تحقيق صبحي الصالح/ص٤١٧.
٢- م.ن/ص٤١٩.
٣- ينظر: أعلام الهداية، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، المجمع العالمي لأهل البيت، ص٣١-٣٢.
٤- نهج البلاغة/ص٤١٨.
٥- كشف المحجة لثمرة المهجة/السيد ابن طاووس/ص١٢٤.
٦- الكافي/للكليني/ج٨ص١٣٠.
٧- ينظر: نهج البلاغة، ابن أبي الحديد/ج١ص٢٦.
٨- م.ن.
٩- البداية والنهاية/ابن كثير/ج٨ص٦.
١٠- نهج البلاغة/ تحقيق صبحي الصالح/ص٣٤٧.
١١- ينظر: الإمام علي عليه السلام منتهى الكمال البشري، عباس علي الموسوي، ص١٩٠-١٩١.
١٢- الكافي/للكليني/ج٢ص١٢٨.
١٣- ينظر: صوت الإمام علي في نهج البلاغة، السيد حسن القبانجي النجفي، ج٢، ص٢٥٥.
١٤- نهج البلاغة/تحقيق صبحي الصالح/ص٤١٧.
١٥- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد/ج١ص٢٢.
١٦- المناقب، ابن شهر آشوب، ط١، ج٢، ص٩٤.
١٧- ينظر: سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام، لجنة التأليف في مؤسسة البلاغ/ج١ص٦١١-٦١٤.
١٨- الإمام علي بن أبي طالب، عبد الفتاح عبد المقصود/ج٤، ص٤٤٠-٤٤١.

مع الفقيه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله)

بسم الله الرحمن الرحيم

س لو حصل في سنة من السنين بأن الناس افتقروا جميعًا، حتى أنه لم يوجد ولا واحد يملك نفقة الحج، فهل والحال هذه يجب دفع نفقة الحج من مال الزكاة لبعضهم حتى لا يخلو ذلك العام من حاج أم لا يجوز؟ ومن أي سهم يعطون إذا جاز اعطاؤهم؟

ج **نعم يجوز إعطاؤهم من سهم الفقراء والمساكين وفي سبيل الله.**

س شخص كان يتصور عدم بلوغه، ولذا نوى الحج الاستحبابي، ثم علم بعد ذلك ببلوغه وأنه كان مخطئًا في تصوره، فهل تجزي حجته عن حجة الإسلام أو لا؟

ج **نعم يجزيه عن حجة الإسلام.**

س موظف في الغرب عند الدولة يحول راتبه للبنك، ثم يسحب منه قدر حاجته في معاشه، ويستبقي الزائد في رصيده، وبمرور الزمن ارتفع رصيده إلى مبلغ يكفيه للحج، فهل يكون مستطيعاً بذلك ويجب عليه الحج؟

ج **لا يكون مستطيعًا، ولا يجب عليه الحج بذلك ما لم يقبض ما يكفي للحج، لأنه لا يملكه قبل قبضه. نعم الأولى له أن يبادر لقبض مقدار الاستطاعة ليجب عليه الحج، ويأتي به.**

س من يسلّم إلى مؤسسة الحج والزيارة مبلغًا من المال ويسجل اسمه في قائمة طلبات السفر إلى الديار المقدسة للحج، ويتسلم البطاقة الخاصة بذلك، ولا توفّر له هذه الفرصة في السنة نفسها، وحلّ رأس سنته الخمسية، هل يلزمه تخميس المال المدفوع؟ وهل يختلف الحج الواجب عن الحج المستحب في ذلك؟

ج **لا يجب فيه الخمس حتى وإن كان الحج مستحبًا.**

س من كان من أهالي المدينة المنورة وأحرم من مسجد الشجرة لحجة الإسلام على أساس أنه يذهب في طريقه إلى جدة ويأخذ المال الكافي لأداء الحج من أخيه ولما وصل إلى جدة لم يدفع له أخوه كلفة الحج وتبرع غيره بأدائها فما هو حكم حجه؟

ج **يصح حجه، ولكنه لا يكون حجة الإسلام إلاّ مع سبق تعهد الأخ بدفع كلفة الحج.**

س شخص على ذمته كفارة الإفطار في شهر رمضان متعمدًا لفترة طويلة وهو لا يتمكن من صيام شهرين متتابعين لكل يوم منها، وقد توفرت لديه مبالغ مالية لا تفي بنفقات الحج والتكفير بإطعام ستين مسكينًا، فهل يعد مستطيعًا ويجب عليه الحج أم يصرف المبالغ الموجودة في أداء ما عليه من الكفارة؟

ج **يعد مستطيعًا شرعًا فيلزمه أداء الحج.**

س شخص عنده ما يكفيه للحج وعليه دين مستوعب لما عنده، ولكنه مؤجل بعيد كأربعين سنة يدفعه أقساطًا خلالها، فهل يعدّ مستطيعًا ويجب عليه الحج أم لا؟

ج **إذا كان لديه مال يوفيه في وقته فالظاهر وجوب الحج، إلاّ إذا كان المال الذي عنده بنفسه قد استدانه فالأحوط وجوبًا له الحج حينئذٍ.**

س إذا ملك الإنسان مالًا يكفيه للحج ولكنه كان مريضًا، فهل يجب عليه أن يعالج نفسه ليتمكن من أداء الحج بنفسه؟

ج **إذا كانت المعالجة لا توجب ضررًا بدنيًا ولا حرجًا، فالأحوط وجوبًا الإقدام عليها.**

س الحج الاستحبابي، هل هو مشروط بالاستطاعة أو لا يكون مشروطًا؟ وعلى فرض الشرطية، فهل يصح الحج الاستحبابي مع علم المكلف بعجزه عن الهدي؟

ج **لا يشترط الحج الاستحبابي بالاستطاعة ويصح مع العجز عن الهدي، لكن عليه بدله الصوم في حج التمتع.**

س شخص يريد الذهاب للحج وهو لا يملك المؤنة، لكنه يتمكن من الاقتراض من بنك أهلي في بلد إسلامي أو غير إسلامي أو بنك حكومي في بلد إسلامي أو غير إسلامي، وبإمكانه التسديد التدريجي خلال عدة سنوات من دون حرج عليه هل يجزيه الحج عن حجة الإسلام؟ يرجى بيان الجواب على كل واحد من تلك الفروض.

ج **لا يجب عليه الاقتراض للحج في جميع الفروض. لكن لو اقترض فإن كان الاقتراض من بنك حكومي وأجرى على المال وظيفة مجهول المالك وملكه وجب الحج وأجزأ. وإن اقترض من بنك أهلي فالأحوط وجوبًا الحج به، وفي الاجتزاء به إشكال، إلّا إذا ملكه لغيره وبذل ذلك الغير المال للحج فإنه يجزي حينئذ. وكذا إذا صار مستطيعًا عند الوصول للميقات بدفع نفقات الحج قبل ذلك وتعذر استرجاعها، كما يتعارف في بذل نفقات الحج للحملدارية.**

س إذا كان عليه حق شرعي، كالخمس، لكنه كان مصممًا على عدم الدفع، فهل يجب عليه الحج بما عنده من المال، ولو حج به في هذه الحال، فهل يجزيه؟

ج **نعم يجب عليه الحج ويجزيه إذا كان الباقي عنده بعد استثناء الحق محققًا للاستطاعة.**

س امرأة كبيرة في السن لديها كمية من الذهب غير محتاجة إليه، أيهما أولى أن تبيع ذهبها لتحج بثمنه أم أن تبيعه لتزوج ولدها البالغ؟

ج **يجب عليها الحج أولًا.**

س أحد المؤمنين المقتدرين يرغب بإنفاق تكاليف الحج على الفقراء والمساكين في الوقت الحاضر، فهل يكون عمله مستوفياً لحجه؟

ج **إن ذلك من أعظم القربات، لكنه لا يجزي عن الحج ولا يقوم مقامه، بل إذا كان الحج واجبًا عليه فاللازم المبادرة له مع القدرة، ولا يجوز له تركه والاكتفاء بالإنفاق المذكور.**

س هل يجب الفحص عن تحقق الاستطاعة للحج، وكذا عن تحقق الربح وتحديد كمية الربح الذي يجب فيه الخمس؟

ج **لا يجب الفحص عن تحقق الاستطاعة، وكذا عن تحقق الربح من أجل الخمس. نعم إذا علم بتحقق الربح وشك في استيفاء المؤنة له لجهله بقدرها، فاللازم الفحص.**

س إذا استطاع الشخص ماليًا وسعى بدون تأخير للذهاب إلى الحج واشترك في القرعة، ولكن لم تصب القرعة باسمه ولم يمكنه الذهاب، لم يكن مستطيعًا ولم يجب عليه الحج. ولكنه إذا تسامح وتأخر في تسجيل اسمه في القرعة، وبعد سنوات اشترك في القرعة استقر الحج في ذمته حتى إذا لم تصب القرعة باسمه فما هو نظركم؟

ج **نعم نوافق على الفتوى المذكورة.**

التربية والتعليم في الإسلام

محمد دعيبل
كاتب وإعلامي

ينابيع

تعد التربية المرآة التي تعكس أنظمة المجتمع على اختلافها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وعقائده وتقاليده وعاداته، والتربية الإسلامية تعكس بوضوح تعاليم الإسلام السمحة وعقائده السامية. ذلك أن الإسلام - إلى جانب ما دعا إليه من الإيمان بعقائده السامية - دعا إلى التمسك بتعاليم الأخلاق الفاضلة التي عدها شرطاً أساسياً للحياة الدينية الصالحة. وثمة عدة مبادئ قد أثرت بصفة خاصة في تطور النظرية التربوية، منها مبدأ (المساواة)...؛ المساواة بين معتنقي الدين الجديد، بغضّ النظر عن جنسياتهم وألوانهم. وثيقة المساواة هذه أيدها الله تعالى بقوله الكريم: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**) (الحج: ١٣)، وأتبع ذلك بمبدأ (الإخاء والأخوة)، فقد ورد عن الامام الكاظم عليه السلام: (المؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه)[١]. وجاء في الحديث الشريف: (المسلم أخو المسلم...)[٢]، والطابع العام للتربية الإسلامية يتجلى في نزعتها المثالية في تقديم العلم والحث على طلبه، وفي الاهتمام بالفضائل الخلقية، ثم في مرونتها في طرق التحصيل واصطباغها بروح المساواة التي قضت على الفروق بين الشعوب والأجناس والطبقات في مجال التعليم والدّين، وإعطاء الأفراد فرصاً متساوية في التحصيل.

أغراض التربية الإسلامية:

إن للتربية الإسلامية عدة أغراض يمكن بيانها في ما يأتي:

١- الغرض الديني: منذ أن نزل القرآن الكريم وهو مرجع المسلمين في أمور العبادة والتشريع والحياة الاجتماعية بشتى مظاهرها.. حيث يعود إليه الفضل في انتشار القراءة والكتابة، وتأسيس المدارس، ونشأة العلوم المختلفة لخدمته وتفسيره وفهمه. غير أن الطابع العام للتربية عند المسلمين لم يكن دينياً بحتاً ولا دنيوياً بحتاً وإنما كان يلائم بين الدين والدنيا، فكانت التربية تهدف إلى إعداد الناشئ للحياة الدنيا وللآخرة معاً فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام: (الدين نور)[٣].

٢- الغرض الاجتماعي: هدفت التربية بجانب الدين والأخلاق إلى معانٍ اجتماعية،

فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: (المال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالإنفاق)[٤]، ونجد أنه حينما بدأ العلماء يَكْثُرون ويتميزون في علومهم تبعاً لنمو الحركة العلمية وازدهارها، ظهرت طبقة جديدة في المجتمع هي طبقة العلماء التي نالت مكانة رفيعة عند الخلفاء والأمراء، مما دعا الناس إلى الإقبال على التعلم لينالوا هذه الحظوة الممتازة في المجتمع. وقد شجع ذلك على التنافس على الابتكار وانتشار الثقافة وازدهارها.

٣- غرض المنفعة: كان من زيادة التدين أن ظهر التحرّج من أخذ الأجر في العلوم الدينية المباشرة، مثل تحفيظ القرآن الكريم، وإن كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد قَبِلَ أن يفدي بعض الأسرى نظير قيامهم بتعليم بعض أطفال المسلمين القراءة والكتابة، كما كانت وظائف القضاء والتعليم غايات سعى إليها كثير من الناس وأعدوا أنفسهم لها، وقد كان لرغبة الناس في حفظ القرآن والتفقه في الدين أثرها في نشوء الحاجة إلى المدارس حيث كانت المدرسة الأولى هي المسجد، فكان عامة الناس الذين يرغبون في تعليم أولادهم يبعثون بهم إلى المساجد حيث كانت تعقد حلقات لدراسة القران والحديث.. وكانت المساجد في معظم المدن الإسلامية مراكز التعليم لها.. ولم تكن المسائل الدينية فحسب هي موضوع الدرس في هذه المجالس بل كانت تعالج فيها أيضاً الموضوعات اللغوية والشعرية إلى جانب الندوات الأدبية التي تنعقد في بيوت المثقفين والأدباء التي عرفت باسم (مجالس الأدب). وقد جرت طريقة التدريس في تعليم التلاميذ على ثلاثة أساليب هي:

أ. الإلقاء: الذي يمكن أن يسمى (المحاضرة)، والإملاء أو التلقين.

ب. المناقشة: أو المذاكرة أو المناظرة.

ج. الألفاظ الصحيحة: وقد فطن الأئمة عليهم السلام إلى أن من شروط التفكير الصحيح أن تكون الألفاظ صحيحة محددة في الذهن لأن تجارب الطفل محدودة وانتباهه ضيّق المجال، والمعلم هو الذي يساعد على ربط الأشياء بعضها ببعض وعلى فهم ما لا يعلم في ضوء ما يعلم. والمدرس لا يستطيع أن يجعل تلاميذه مهتمين بموضوع ما اهتمامًا عميقًا إلّا إذا كان هو نفسه مهتمًا كل الاهتمام بهذا الموضوع ومتحمسًا له، فالمدرس العالم هو وحده القادر على تزويد سِواه بالعلم[٥].

عناصر التربية الإسلامية:

ثمة جملة من العناصر الأساسية المطلوبة لإنتاج المربي الكفء، ونستطيع أن نقول من خلال الاستقراء العملي والعلمي: إن هناك معطيات معينة تقترب إذا اجتمعت من عملية ناجحة لإنتاج مربٍ ناجح، وهذه المعطيات هي (العمق الإيماني، الشخصية السوية، العلم التطبيقي، البيئة المناسبة للتربية، المهارات المخصوصة، التقويم)، وتلك العناصر هي:

١. **العمق الإيماني:** وهو العنصر الأول الذي ينبغي توافره في الشخصية المرشحة للقيام بالعملية التربوية، فقد ورد في الحديث النبوي الشريف: (العِلمُ دينٌ والصَّلاةُ دينٌ ، فَانظروا مِمَّن تَأخُذونَ هذَا العِلمَ)[٦].

٢. **الإخلاص:** فكلام المربي الذي يفتقر إلى الإخلاص كدخان في الهواء، فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام: (الإخلاص غاية الدين)[٧].

٣. **الصبر:** ودافع الصبر هو الإيمان العميق الذي نتحدث عنه، فإذا ضعف الإيمان ضعف الصبر، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: (الصبر رأس الايمان)[٨].

٤. **الزهد:** وهو مطلب هام وعنصر أساس في شخصية المربي، ومعناه الإعراض عن الزينة والالتفات عن المتاع ورجاء الجنة في الآخرة، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: (جُعِلَ الْخَيْرُ كُلُّه فِي بَيْتٍ وجُعِلَ مِفْتَاحُه الزُّهْدَ فِي الدُّنْيَا)[٩].

موقف النظرية التربوية الإسلامية من النظرية التربوية الغربية:

يتضح من الثوابت التي أصبحت راسخة في وجداننا الحضاري وسلوكنا الفكري - نحن المسلمون - في العصر الحديث، وباتت تتحكم بقدر غير يسير في منهج دراستنا للظواهر، وتحليلنا

لمختلف القضايا الفكرية والتربوية، لعل من تلك الثوابت: أن نعرض الأنساق والنظم الإسلامية المرتبطة بشتى مجالات النشاط النظري والفكري، في سياق المقارنة بينها وبين مثيلاتها في عالم الغرب، ولا شك أن هذا الثابت النسبي ستستمر مسوغاته وفعالية تأثيره على تحليلاتنا ودراستنا الفكرية والنظرية، ما دام هناك في واقعنا المعاصر فئات عريضة من الناس تنظر إلى الغرب على أنه مركز الحضارة والإشعاع الفكري المستنير الذي لا نملك إزاءه إلا أن نطـأطئ رؤوسنا في خشوع، والواقع أن منهجية المقابلة هذه لا يمكن للتصور الإسلامي إلّا أن يخرج منها منتصرًا مرفوع الرأس؛ لأنه ينطلق من موقع قوة يستمدها من ربانية مصدره التي تمنحه التنزه عن التجاوز والضعف، والاهتزاز والقصور، لأن منهجية المقابلة تقتضي عرض الصـورة كاملة أمام الناس ـ بكلا طرفيها ـ فيتضح الطرف الهزيل من الطرف القوي، من خلال إبراز العناصر والمكونات التي تدخل في نسـيج كل بناء نظري على حـدة.

إذا تأملنا المذاهب التربوية في الغرب تبين لنا بوضوح انطباعها بطابع النظرة الأحادية الجانب، التي تركز على بعد واحد من أبعاد الكيان الإنساني على حساب الأبعاد الأخرى، فليس هناك في ظل ذلك المذهب مثل عليا يتجه إليها، غير الانسياق وراء ما تمليه عليه الطبيعة، ولا مكان مرموق لقوى العقل وضوابط الأخلاق التي يدعو إليها المنهج الإسلامي للتربية، والثغرات نفسها تشكو منها النظرية التربوية البراجماتية، إذ إن إعداد الإنسان عندها هو الإعداد لحياة هادرة يتقلب الإنسان بعنف وراء أمواجها المتلاطمة دون تحديد لقواعد ثابتة يتم الرجوع إليها وللكمال الذي يأوي إليه.

إن نتيجة هامة يمكن استخلاصها مما سبق، وهي أن تضارب الأفكار والمواقف الذي تعبر عنه النظريات الغربية، لهو برهان ساطع على أن المنطلقات التي تصدر عنها تلك النظريات خالية تماماً من اليقين العلمي، وإلّا لانتهت إلى قناعات مشتركة حول قضايا الإنسان والمجتمع، فهذا التخبط الذي تعاني منه هذه النظريات وغيرها نابع من الجهل بحقيقة الوجود، وحقيقة الإنسان محور الحياة فيه، ولعل كل ذلك كان بسبب نظرة الغرب إلى الانسان بعين واحدة كونه يمثل المنظومة المادية في الحياة دون الروحية، في الوقت الذي يؤكد الإسلام أن الإنسان ثنائي التركيب من مادة وروح، وهذا الازدواج يجب الاعتماد عليه في عملية التربية والتعليم.

أهداف التربية: الأهداف هي المستوى الثاني من مستويات النظرية التربوية، وهي تتولد بشكل مباشر من الفلسفة التربوية، وتقدم تفصيلات أدق وأكثر واقعية لما يرِد في هذه الفلسفة من أفكار وتصورات، وفي العادة تقسم الأهداف من حيث مكوناتها إلى: معلومات، ومهارات (عقلية وعملية)، واتجاهات، وعادات، وقِيَم، وشبكة علاقات اجتماعية.

أما من حيث مستوياتها، فتنقسم الأهداف إلى قسمين رئيسين:

الأهداف والأغراض: أو المقاصد العليا التي تعمل التربية لتحقيقها.

الأهداف الوسائل: أي التي تشتمل على الوسائل والأدوات الفعالة لتحقيق التكامل التربوي ، ولذلك يسميها الباحثون في المجال التربوي المعادلات التربوية،

المنطلقة من منابع الحديث الشريف في المنظومة الحديثية في الإسلام[١٠].

القسم العملي للنظرية التربوية:

تشكل هذه التطبيقات القسم الميداني العملي للنظرية التربوية، وهي تتكون من العناصر التالية:

١. **المنهاج:** المنهاج بمعناه البسيط هو: مجموع الخبرات المربية التي تهيئ المؤسسات التربوية لإنسانها التفاعل معها؛ لتحقيق المقاصد والأغراض التي تحددها الفلسفات والأهداف التربوية، وينقسم المنهاج إلى قسمين رئيسين هما:

منهاج ظاهر: الذي يشتمل على الخبرات الظاهرة المحسوسة، ويتألف من مواد دراسية وأساليب ووسائل تستعمل لتوصيلها أو تقويمها.

منهاج مستتر: غير ظاهر للعيان، وتجسده النشاطات التعليمية، والممارسات الإدارية، والعلاقات الجارية المرافقة للمنهاج الظاهر[١١].

٢- **المؤسسات:** أشار الحديث الوارد عن الإمام علي عليه السلام إلى هذه المؤسسات بصورة عامة، حيث روي عنه: (الدنيا كلها جهل إلّا مواضع العلم، والعلم كله حجة إلّا ما عمل به)[١٢]، فبالتطبيق الميداني لهذا الحديث الشريف تتعدد المؤسسات التربوية بتعدُّد حلقات السلوك في الفرد، ومع تعدُّد الحاجات والتحديات التي يواجهها المجتمع خلال مسيرة التغير الإنساني، ولكن يمكن تصنيف هذه المؤسسات بشكل عام إلى خمس مؤسسات هي[١٣]:

أ. مؤسسات التنشئة، ومحورها الأسرة.

ب. مؤسسات التعليم، ويبدأ محورها من المدرسة وينتهي بالجامعة.

ج. مؤسسات الإرشاد، ومحورها دور العبادة ومؤسسات الثقافة.

د. مؤسسات التوجيه، ومحورها مؤسسات الإعلام.

هـ. مؤسسات البيئة العامة، ومحورها مؤسسات الإدارة والأمن.

ولابد للعلم أن يكون نافعًا، فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام: (واعْلَمْ أَنَّه لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ولَا يُنْتَفَعُ بِعِلْمٍ لَا يَحِقُّ تَعَلُّمُه)[١٤].

٣- **الأساليب والوسائل:** تتحدد قيمة الأساليب والوسائل وفاعليتها بمقدار إسهامها في بَلْوَرة هوية الإنسان المتعلم، واستخراج قدراته وفضائله، وتمكينه من تسخير بيئته المحيطة، وإمداده بالوعي بتقسيمات الزمن الثلاثة: الماضي، والحاضر، والمستقبل.

٤- **إنسان التربية:** الإنسان الذي تتطلّع نظريات التربية إلى إخراجه هو الذي يقوم بالعمل الصالح كاملًا، والسؤال الذي يطرح نفسه: كيف تعمل التربية على إخراج الإنسان الصالح الذي يقوم بالعمل المشار إليه؟ للإجابة عن هذا السؤال لا بُدَّ من أمرين:

الأول: تعريف العمل.

الثاني: كيف يتولد العمل؟

أما عن الأمر الأول، فإن التربية الإسلامية تطلق اسم (العمل) على كل حركة مقرونة بهدف، فعن الإمام علي عليه السلام: (النية أساس العمل)[١٥]، ولما كان الهدف خاصًّا بالإنسان فقد أطلق على أعماله اسم (العمل)، أما الحركات غير الهادفة كحركة الشمس والقمر والرياح، فقد

سماها جريانًا. والعمل هو ثمرة عدد معين من العمليات التربوية التي تتكامل حسب نسَق معين يمكن أن نوجزه في المعادلات التالية[١٦]:

العمل الصالح = القدرة التسخيرية + الإرادة العازمة.

القدرة التسخيرية = القدرات العقلية + الخبرات المربية.

الإرادة العازمة = القدرات العقلية + المثل الأعلى.

وفيما يأتي تعريف موجز لكل من هذه المكونات للعمل:

القدرة التسخيرية: هي ثمرة تزاوج القدرات العقلية مع الخبرات المربية؛ أي: إن القدرة التسخيرية تتولد من خلال النظر العقلي السليم في تاريخ الأفكار والأشخاص والأشياء؛ بغية اكتشاف قوانينها، ثم الاستفادة من هذه القوانين لتسخيرها والانتفاع بها[١٧].

الإرادة العازمة: تعرف الإرادة بأنها قوة التوجُّه نحو الهدف المراد، وهي ثمرة تزاوج القدرات العقلية مع المثَل الأعلى؛ أي: إن الإرادة تتولد من خلال النظر السليم في مستويات المثَل الأعلى، التي تتضمَّن نماذج الحاجات التي تجلب للإنسان النفع أو تدفع عنه الضرر.

القدرات العقلية: في الإنسان قدرات عقلية كامنة يستطيع من خلالها تدبير أمور معاشه، والتعرُّف على الكون المحيط بمكوناته والبيئة المحيطة بأحداثها، وتتفاوت القدرات العقلية قوة وضعفًا طبقًا لأنظمة التربية ومتغيرات البيئة[١٨].

والتربية بمدلولها الواسع وبمؤسساتها المتكاملة هي المسؤولة عن دراسة هذه القدرات العقلية الهائلة وتنميتها، وتشير البحوث المعاصرة إلى أن كل ما أنتجه الإنسان من حضارات وعلوم إنما هو نتاج ١٠٪ من قدرات الإنسان العقلية، وأنه إذا أتيح له أن يستعمل ٥٠٪ (خمسين بالمائة) من هذه القدرات، فسوف يستطيع المتعلم أن يتعلم أربعين لغة، وأن يدرس في فصل واحد في عشرات الكليات، فعن

الإمام علي عليه السلام: (العقل غريزة تزيد بالعلم والتجارب)[19].

المثل الأعلى: يعرف بأنه أنموذج الحياة المعنوية والمادية التي يراد للإنسان المتعلم أن يحياها، وللأمة أن تعيش طبقًا لها، في ضوء علاقات كل منهما بالمنشأ والكون والإنسان والحياة والمصير. ويطلق القرآن الكريم على المثل الأعلى المتضمن في آياته اسم (المثل الأعلى)، وعلى ما تفرزه عقول غير المؤمنين اسم (المثل السوء)، ويتوعّدهم بالفشل والعذاب، كما في قوله تعالى: (**لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**) (النحل :٦٠).

الخبرات المربية: الخبرة هي عمل وأثر، ولا بُدَّ من تكامل الاثنين وحصولهما، فإذا حصل العمل ولم يترك أثرًا في نفس الإنسان وحياته لا يسمى خبرة، والأثر هو ما يحدث في حياة الإنسان من تقدُّم حضاري في أدوات الحياة، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: (**جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا الْعِلْمُ؟ قَالَ: الإِنْصَاتُ، قَالَ: ثُمَّ مَه؟ قَالَ: الاسْتِمَاعُ، قَالَ: ثُمَّ مَه؟ قَالَ: الْحِفْظُ، قَالَ: ثُمَّ مَه؟ قَالَ: الْعَمَلُ بِه، قَالَ: ثُمَّ مَه يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: نَشْرُه**)[20].

القياس والتقويم: القياس والتقويم هما البحث العلمي، أو الموضوعي في نتائج العملية التربوية في ضوء الأهداف التربوية المتبناة من قبل الإسلام؛ للوقوف على درجة حصول التغييرات في السلوك أو الأوضاع، ثم تقييم هذه التغييرات استنادًا إلى قِيَم ممثلة في الأهداف التي تحققت، وصار معيار النجاح مقدار ما تحقق من المعادلات العملية للأهداف، وليس مقدار ما استظهره الطالب من مادة دراسية[21].

١- المناقب/ابن شهراشوب/ج٣ص٥٢٧.
٢- المبسوط/الشيخ الطوسي/ج٧ص٢٦٦.
٣- عيون الحكم والمواعظ/الليثي الواسطي/ ص٦١.
٤- نهج البلاغة/ ج٤ ص٣٦.
٥- ينظر: كتاب لمحات اجتماعية في تاريخ العراق الحديث/ علي الوردي، ص ٧٥.
٦- كنز العمّال/ المتقي الهندي / ج١٠ ص١٣٣.
٧- عيون الحكم والمواعظ/الليثي الواسطي/ ص١٩.
٨- الكافي/ للكليني /ج٢ص٨٧.
٩- م.ن/ص١٢٨.
١٠- التربية والتعليم في الإسلام :يوسف مدن/ ص٣٥.
١١- م.ن/ ١١١.
١٢- التوحيد/الشيخ الصدوق/ص٣٧١.
١٣- التربية والتعليم في الإسلام: يوسف مدن/ ص١١٥.
١٤- نهج البلاغة/ تحقيق صبحي الصالح/ ص٣٩٣.
١٥- عيون الحكم والمواعظ/ الليثي الواسطي/ ص٢٩.
١٦- التربية والتعليم في الإسلام، ص٥٥.
١٧- م.ن/ ص٥٦.
١٨- أسس التربية والتعليم في القرآن والحديث/ ص٤٣.
١٩- عيون الحكم والمواعظ/ ص٥٢.
٢٠- الكافي/للكليني/ ج١، ص٤٨.
٢١- التربية والتعليم في الإسلام، ص ٦٦.

مواقف خالدة

في معركة صفين، برز رجل من أصحاب معاوية يقال له: حجل بن أثال بن عامر العبسي حتى وقف بين الجمعين، ثم نادى: يا أهل العراق من يبارز؟ فما لبث أن خرج إليه ابنه وكان الابن مع الإمام علي عليه السلام والأب مع معاوية، والابن يقال له: أثال. فخرج إليه وهو لم يعرفه، فتطاعنا بالرماح، فطعنه ابنه طعنة أرداه عن فرسه. وسقطت البيضة عن رأس الشيخ، فنظر إليه الفتى فعرفه أنه أبوه! فرمى بنفسه عن فرسه وأكب عليه، وقال: يا أبتِ أظن أنه قد أهنتك طعنتي.

فقال: نعم يا بني، وليس على منها بأس إن شاء الله، لكن يا بني هلم إلى الشام والأموال الكثيرة مع معاوية.

فقال له الابن: هلم الآخرة وجنة الخلد مع علي بن أبي طالب.

فقال الشيخ: يا بني هذا ما لا يكون من أبيك أبدًا.

قال الفتى: يا أبت هذا ما لا يكون من ابنك أبدًا، فارجع إلى صاحبك فإني راجع إلى صاحبي.

فرجع كل منهما إلى صاحبه وعجب أهل العسكرين منهما جميعًا، وضربوا في الأمثال بعد ذلك.

(مواقف الشيعة/ الأحمدي الميانجي/ ج٢، ص١٧٣)

الإنسانْ
بين شُكرِ النعم الإلهية وجحودها

إيلاف عبد العزيز الصافي
حوزة السيدة زينب (ع)/البصرة

ينابيع

لا يخفى على أحد أنّ النعم التي أنعم الله بها على الإنسان كثيرةٌ متنوعةٌ لا تُعد؛ فكل ما يصدق عليه نعمة كالنعم المادية والمعنوية مشمول بما تذكره الآية الكريمة: ﴿**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ (النحل: ١٨)، ويتعامل الإنسان مع هذه النعم بطريقتين:

أولًا: الشكر:

وهو الاعتراف بالمعروف والإحسان، والثناء على المحسن بما أولاه من معروف. أو هو (حالة نفسانية تنشأ من العلم بالمشكور وصفاته وإنعامه، وتثمر العمل بالقلب واللسان والأركان)[١].

فشكر المنعم والثناء عليه، من الأمور الفطرية التي جبل الإنسان عليها، وأمرت بها الشرائع السماوية والقوانين الوضعية، وأقرها العقل والمنطق، وعمل بها الإنسان منذ خلق على الأرض، قال أحد الشعراء:

فلو كان يستغني عن الشكر ماجدٌ
لعزّة مُلكٍ أو عُلُوّ مكانِ
لما أمر اللهُ العبادَ بشكره
فقال: اشكروا لي أيّها الثَّقلانِ[٢]

لقد حظي الشكر باهتمام بالغ من لدن الباري سبحانه في عدد غير قليل من آيات القرآن الكريم، وكذلك في أحاديث الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وأحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام.

فقد وردت عدة آيات تعطي الشكر والشاكرين أهمية بالغة، إذ جعله الله مقابل نعمه على العباد، أو ثمنًا لها: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**) (البقرة: ١٧٢). (**فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**) (النحل:١١٤)، بل جعل الله الشكر سببًا لزيادة نعمه على العباد (**لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**) (إبراهيم: ٧)، وعن الإمام الباقر عليه السلام: (ما أنعم الله على عبد نعمة فشكرها بقلبه، إلا استوجب المزيد فيها قبل أن يظهر شكرها على لسانه)[٣]، كما اعتبره الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم نصف الإيمان (الإيمان نصفان نصف في الصبر ونصف في الشكر)[٤].

وفوق هذا وذاك، فقد كان سلوك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرشدنا إلى أن أفضل العبادة، شكر الله على نعمه، فقد كان صلى الله عليه وآله وسلم يقوم الليل بالتهجد والعبادة ويجهد نفسه ويبكي ـ وهو على علو مقامه وسمو منزلته ـ فلما سئل صلى الله عليه وآله وسلم... قال: (أفلا أكون عبدًا شكورا)[٥].

وكذلك اعتاد المخلصون من العباد جعل عبادتهم وما يتقربون به إلى الله، شكرا لله، عن أمير المؤمنين عليه السلام: (وإن قومًا عبدوا الله شكرًا فتلك عبادة الأحرار، وهي أفضل العبادة)[٦]. وقد جعل الله سبحانه قلة الشكر والتقصير فيه سببًا لزوال تلك النعم ـ كما سيمر علينا ـ قال أمير المؤمنين عليه السلام: (إنَّ لله في كُلِّ نِعْمَة حَقّاً فَمَنْ أَدَّاه زَادَه مِنْهَا ومَنْ قَصَّرَ فيه خَاطَرَ بِزَوَالِ نِعْمَتِه)[٧].

ثانيًا: الجحود:

أما ترك الشكر فقد عده الله جحودًا وكفرًا: قال تعالى: (**وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ**) (البقرة: ١٥٢)، (**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا**) (الدهر: ٣)، وتوعد تاركه بالعذاب الشديد، (**لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**) (إبراهيم: ٧).

ويتجلى الجحود في استخدام هذه النعم بالمعصية وسوء الخلق، فيكون الرد على الشكر تحويل النعم إلى نقمة، من خلال اتباع الشهوات وحب الدنيا وكل ما يكون اشباعًا للذات الإنسان، ويغيب الوصول إلى طريق الملكوت بوصفه الهدف الأسمى لهذه النعم. ومن المؤكد أن التضييع للنعم يلحق أشد الضرر بالإنسان ويصل إلى من حوله، وتبتعد فرص نجاة النفس المسكينة المضيعة للنعم والجاحدة لها، بل تتهاوى هذه النعم أمام أرذل الأعمال فتنتج جبلاً من الذنوب التي لا ندرك ما يكون عقباها في الدنيا قبل الآخرة.

من أعظم هذه النعم التي أنعم الله بها على الإنسان: اللسان؛ إذ يعد من لطائف صنع الله، فعلى الرغم من صغر حجمه فإن الطاعة به تعدُّ كبيرة، ولا يتحقق الإيمان إلّا به، ولا يتبين إلّا بشهادته، ولا يمكن الاهتداء إلى الصفاء إلّا بدلالته، وبه يثبت وينفى ما يكون موجودًا أو معدومًا، وهو الذي يشير بالحق أو بالباطل[٨]. ولعل أمثل تصوير وتجسيد لأهمية هذا العضو وخطورته ما وَرد عن أمير المؤمنين عليه السلام: (ما الإنسانَ لَولا اللّسانُ إلاّ صُورَةٌ مُمَثّلَةٌ أو بَهَيمَةٌ مُهمَلَة)[٩].. وقوله عليه السلام: (الْمَرْءُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِه)[١٠]، ولذا وجب على الإنسان أن يكون حذرًا في ما يتلفظ به من كلام، وهو ما يشير إليه الإمام عليه السلام في تتمة كلامه؛ (فَزِنْ كلامك واعرضه على العقل

والمعرفة، فإن كان لله وفي الله تكلم، وإن كان غير ذلك فالسكوت خير منه، وليس على الجوارح عبادة أخف مؤونة وأفضل منزلة وأعظم قدراً عند الله من كلام فيه رضا الله عز وجل، ولوجهه ونشر آلائه ونعمائه على عباده، وإن الله لم يجعل فيما بينه وبين رسله معنى يكشف ما أسر إليهم من مكنونات علمه ومخزونات وحيه غير الكلام، وكذلك بين الرسل والأمم، فثبت بهذا أنه أفضل الوسائل، وكذلك لا معصية أثقل على العبد وأسرع عقوبة عند الله وأشدها ملامة وأعجلها سآمة عن الخلق منه، فاللسان ترجمان الضمير وصاحب خبر القلب، وبه ينكشف ما في سر الباطن، وعليه يحاسب الخلق يوم القيامة، والكلام خمر يسكر العقول ما كان منه لغير الله وليس شيء أحق بطول السجن من اللسان)[11]، فيغفل الإنسان عن كمال هذه النعمة التي إن سلمت أوصلته إلى الكمال وإن بدّلها بما هو أسوأ أسست له بنيانًا من المعاصي. وأن لكل بناء أساس وأساس اللسان هو القلب، فإذا كان القلب محجوبًا عنه النور تكون النتيجة أكثر قبحًا، وينتج عن ذلك الكبر والحسد والحقد وهذه الصفات الذميمة تدفع الإنسان إلى سوء الخلق وإلى الاعتداء على الآخرين والإساءة إليهم، ويكون في دائرة من مكر الشيطان وتكون الغفلة مستحكمة فيه. ومن الممكن أن يجره الكِبَر إلى عقوق الوالدين أو معاملة الأهل والأَولاد بأبشع صورة، تصل إلى الإهانة أو الضرب أو غيرها، وأيضًا من كان حسودًا وحقودًا سينتهي الأمر به إلى الإيقاع بين المؤمنين والبهتان عليهم، ولا ينجو ذلك حتى من الغيبة على من حسده وكثر عليه حقده، فكل فعل مذموم من هذه الآفات لا يرجى منها الخير.

وبعد كل هذه الذنوب التي تتسبب بالفراق وعدم اللقاء مع المحبوب تعالى ذكره، تتجلى نعمة أخرى من نعم الله سبحانه، إذ يبقى المحبوب في شوق رجوع العبد إلى ساحته، وإنْ كان هذا الحجاب المسود بالمعاصي لا يرجى أن يزول إلّا أن الكرم الإلهي مبسوط العطاء، ويقطع يأس كل يائس، فأول باب ينفتح لهذا العبد المنغمر في الدنيا هو باب التوبة مقابل هذا الجبل الهائل من السير وراء مغريات الشيطان ومكائده. فعن الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صلى الله عليه وآله: مَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْته بسَنَة قَبِلَ اللّٰه تَوْبَتَه، ثُمَّ قَالَ: إنَّ السَّنَةَ لَكَثِيرَةٌ، مَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْته بشَهْر قَبِلَ اللّٰه تَوْبَتَه، ثُمَّ قَالَ: إنَّ الشَّهْرَ لَكَثِيرٌ، مَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْته بِجُمْعَةَ قَبِلَ اللّٰه تَوْبَتَه، ثُمَّ قَالَ: إنَّ الْجُمْعَةَ لَكَثِيرٌ، مَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْته بيَوْم قَبِلَ اللّٰه تَوْبَتَه، ثُمَّ قَالَ: إنَّ يَوْمًا لَكَثِيرٌ، مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ يُعَاينَ قَبِلَ اللّٰه تَوْبَتَه)[12].

وهنا تتجلى أكبر نعمة تعيد النعم المضيعة سابقًا، إلّا أن العبد قد غشي على كل جوارحه وصار أسير الشيطان، ولهذا لابد من وجود عقاب يترتب على ذلك، ويكون إما في الدنيا أو بعد انتهاء حياة الإنسان، (قال الإمام الصادق عليه السلام الموت كفارة ذنب كل مؤمن) يعني أن المؤمن كلما يقع عليه من الأمراض والبلايا فهو كفارة لذنوبه، فإذا بقي منها شيء فالموت كفارة له، ولا يدل على أن الموت كفارة كل ذنوبه إلّا باعتبار أنه جنس مضاف ويدل على العموم وفيه شيء، وفي الأخبار الكثيرة أنه إذا بقي شيء منه فكفارته عذاب القبر، وإذا بقي منه شيء فبأهوال يوم

القيمة...)[١٣].

أما الحسرة التي وردت في قوله تعالى: (**وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**) (مريم:٣٩)، وتكون الحسرة هنا على ما فات من عمر الإنسان في غير ذكر الله، وتضييع النعم أو تحويلها إلى نقم، ولابد لذلك من كفارة؛ فإنَّ الله سبحانه وتعالى دائم العطاء للعبد، فبقدر ما يغفل ويلهو في الدنيا ومتاعبها وشهواتها فإنه سبحانه لا يقطع الخير عنه، ولا ينقطع عن رعايته في كل مواقفه. إلّا أن هذا الجاحد لابد له من ضربة لعلها توقظه من غفلته في دنياه، ومن هنا فإن كل بلية أو مرض أو كل ما يعكر صفو العبد، هي من النعم لأنها موصولة برد هذا العبد المسكين اللاهي عن لطف المحبوب، فتكون التصفية آخر نعمة تمنح للعبد، وهي نهاية الدنيا وختام أعمال الإنسان، وبداية الآخرة بعالم البرزخ، ففي الاصطلاح هو عالم ما بين عالمي الدنيا والآخرة[١٤].

وقد جاء في الروايات ما خلاصته إن الإنسان حينما يموت يخف حمله شيئاً، (فإن لم يطهر ففي انتزاع الروح عن البدن يؤخر شيئًا لكي تخف ذنوبه، فإن لم يكن كافيًا، يقول الإمام زين العابدين عليه السلام يدخل في برزخه، ويطهر من ذنوبه فإن لم يكن كافيًا وكانت ذنوبه كثيرة ولم تتطهر طيلة عالم البرزخ سيق إلى القيامة وعقابها ذات الخمسين موقفًا، يمتد كل موقف لألف سنة، فيوقف في كل موقف حتى يتم إصلاح حاله)[١٥]، ويبقى المولى تبارك وتعالى ينظر دائماً بعين الرحمة لما قام به العبد وإن كان في معصيته؛ فكل هذه المراحل من تصفية الذنوب التي يتم علاجها وتخفيف وزرها هي بحد ذاتها نعمة عظيمة ورحمة من الله لضعف هذا العبد وقلة حيلته لكي تنجيه من هول العذاب السرمدي، فما أعدل حكم الله حينها وما أقبح ظلم العبد لربه ونفسه.

١- شرح أصول الكافي /محمد صالح المازندراني/ ج١ ص ٢٢١.
٢- فضيلة الشكر لله /محمد بن جعفر السامري/ ص٦٥.
٣- الحكايات/الشيخ المفيد/ص٩٦.
٤- تحف العقول /ابن شعبة الحراني/ ص ٤٨.
٥- بحار الأنوار - العلامة ألمجلسي - ج ٤٦ - ص ٧٩(بتصرف).
٦- تحف العقول - ابن شعبة الحراني - ص ٢٤٦.
٧- نهج البلاغة /ص ٥١١.
٨- جامع السعادات/الشيخ محمد مهدي النراقي/ ص٤٣٣.
٩- عيون الحكم والمواعظ/الليثي الواسطي/ ص٤٨٣.
١٠- نهج البلاغة/ تحقيق صبحي الصالح/ص٤٩٧/ ح:١٤٨.
١١- مستدرك الوسائل/ النوري الطبرسي/ ج٩: ص٢٢.
١٢- الكافي/الكليني/ج ٢، ص٤٤٠.
١٣- روضة المتقين / المجلسي الأول/ ج١ ص٣٤٦.
١٤- ينظر: العقائد الحقة: السيد علي الحسيني الصدر/ ص٤١٣.
١٥- أسرار القرآن: السيد عبد الحسين دستغيب مج ٢، ٣٣٦.

قصيدة في مسلم بن عقيل عليه السلام

للشاعر عبد المهدي مطر

فتحوّلَت عن مسلمٍ تَحدُو بها ... للجاهلية رِدّةٌ ورجوعُ
وتألّبت تبغي عليه وأنه ... حِصنٌ كشاهقةِ الرِعانِ منيعُ
فَرْدٌ تَنمَّرَ ليس توهن عَزمَهُ ... زمَرٌ تَألَّبُ حولَهُ وجموعُ
باتوا وبات اللّيثُ حيثُ عرينُه ... في بيت(طوعةَ) شائكٌ ممنوعُ
حتىّ إذا انبلجَ الصباحُ تدافعت ... كالسيلُ يَزخَرُ موجُهُ المدفوعُ
نعَتُوهُ فاقتحموا العرينَ وَهالَهُم ... ليثٌ إذا اقترعَ الكماةُ قريعُ
وهنالكَ انتشَرَت رؤوسٌ وانبَرت ... أَيدٍ وفاضَ من الرقاب نجيعُ
واجتَثَّ ذرعاً آنَ منهُ حصادُهُ ... وكذاك يُحصَدُ غَيضَها المزروع
ألوى فقحَّمها الكتائب فالتوى ... جيشٌ يُعَرِّد بالفراع هلوع
مستنجدين من الأمارةِ نِجدةً ... يلْتامُ فيها جمعُها المصروع
حتىّ إذا التجئوا لخدعةِ ماكرٍ ... فيها يُغالَبُ غافلٌ مَخْدوُعُ
قالوا الأمانَ لكي يَحوكُوا كيدَهم ... ولكي يَفيءَ إلى الأمانِ وديعُ
خانوه فانتزعوا الحُسامَ وما دَنوا ... لو في يديه حسامُهُ المطبوعُ
وتواثبوا حشداً عليه وأوثقوا ... صَعباً على الأَزَماتِ ليس يُطيعُ
وجرى المحتّم فاغتدى مُتَشحّطاً ... بدمِ الوَريد ورأسُهُ مقطوعُ

أبكيه للحلبات أخـلـيَ شوطُها ... من فـارس هو في الرعيل تليعُ
أبكيه ماضي العزم لم يَخفق له ... عندَ اصطِكاك المشرفيّة رُوعُ
أبكيه نـدبـاً لـم تنحهُ نـوادبٌ ... وصـريـع مجد مـا بكته دمـوعُ
وعـلـى زرودٍ دَنَّـــةٌ عَـلَـويّـةٌ ... رَوى بـهـا خـطـبٌ ألَـــمَّ فظيعُ
أعـظِـم بها فـي النائبات فجيعةً ... أَنَّ الحسين بها هـو المفجوعُ
فلقد تـهـدّمَ منها ركـنٌ شامخٌ ... وانهدَّ حصنٌ في الكروب منيعُ
وهـــوى لـــواءٌ كـان حين يَـهـزّهُ ... يَـهـتَـزُّ قـلـبٌ لـلـعـدوّ مـــروعُ

❊ ❊ ❊

وأَمـــضُّ مـا يشجى حـشـاهُ يتيمةٌ ... حَـيـرى يُعاصى دَمـعُـهـا ويطيعُ
ظنّت أباها حينَ طـالَ به النوى ... يَـدنُـوا بـه بَـعـد الغياب رجـوعُ
راحـت تسائل عنه شجواً عَمَّها ... مـاذا يُجيبُ وقلبُه المصروعُ
نَـسِـيَ الوحيدةَ وهـي فِـلـذةُ قلبه ... أم حـالَ مـنـهُ الـــودُّ وهـــوَ وَلـوع
فأجابها الدمع المرقرقُ فانثنت ... يَـبـدُوا عليها اليُتم والتضييع
ويهونُ منها الخطب أنَّ كفيلها ... كـهـفٌ تَـلُـوذُ بـهِ الـعُـفـاةُ رفيع
عـيـنٌ تَـفَـجَّـرُ لليتيم يُسيلُها ... قـلـبٌ لِأَنّـــاتِ اليتيم جَـزوُع
جَـــمُّ الحميةِ لا تضيع يتيمةٌ ... فـي جانبيهِ ولا اليتيم يضيع
فالضيعةُ الكبرى بـيـوم يَفتدى ... لـلـسـوط فـــوقَ مـتـونِـهـا تقنيع
يـــومٌ تَـحـومُ بـه فلم تـرَ مفزَعاً ... يَحمي الطَريدةَ رُمُحُهُ المَشروعُ
وَتَـعُـجُّ تَهتِفُ بالحماةِ لِيَسمعُوا ... وَلـهـى تَـعُـجُّ ومـا هـنـاك سَميعُ
يـــومٌ يطير بِـقَـلـبِـهـا مَـذهـولـةً ... ذَعَـــرٌ وَيُـــذهِـــلُ لُـبَّـهـا تـرويـعُ

حكاية مستبصر

بدايتي مع كتاب (المراجعات)

محمد زبير/ من نيجيريا

مولده ونشأته: ولد الأخ محمد زبير بمدينة أوكني عام (١٩٦٧م) في نيجيريا، نشأ في أوساط عائلة تعتنق المذهب المالكي، فأصبح مالكيًا.

حاصل على شهادة الدبلوم في الدراسة الأكاديمية، أما دراسته الدينية فعمرها ثلاث سنوات، كان يمارس خلالها نشاطًا تبليغيًا مؤقتًا، يدعمه في هذا النشاط الحركة الإسلامية التي كان هو أحد أعضائها.

حكايته: يروي لنا الأخ محمد قصة استبصاره فيقول:

عندما كنت عضوًا في الحركة الإسلامية ذهبت إلى منطقة (زاريا) للمشاركة في الاجتماع الدوري لهذه الحركة ـ الذي يقام كل ثلاثة أشهر ـ وعند وصولي إلى المنطقة ذهبت إلى منزل صديقي واسمه (شيهو تورو) وهو شيعي، فوجدت عنده كتاب المراجعات...، فتصفحته .....، فقرأت المراجعة الأولى في تلك الليلة وأنا في الفراش، فشدتني! ثم قرأت الثانية! والثالثة! هكذا حتى الصباح .... .

فاستعار الكتاب من صديقه، وعاد به بعد انتهاء الاجتماع إلى مدينته.

مع قضية الخلافة: عكف الأخ محمد زبير على المطالعة بدقة وتمعن، وكانت قضية الخلافة إحدى مسألتين جلبتا انتباهه، حيث وجد أن السيد شرف الدين ﷺ قد أشبع هذا الموضوع بالبحث والاستدلال رغم عدم التوسع، فهو قد بيّن كيف كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام معاضدًا ومناصرًا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم رغم حداثة سنّه آنذاك، حتى أن رسول

اللّه ﷺ قد بيّن موقع علي عليه السلام في حلّه وترحاله والنصوص التي تؤيد ذلك كثيرة، والمراجعة رقم (٢٠) التي أوردها السيد شرف الدين غنية بالمصادر التي تثبت ذلك.

كما كانت حوادث السقيفة هي المسألة الثانية التي فتحت عينيه على حقائق أخرى، فقد لمس الأخ محمد تكالب البعض على المناصب، والنبي ﷺ: ما زال جثمانه الشريف غير مدفون، وعلي بن أبي طالب عليه السلام وبقية الهاشميين والنجباء من الصحابة كانوا منشغلين عن الدنيا بهذا الأمر الفادح!!! ثم إن الذين نزوْا على موقع الخلافة قد عزموا على استخدام القوة والعنف في تنفيذ مأربهم ـ وحوادث بيت الزهراء عليها السلام خير شاهد ـ كما أن الإمام عليًا عليه السلام آثر السكوت حفاظًا على وحدة صف المسلمين لئلا تقع الفتنة والردة.

نقطة التحول: هاتان المسألتان ومسائل أخرى، جعلت الأخ محمد يتنصل عن مذهبه المالكي ويتركه إلى غير رجعة، ويعتنق مذهب الحق، مذهب العترة النبوية الطاهرة، ويلتزم بذلك بوصايا رسول الله ﷺ التي ركزت وبيّنت ثقل أهل البيت عليهم السلام ووجوب اتباعهم، وهكذا خرج إلى عالم النور، عالم الولاية، عالم آل اللّه، وهو اليوم يواصل دراسته منذ ست سنوات لعلوم أهل البيت عليهم السلام ليخدم من خلالها أبناء بلده والناس جميعًا، وقد تمكن لحد الآن من هداية زوجته وأحد إخوانه وستة من أصدقائه رغم المضايقات التي أثارها ضده الوهابيون في المنطقة.

نقل بتصرف عن: (مركز الأبحاث العقائدية)

رواية في الشفاعة:

* عن الإمام علي بن موسى الرضا عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: من لم يؤمن بحوضي فلا أورده الله حوضي ومن لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي، ثم قال ﷺ: إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي فأما المحسنون فما عليهم من سبيل. قال الحسين بن خالد: فقلت للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله فما معنى قول الله عز وجل **(وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى)** قال: لا يشفعون إلّا لمن ارتضى الله دينه، قال المصنف: المؤمن هو الذي تسره حسنته وتسوؤه سيئته لقول النبي ﷺ: من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن ومن ساءته سيئته ندم عليها والندم توبة والتائب مستحق للشفاعة والغفران ومن لم تسؤه سيئته فليس بمؤمن، وإذا لم يكن مؤمنًا لم يستحق الشفاعة لأن الله عز وجل غير مرتضٍ لدينه.
(عيون أخبار الرضا عليه السلام/ الشيخ الصدوق/ ج١ ص١٢٥)

في الذاكرة

شهر ذي القعدة

١ ولادة السيدة فاطمة المعصومة سنة ١٧٣ هـ .

١ صلح الحديبية بين النبي صلى الله عليه وآله ومشركي مكة سنة ٦هـ .

٥ وفاة السيد ابن طاووس سنة ٦٦٤هـ .

٨ فرض هذا اليوم الحج على المسلمين سنة ٨هـ .

٩ إرسال مسلم بن عقيل عليه السلام كتابًا إلى الإمام الحسين عليه السلام يخبره عن أحوال الكوفة وأهلها سنة ٦٠هـ.

١١ ولادة الإمام الرضا عليه السلام في المدينة المنورة سنة ١٤٨ هـ .

١١ ولادة الشيخ المفيد قدس سره سنة ٣٣٦هـ .

١٧ وفاة الشيخ عبد الكريم الحائري، مؤسس الحوزة العلمية في قم المقدسة سنة ١٣٥٥ هـ .

١٨ وفاة الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء بعد صلاة الفجر سنة ١٣٧٣هـ.

٢٣ غزوة بني قريظة سنة ٥هـ.

٢٣ توجه الإمام الرضا عليه السلام من المدينة إلى طوس سنة ٢٠٠هـ.

٢٥ يوم دحو الأرض.

٢٦ خروج النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه إلى حجة الوداع سنة ١٠هـ.

٢٩ آخر ذي القعدة استشهاد الإمام الجواد عليه السلام مسمومًا سنة ٢٢٠ هـ .

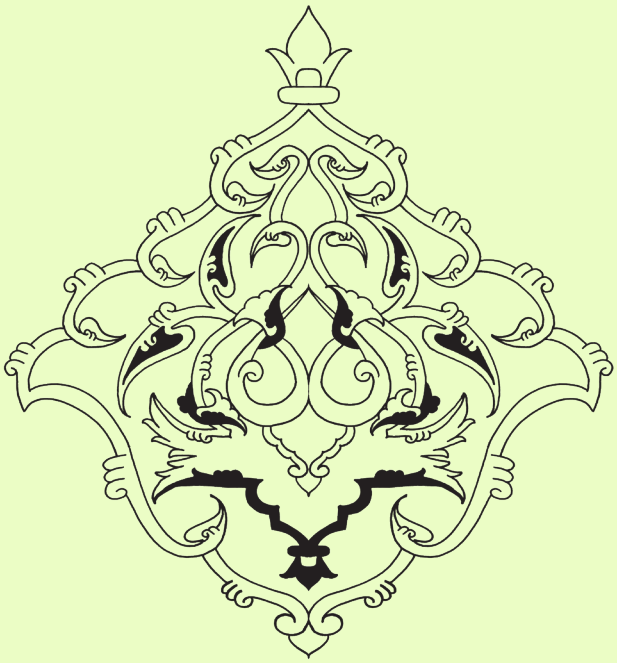

في الذاكرة

شهر ذي الحجة

١ زفاف فاطمة الزهراء عليها السلام لأمير المؤمنين عليه السلام سنة ٢هـ.

١ عزل أبي بكر عن تبليغ سورة براءة سنة ٩هـ ،وتولية الإمام علي عليه السلام بها.

٣ دخول النبي صلى الله عليه وآله مكة لحجة الوداع سنة ١٠ هـ.

٤ سجن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام سنة ١٧٩هـ.

٥ غزوة ذات السويق بعد اثنين وعشرين شهرًا من الهجرة.

٧ شهادة الإمام محمد الباقر عليه السلام سنة١١٤هـ على يد الحاكم الأموي هشام بن عبد الملك .

٨ خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكة إلى العراق يوم التروية سنة٦٠هـ .

٨ خروج مسلم بن عقيل بالكوفة داعيًا إلى أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

٩ إغلاق النبي صلى الله عليه وآله أبواب المسجد إلا باب علي بن أبي طالب عليه السلام.

٩ شهادة مسلم بن عقيل وهاني بن عروة سنة٦٠هـ.

٩ شهادة عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام مع جمع

من إخوته وأبناء عمومته في سجن المنصور العباسي سنة١٤٥هـ في منطقة الهاشمية قرب الحلة.

١٠ عيد الأضحى المبارك.

١٣ وفاة المحقق الشيخ آغا بزرك الطهراني سنة ١٣٨٩هـ.

١٥ ولادة الإمام علي الهادي عليه السلام سنة ٢١٢هـ على رواية.

١٨ عيد الغدير الأغر، يوم الولاية لأمير المؤمنين عليه السلام سنة١٠هـ .

٢١ وفاة المحقق الشيخ كاظم الخراساني الشهير بالآخوند قدس سره سنة ١٣٢٩هـ .

٢٢ شهادة ميثم التمار رضي الله عنه في الكوفة سنة ٦٠هـ..

٢٣ استشهاد أولاد مسلم بن عقيل على يد جلاوزة بني أمية سنة ٦١هـ على رواية.

٢٣ وفاة المحدث الشيخ عباس القمي مؤلف كتاب (مفاتيح الجنان) في النجف الأشرف سنة ١٣٥٩هـ..

٢٤ يوم المباهلة ونزول جبريل بآية التطهير.

٢٤ تصدق الإمام علي عليه السلام بالخاتم سنة١٠هـ.

٢٥ نزول سورة هل أتى (الدهر) في شأن أمير المؤمنين عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام .

٢٥ أول صلاة جمعة لأمير المؤمنين عليه السلام بعد بيعة الناس له سنة٣٥هـ..

٢٧ مقتل مروان الحمار آخر خلفاء بني أمية سنة١٣٢هـ..

٢٨ يوم واقعة الحرة سنة ٦٣هـ، والغارة على المدينة المنورة من قبل جيش يزيد بن معاوية بقيادة (مسلم) مسرف بن عقبة وقتل أكثر من ٢٠٠٠ مسلمٍ.

وقفة مع الذكرى

مسلم بن عقيل عليه السلام

قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم عند ذكر مسلم بن عقيل عليه السلام:

(تدمع عليه عيون المؤمنين، وتصلي عليه الملائكة المقربون. ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى جرت دموعه على صدره، ثم قال: إلى الله أشكو ما تلقى عترتي من بعدي).

(الأمالي/ الشيخ الصدوق/ ص١٩١)

كان بنو هاشم مضرب المثل في العلم والأخلاق الكريمة، والتضحية والفداء. ومن بني هاشم مسلم بن عقيل بن أبي طالب، وهو ابن عم الإمام الحسين عليه السلام.

ترعرع مسلم في حجر أبيه عقيل، ولما توفي أبوه رعاه عمه أمير المؤمنين عليه السلام، فتلقى منه الكثير من المعارف والصفات الحميدة.

وكان مسلم بن عقيل عليه السلام من الأصحاب المخلصين للأئمة الأطهار عليهم السلام، ولهذا كانت له مكانة خاصة عندهم.

أهل الكوفة يريدون الثورة:

بعد أن هلك معاوية بن أبي سفيان صار ابنه يزيد محله ملكًا على البلاد الإسلامية، وكان يزيد أيضًا رجلًا فاسقًا يقتل الأبرياء ويأخذ أموال الناس ظلمًا، ويؤذي المؤمنين.

فضاق أهل الكوفة به ذرعًا، فاتفقوا على محاربة يزيد، وأرسلوا الكثير من الرسائل للإمام الحسين عليه السلام ليقودهم ضده.

مسلم بن عقيل، سفير الحسين عليه السلام:

لما رأى الإمام الحسين عليه السلام كثرة الرسائل التي جاءت له من أهل الكوفة، أرسل مسلمَ بن عقيل ممثلًا وسفيرًا عنه لاستطلاع الأمر، ومعرفة إن كانوا مخلصين أم لا.

والحقيقة أن الإمام الحسين عليه السلام كان يعلم أن أكثر أهل الكوفة غير مخلصين، ولكنه أراد إقامة الحجة عليهم فلا يقولوا بعد ذلك أننا أرسلنا للإمام الحسين ولكنه لم يرد علينا.

خرج مسلم بن عقيل من المدينة وقد أعطاه الإمام الحسين عليه السلام رسالة لأهل الكوفة، أمرهم فيها أن يبايعوه نيابة عن الإمام الحسين عليه السلام.

ولما وصل مسلم إلى الكوفة استقبله أهلها أحسن استقبال ورحبوا به كثيرًا، وجاء له الكثير يبايعونه. فأرسل مسلم للإمام الحسين عليه السلام يبشره بذلك.

أتباع يزيد يتحركون:

كان حاكم الكوفة يومها النعمان بن بشير الأنصاري، ولكنه كان ضعيفًا، فلم يستطع منع الناس من مبايعة مسلم بن عقيل، فقام يزيد بخلع النعمان من الحكم وعيّن بدله رجلًا أكثر ظلمًا وقسوة، وهو عبيد الله بن زياد.

كان مسلم بن عقيل مقيمًا في بيت المختار، ولكن ذلك المكان لم يكن آمنا بما فيه الكفاية، فلجأ مسلم إلى بيت هانئ بن عروة، وهو أحد زعماء الشيعة المحترمين في الكوفة.

بنو هاشم مثال الأخلاق الفاضلة:

كان أحد أصحاب مسلم بن عقيل ـ واسمه (شريك) من أهل البصرة ـ ينزل في بيت هانئ، يتظاهر بأنه من أتباع يزيد، فمرض يومًا، فعزم ابن زياد على زيارته.

رأى شريك أن هذه فرصة ثمينة للقضاء على ابن زياد، فطلب من مسلم بن عقيل أن يختبئ في دار هانئ وأن يقوم بقتل ابن زياد عند سماعه كلمة سر اتفقا عليها كإشارة.

جاء ابن زياد إلى شريك وجلس عنده، وكان لا يعلم أن مسلم بن عقيل مختبئ وراء الباب، ولما جلس ابن زياد، أشار شريك بشكل خفي إلى مسلم أن يهجم على ابن زياد، ولكن مسلم بن عقيل لم يفعل! كرر شريك إشارته ولكن لم يرَ أن مسلم بن عقيل قد تحرك فعجب من ذلك.

ولما خرج ابن زياد، ظهر مسلم من مخبئه، فسأله شريك:

لماذا لم تقم بقتل ابن زياد، كانت فرصة كبيرة! فاعتذر منه وقال إنه الفتك، وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله: (أنّ الإيمان قيَّد الفتك فلا يفتك مؤمن)، فقال له شريك: أما والله لو قتلته لقتلت فاسقًا فاجرًا كافرًا غادرًا.

وهكذا كان بنو هاشم يلتزمون بتعاليم الإسلام في كل لحظات حياتهم.

ابن زياد يعرف مكان مسلم:

قام ابن زياد بإرسال جواسيسه لمعرفة مكان مسلم بن عقيل، حتى عرفوا أنه في بيت هانئ بن عروة. فقام ابن زياد بسجن هانئ بن عروة وتعذيبه. ثم استخدم الخداع والكذب لتفريق الناس عن مسلم بن عقيل عليه السلام، فخاف الناس وتفرقوا عنه، وخالفوا أمر الإمام الحسين عليه السلام.

اعتقال مسلم بن عقيل عليه السلام:

مشى مسلم بن عقيل في شوارع الكوفة وحيدًا حتى وصل لبيت امرأة عجوز تدعى طوعة، فلما عرفت أنه مسلم بن عقيل ضيفته في بيتها.

كان لطوعة ابنٌ شرير بعكسها، فأخبر ابن زياد بمكان مسلم بن عقيل، فجاء له جنود ابن زياد وحاصروه، فقاتلهم قتال الأبطال حتى تمكنوا من أسره، بعد أن أعطوه الأمان، وأخذوه إلى ابن زياد.

استشهاد مسلم بن عقيل عليه السلام:

أمر ابن زياد جنوده بقتل مسلم بن عقيل، فصعدوا به إلى أعلى القصر وهو يذكر ربه عزوجل، ثم قاموا بقتله، ورموا جسمه من أعلى القصر إلى الأرض. ثم قاموا بسحب جسده وجسد هانئ بن عروة بعد قتلهما في شوارع الكوفة بكل قسوة.

وهكذا مضى مسلم بن عقيل إلى ربه شهيدًا سعيدًا، بعد حياة مليئة بالصبر والإخلاص لأهل البيت عليهم السلام، وكان ذلك في اليوم الثامن من ذي الحجة سنة ٦٠ للهجرة.

فسلام عليه يوم ولد، ويوم استشهد، ويوم يبعث حياً.

للفضيلة نجومها

مرويات أبي حمزة الثمالي في تفاسير مدرسة أهل البيت عليهم السلام

الباحثة: لينا أمير عبد الحسين

ينابيع أحد الشخصيات الإسلامية التي اهتمت بالقرآن الكريم والتفسير والرواية والحديث، وهو من خواص أئمة أهل البيت عليهم السلام، إنه ثابت بن دينار الأزدي الكوفي والمعروف بـ (أبي حمزة الثمالي)، فقد وفق أبو حمزة بمعاصرة وصحبة أربعة من أئمة أهل البيت عليهم السلام وكان معظّما عندهم، كثير السماع منهم، وأخذ عنهم العلوم والمعارف والتفسير وكان من ثقاتهم وخواص أصحابهم ومن المقربين لديهم، وهو مقدّم في التفسير والحديث، مصنّف فيهما.

مكانته عند أئمة أهل البيت عليهم السلام

لقد خصه أئمة أهل البيت عليهم السلام بمزايا كثيرة:

* منها مدحه من قبل الأئمة بقولهم: أبو حمزة كسلمان أو كلقمان في زمانه[1].

* ولوثاقته فقد عرفوه بمكان قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، واصطحبه زيد بن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام لزيارة قبر جده أمير المؤمنين عليه السلام[2]، وكذلك خصه الإمام السجاد بالدعاء المعروف (دعاء أبي حمزة الثمالي).

* قال له الإمام محمد الباقر عليه السلام: (يا أبا حمزة إذا أتى بك أمر تخافه فلتتوجه

إلى بعض زوايا بيتك. يعني القبلة. فتصلي ركعتين، ثم تقول: يا أبصر الناظرين ويا أسمع السامعين، ويا أسرع الحاسبين ويا أرحم الراحمين. سبعين مرة. كلما دعوت بهذه الكلمات مرّة سألت حاجة)[٣].

* وقد تحدّث أبو حمزة يومًا عن تقدّمه في العمر وبلوغه من الكبر عتيًّا، بقوله للإمام الصادق عليه السلام: (جعلت فداك قد كبر سنّي ودقّ عظمي، واقترب أجلي وقد خفت أن يدركني قبل هذا الأمر الموت، قال: فقال لي: يا أبا حمزة من آمن بنا وصدّق حديثنا، وانتظر أمرنا كان كمن قُتل تحت راية القائم (عج) بل والله تحت راية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[٤].

* وذكر العلامة أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي المتوفي ٥٤٨هـ أنّ أبا حمزة الثمالي ثابت بن أبي صفية، لقي السجاد والباقر والصادق والكاظم عليهم السلام وروى عنهم، وكان من خيار أصحابنا وثقاتهم[٥].

لقد مثل أبو حمزة الثمالي شخصية الإنسان المؤمن المتقي الورع العالم الزاهد. خريج مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وقد أخذ علماء السنة والشيعة من تفسير أبي حمزة الثمالي واستدلوا بروايته في تفسير القرآن الكريم.

وسنقتصر بحثا عن مرويات أبي حمزة في تفاسير مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

* تفسير العياشي[٦]:

(**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ**)(الأنعام: ١٠٣).

روي عن أبي حمزة الثمالي عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام قال سمعته يقول: لا يوصف الله بمحكم وحيه، عظم ربنا عن الصفة وكيف يوصف من لا يحد وهو يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار وهو اللطيف الخبير[٧].

(**يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ**) (الرعد: ٣٩).

ورد عن أبي حمزة الثمالي قال: قال الإمام أبو جعفر عليه السلام: يا أبا حمزة إن حدثناك بأمر أنه يجئ من هيهنا فجاء من هاهنا، فإن الله يصنع ما يشاء، وإن حدثناك اليوم بحديث وحدثناك غدًا بخلافه، فإن الله يمحو ما يشاء و يثبت[٨].

عن أبي حمزة الثمالي عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: ما عنى الله بقوله لنوح: (**إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا**) (الإسراء:٣)، فقال: كلمات بالغ فيهن، وقال: كان إذا أصبح وأمسى قال: اللهم أصبحت أُشهدك أنه ما أصبح بي من نعمة في دين أو دنيا فإنه منك، وحدك لا شريك لك، ولك الشكر بها عليَّ يا رب حتى ترضى وبعد الرضا، فسمّي بذلك عبدًا شكورا[٩].

(**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ**) (البقرة:٢٢٠).

ورد عن أبي حمزة، عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله إن أخي هلك وترك أيتامًا ولهم ماشية فما يحل لي منها؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن كنت تليط حوضها[١٠] وترد ناديتها[١١] وتقوم على رعيتها فاشرب من ألبانها غير مجتهد ولا ضار بالولد، والله يعلم المفسد من المصلح[١٢].

روي عن أبي حمزة الثمالي عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجهر بـ (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) ويرفع صوته بها، فإذا سمعها المشركون ولّوا مدبرين، فأنزل الله سبحانه وتعالى: (**وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا**) (الإسراء: ٤٦)[١٣].

وقال أبو حمزة الثمالي، عن الإمام أبي جعفر عليه السلام: سرقوا أكرم آية في كتاب الله (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)[١٤].

روي عن الثمالي رحمه الله: قال الإمام أبو جعفر عليه السلام: في قول الله عزّ وجلّ: (**وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ**) (الأعراف:٤٦). فقال أبو جعفر: نحن الأعراف[١٥] الذين لا يُعرَف الله إلّا بسبب معرفتنا، ونحن الأعراف الذين لا يدخل الجنة إلّا من عرفنا وعرفناه، ولا يدخل النار إلّا من أنكرنا وأنكرناه، وذلك بأن الله لو شاء أن يُعرِّف الناس نفسه لعرفهم، ولكنه جعلنا سببه وسبيله وبابه الذي يؤتى منه[١٦].

وفي تفسير قوله تعالى: (**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ**) (آل عمران: ١٩١). قال أبو حمزة الثمالي عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: لا يزال المؤمن في صلاة ما كان في ذكر الله إن كان قائمًا أو جالسًا أو مضطجعًا لأن الله عز وجل يقول: (**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ**).

وفي رواية أخرى عن أبي حمزة رحمه الله عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول في قول الله عزّ وجلّ (**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا**) الأصحاء (وَقُعُودًا) يعني المرضى (وَعَلَى جُنُوبِهِمْ) قال: أعلّ

ممن يصلي جالسًا وأوجع.

* تفسير علي بن إبراهيم القمي.

روي عن أبي حمزة الثمالي عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال سألته عن تفسير (بسْم اللّه الرَّحْمَن الرَّحيم) فقال الإمام عليه السلام: الباء بهاء اللّه، والسين سناء اللّه، والميم ملك اللّه، واللّه إله كل شيء، والرحمن بجميع خلقه، والرحيم بالمؤمنين خاصة[17].

وعن أبي حمزة الثمالي قال: سألت الإمام أبا جعفر عليه السلام عن قول اللّه تعالى: **(قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ)** (سبأ:٤٦). فقال: إنما أعظكم بولاية عليٍ[18].

وعن أبي حمزة الثمالي عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قوله: (وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا) أي بطراً أو فرحاً. **(إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ)** أي لم تبلغها كلها. **(وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً)**(الإسراء:٣٧). أي لا تقدر أن تبلغ قلل الجبال.

وقوله: **(ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ)** (الإسراء: ٣٩). يعني القرآن وما فيه من الأنباء.

ثم قال: **(وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا)** (الإسراء:٣٩). فالمخاطبة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى للناس.

وقوله: **(أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلآئِكَةِ إِنَاثًا)** (الإسراء:٤٠). هو رد على قريش فيما قالوا إن الملائكة هن بنات اللّه.

وقوله: **(وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُورًا)** (الإسراء:٤١). قال: إذا سمعوا القرآن ينفروا عنه ويكذبوه، ثم احتج عزّ وجلّ على الكفار الذين يعبدون الأوثان، فقال: قل لهم يا محمد **(لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لاَّبْتَغَوْاْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً)** (الإسراء:٤٢). قال لو كانت الأصنام آلهة كما يزعمون لصعدوا إلى العرش، ثم قال اللّه لذلك **(سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا)** (الإسراء:٤٣).

وقوله: **(وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ)** (الإسراء: ٤٤). فكل شيء يسبح اللّه عزّ وجلّ.

وقوله: **(وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا)** (الإسراء:٤٥). يعني يحجب اللّه عنك الشياطين.

(وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً) (الإسراء: ٤٦). أي غشاوة.

(أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا) (الإسراء:٤٦). أي صممًا.

وقوله: **(وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا)** (الإسراء:٤٦). قال كان رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم إذا تهجد بالقرآن تسمع له قريش بحسن صوته وكان إذا قرأ: **(بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)** فروا عنه.

وقوله: **(نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى)** (الإسراء:٤٧). يعني إذ هم في السر يقولون هو ساحر[19].

* تفسير الطبرسي:

(إِنَّ اللّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (الأحزاب :٥٦).

قال أبو حمزة الثمالي في تفسير هذه الآية: لما نزلت هذه الآية، قلنا (أي

أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم): يا رسول الله هذا السلام عليك قد عرفناه، فكيف الصلاة عليك؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: قولوا اللهم صلّ على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميد مجيد وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد[٢٠].

(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ) (آل عمران:٩٦ - ٩٧).

روي عن أبي حمزة الثمالي قال: قال لنا الإمام علي بن الحسين عليه السلام أيّ البقاع أفضل؟ فقلنا: الله تعالى ورسوله وابن رسوله أعلم! فقال لنا: أفضل البقاع ما بين الركن والمقام. ولو إنّ رجلاً عُمّر ما عمّر نوح في قومه ألف سنة إلاّ خمسين عامًا يصوم النهار ويقوم الليل في ذلك المكان ثم لقي الله تعالى بغير ولايتنا لا ينفعه ذلك شيئًا[٢١].

(يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا) (الأحزاب:٣٠ - ٣١).

روى أبو حمزة الثمالي عن زيد بن علي عليه السلام أنه قال: إني لأرجو للمحسن منا أجرين وأخاف على المسيء منا أن يضاعف له العذاب ضعفين كما وعد أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

(إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) (الأحزاب:٣٣).

عن أبي حمزة الثمالي أنه قال: حدثني شهر بن حوشب، عن أم سلمة قالت: جاءت فاطمة عليها السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم تحمل حريرة لها، فقال: ادعي زوجك وابنيك فجاءت بهم فطعموا ثم ألقى عليهم كساءً له خيبريًا، فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وعترتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا، فقلت: يا رسول الله وأنا معهم؟ قال: أنت إلى خير[٢٢].

تفسير القطب الراوندي[٢٣]:

(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّن الْعَالَمِينَ ... إلى قوله تعالى: قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ) (المائدة: ٢٠ - ٢٦).

روي عن أبي حمزة الثمالي عن الإمام أبي جعفر عليه السلام، قال: لما انتهى بهم موسى عليه السلام إلى الأرض المقدسة، قال لهم: ادخلوا، فأبوا أن يدخلوها، فتاهوا في أربعة فراسخ أربعين سنة، وكانوا إذا أمسوا نادى مناديهم أمسيتم الرحيل، حتى انتهى إلى مقدار ما أرادوا أمر الله الأرض فدارت بهم إلى منازلهم الأولى، فيصبحون في منزلهم الذي ارتحلوا منه فمكثوا بذلك أربعين سنة ينزل عليهم المن والسلوى، فهلكوا فيها أجمعين إلّا رجلين، يوشع بن نون، وكالب بن يوفنا اللذين أنعم الله عليهما، ومات موسى وهارون صلوات الله عليهما، فدخلها يوشع بن نون وكالب وأبناؤهما، وكان معهم حجر كان موسى يضربه بعصاه، فينفجر منه الماء لكل سبط عين.

وروى أبو حمزة الثمالي، عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: قال ابن الكواء لعلي بن أبي طالب عليه السلام يسأله عن قوله تعالى:

(**وَعَلَى الأَعْرَاف رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ**) (الأعراف:٤٦). قالعليه السلام: نحن الأعراف نعرف أنصارنا بسيماهم، ونحن أصحاب الأعراف نقف بين الجنة والنار، فلا يدخل الجنة إلّا من عرفنا وعرفناه، ولا يدخل النار إلّا من أنكرنا وأنكرناه، وكان عليعليه السلام يخاطبه بـ (ويحك)، وكان يتشيع، فلما كان يوم النهروان قاتل عليّاعليه السلام[٢٤].

* تفسير ابن شهر آشوب[٢٥]:

(الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)(البقرة:١٤٦).

وذكر الثمالي رحمه الله: قال عثمان بن عفان لعبد الله بن سلام: نزل على محمدصلى الله عليه وآله وسلم: (**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ**) فكيف هذه؟ قال: ـ يعني عبد الله بن سلام ـ نعرف نبي الله بالنعت الذي نعته الله إذا رأيناه فيكم كما يعرف أحدنا ابنه إذا رآه بين الغلمان، وأيم الله لأنا بمحمد أشد معرفة مني بابني، لأني عرفته بما نعته الله في كتابنا، وأما ابني فإني لا أدري ما أحدثت أُمه[٢٦]؟

١ـ رجال الكشي/ ج٢ص٤٥٨.. رسائل الشهيد الثاني/ج٢ص٩٢٢.

٢ـ أعيان الشيعة/الأميني/ج٧ص١١٤ نقلا عن فرحة الغري.

٣ـ أصول الكافي/الكليني: ج٢ص٥٥٦.

٤ـ ينظر: تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة/الاسترآبادي: ج٢/ص٦٦٥.

٥ـ تفسير جوامع الجامع/الطبرسي:ج١/ص٩.

٦ـ محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السلمي السمرقندي أبو النضر المعروف بالعياشي (ت ٣٢٠هـ)، ثقة، صدوق، عين من عيون هذه الطائفة، وكان يروي عن الضعفاء كثيرًا. وكان في أول أمره عامي المذهب، وسمع حديث العامة، فأكثر منه ثم تبصر وعاد إلينا. انظر: رجال النجاشي: ٢٤٨/١، الترجمة ٩٤٤.

٧ـ ينظر: تفسير العياشي/العياشي: ج١/ص٣٧٣.

٨ـ ينظر: تفسير العياشي: ٢١٧/٢.

٩ـ ينظر: تفسير العياشي: ٢٨١/٢.

١٠ـ لاط الحوض بالطين: طيّنه، وأراد منه تطيين الحوض وإصلاحه والحفاظ عليه من اللصوص.

١١ـ النادية: البعيدة.

١٢ـ ينظر: تفسير العياشي: ١٠٧/١، الحديث ٣٢١.

١٣ـ تفسير العياشي: ٤/ ١٨٧.

١٤ـ ينظر: تفسير العياشي: ١٩/١ فضل سورة الحمد، الحديث ٤.

١٥ـ الأَعْراف: في اللغة جمع عُرْف وهو كل عال مرتفع. انظر: ابن منظور، لسان العرب: ٢٣٦/٩.

١٦ـ ينظر: تفسير العياشي: ١٩/٢، الحديث ٤٨.

١٧ـ ينظر: تفسير القمي/أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي: ج١/ص٢٩.

١٨ـ ينظر: تفسير القمي: ٢٠٤/٢. انظر: تفسير فرات الكوفي:٣٤٥.

١٩ـ ينظر: تفسير القمي: ١٩/١.

٢٠ـ ينظر: مجمع البيان في تفسير القران/الطبرسي: ج٨/ص١٥٦.

٢١ـ ينظر: مجمع البيان في تفسير القران: ٦٠٤/٢.

٢٢ـ ينظر: مجمع البيان في تفسير القران: ٤٦٢/٨.

٢٣ـ قطب الدين أبو الحسين سعد بن هبة الله بن الحسن الراوندي (ت ٥٧٣هـ)، فقيه عين صالح ثقة. انظر: معجم رجال الحديث، السيد الخوئي: ج٩/ص٦٦، الترجمة ٥٠٨٠.

٢٤ـ ينظر: الخرائج والجرائح/ القطب الراوندي: ج١/ص١٧٧، الحديث ١٠.

٢٥ـ محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني (ت ٥٨٨هـ)، شيخ هذه الطائفة، وفقيهها، وكان شاعراً، بليغاً. انظر: معجم رجال الحديث: ٢٦٥/١٧، الترجمة ١١٣٣٢.

٢٦ـ ينظر: مناقب آل أبي طالب/ابن شهر آشوب: ج١/ص٨٠.

نسبية الزمن بدليل القرآن الكريم

د. فيصل علي البصام
قسم فيزياء الليزر/ كلية العلوم للبنات / جامعة بابل

تمهيد

وردت مفاهيم الزمن والزمن النسبي في الكثير من الآيات القرآنية بألفاظ أخرى مثل: لحظة، لمح، ساعة، يوم، شهر، سنة، سنين وغيرها، للتعبير عن نسبية الزمن وأنه لم يكن مطلقًا، إلّا في صور معينة من الحوادث عبر عنها الله تعالى في كتابه الكريم، بينما عبر في صور أخرى لتقدير الزمن بالحالة النسبية، كما في قوله تعالى: (**وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ**) (الحج:٤٧)، وقوله تعالى: (**تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**) (المعارج:٤)، وقوله تعالى: (**أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ**) (النمل: ٤٠)، فنلاحظ أن أقيام الزمن متباينة، وقد يطلق على الزمن باليوم عند التعبير عن الأحقاب الزمنية، مثل قوله تعالى: (**خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ**) (الأعراف: ٥٤)، أو قوله تعالى: (**وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ**) (القمر:٥٠)، للتعبير عن الحادثة بلمح بالبصر أو هو أقرب مثل يوم قيام الساعة، هنا يدخل مفهوم البصريات باعتبار أن أسرع شيء هو الموجات الكهرومغناطيسية في الطيف الكهرومغناطيسي حاليًا، وقد عرفت جسيمات أسرع منها ولازالت التجارب المختبرية متواصلة في هذا الشأن مقاربة لقوله: (**أَوْ هُوَ أَقْرَبُ**) (النحل:٧٧). فالقرآن الكريم لا يفرد لموضوع الزمن سُوَرًا ولا آيات خاصة به، فهو يخالف بالتالي منهج الدراسات المعاصرة، فالزمن يغوص في كل جزئيات الكون، وأسلوبه هو نفسه

الأسلوب الذي يغمر الكون والحياة، بعيدًا عن الأسلوب المقيد الجاف. فهناك تحديد دقيق لمكان الألفاظ وسياقها، وهناك تشابه مطلق لفظًا واختلاف في المعنى، وفي المعنى الشامل يمكن أن تدخل كل الوسائل والآلات التي يوزن بها الزمن والتي تحدد بها مقاديره. يقول الله سبحانه وتعالى: (**يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**) (الرحمن:٢٩)، أي في كل بقعة في الكون لها زمن نسبي فـ (**كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**)، وقوله في سورة فصلت: (**خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ**) (فصلت:٩)، يعني في ألفي سنة من أيامنا، وإحالتها إلى أرض بعدما كانت شمسًا.

النسبية الزمنية

يعيش الإنسان على سطح الكرة الأرضية مقيدًا بقوانين الكون كالزمان والمكان والجاذبية والغلاف الجوي وغير ذلك، ولهذه المحدودية المادية يعيش النسبية في مختلف مجالات حياته. والزمان وليد حركة الأفلاك والمنظومة الشمسية، وهو يختلف باختلاف حركتها، ففي الكرة الأرضية يقسم الزمان إلى (يوم) و(شهر) و(سنة)، فـ (كل ما هو حولنا نسبي، فكل معارفنا التي توهمنا أنها حقائق لا غبار عليها، إنْ هي إلّا نتائج نسبية لا حقيقة مطلقة لها، ...وأن

لكل مكان زمان.. الوقت يقصر أو يطول بتغير الفضاء، ولكن لا نشعر بذلك لأن كل الحدود والأبعاد تقصر أو تطول بنفس النسبة،...المكان والزمان يختلفان بالمقدار باختلاف الفضاء المنسوبين إليه).

(... وأما الزمان فهو كالفضاء لفظة معبرة بنفسها غنية عن التحديد، وقد يسوغ أن ندعوه تعاقب الأشياء باللانهاية... فالزمان يتولد من تولد الأشياء وينقضي بانقضائها، وهو بقياس الأبدية، فتختلف الأزمنة على اختلاف العوالم، وخارج هذه التعاقبات الفانية تسود الأبدية وحدها، وتملأ بضيائها فلوات الفضاء التي هي غير محدودة)[1].

(إن النظريات العلمية هي عموميات مطلقة زمانًا، ونسبية زمانًا آخر، وهي عبارة عن علاقات ورموز تفسر العالم من حولنا أو هي اللغة اللازمة لشرح الظواهر إلى الحد الذي يجعلها متوافقة مع المنطق العقلي)[2].

(إن في القرآن الكريم مادة زمنية غزيرة تستلزم دراستها والبحث فيها، لتوضيح معالم الزمن القرآني، وتحديد قواعده وأسسه، وذلك بتوظيف المنهج القرآني العقلي البرهاني اليقيني في تفهمه)[3].

إن موضوع الزمن قد لاقى اهتمامًا كبيرًا لدى العلماء، من حيث كونه ذا دلالة قصوى في المسيرة الكونية، مع ما ينعكس منها على طبيعة الحياة البشرية.

إن الزمن له علاقة وطيدة مع المكان، ما يسمى بـ (الزمكان) وخصوص نسبية الزمن مع موقع الحادثة، ما هي التقديرات الزمنية لحادثة واحدة، ويعرف الزمن بأنه الوعاء الوقتي للحدث ويصنف إلى الزمن الكوني وهو يمثل حركة الكواكب والنجوم والأقمار والمجرات، والزمن الجغرافي وهو يتعلق بزمن حركة الأرض حول الشمس وحول نفسها وحركة القمر حول الأرض.

إن الزمن في عالم الغيب يعلمه الله تعالى والحدث يستوعب في الزمان والمكان. وهيئة الحدث وهو ما يمثله الناظر للحدث. وهو دومًا في حركة. مواصفات الحدث تتمثل في الرائحة والشكل واللون والطعم والصوت والإحساس الشعوري وغيرها، والمنظور لا يمثل دوما الحقيقة، بل بحسب الناظر. والموجود وهو ما خلقه الله تعالى. ففي الماضي لم يكن هناك مكان وزمان إذ كان الله ولم يكن معه شيء فالله (**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ**) (الحديد٣:) وكل منظور من قبل أي ناظر، هو نسبي (ماعدا الله سبحانه)، أي أن العلاقة بين الناظر والمنظور نسبية وهي شمولية، أي تشمل الأجزاء كلها وحدة النسبية بين الناظرين والمنظورين ما يؤدي إلى استقرارها، ومن ثم إلى تناسب استقراري بين الناظرين كفئة والمنظورين كفئة أخرى والناظرين والمنظورين كفئة ثالثة، فلا تكاد تمضي حقبة من الزمن إلا ويبهر بإعجازه العلماء والباحثين في النظرات التجريبية والنظرية الذين لا يستندون إلّا لما تمليه عليهم عقولهم ولا يصدقون إلّا ما يرونه بأعينهم المجردة، فقال الله تعالى: (**وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ**) (الحجر: ١٤- ١٥).

إن الفكر الغربي أنتج دراسات وأبحاث لا تحصى في موضوع الزمن، وأسس نظريات وتقنيات عالية، وابتكر مصطلحات ومفاهيم متداولة في شتى العلوم[4].

إن القرآن الكريم هو المصدر الأول

والوحيد للمفهوم الحقيقي للزمن، وبالتالي يجب علينا، أن نحاول تدبر معانيه، بغية تحديد أولي لمفهوم الزمن في القرآن الكريم، إذ يحتوي على مفهوم شامل للزمن، يصعب الفصل بين أجزائه وجزئياته، ومفاهيمه المتعددة للزمن يمكن تصنيفها وتحليلها ثم الجمع بينها لتحديد خصائص الزمن القرآني، ويمكن حصر واستقراء مادة الزمن في القرآن الكريم، من خلال البحث في مجمل ألفاظه، والتحليل لأساليبه ومناهجه. والتعامل مع الأزمنة الثلاثة: الماضي والحاضر والمستقبل. وقد تناول مواضيع دقيقة في فلسفة الزمن، منها الحركة في الزمن، والنسبية والزمن، وتكاد تتعدم الدراسات التي تهتم بالقرآن من مدخله الزمن. لقد لوحظ أن الذي يستحيل عده وحصره من ألفاظ الزمن، هو الألفاظ غير المباشرة، إذ كل كلمة وكل آية تحمل دلالة زمنية: إما قريبة وإما بعيدة، فالقريبة مثل الفعل الذي يتقلب ويتحول بالضرورة بين الزمن الماضي والحاضر والمستقبل. وأما البعيدة فتتمثل في الأسماء والحروف التي لا تحمل في ذاتها دلالة زمنية، إلّا أن تكون مما وُضع للزمن مباشرة مثل: (الساعة)، و(الوقت)، و(ثم)، و(فاء التعقيب)...[٥].

والألفاظ المباشرة في الإمكان حصرها وإحصاؤها، غير أن لهذه الألفاظ (معان ظاهرة، وأخرى باطنة، أي دقيقة لا تعرف إلّا بالبحث، والطريقة المتبعة في البحوث العلمية، هو حصر وجمع الألفاظ المختلفة، والمبينة في السُوَر المختلفة من الكتاب العزيز)[٦].

لقد شغلت مادة الزمن حجمًا معتبرًا في القرآن الكريم، وهذا ما يعطيها مكانة ضمن المواضيع الرئيسة للقرآن، إذ لا نجد في القرآن كلمة (زمن) بأي صيغة من صيغها، سواء بمعناها اللغوي أو الفلسفي، ولا نجد كلمة مشتقة منها، وإن في معنى آخر. وقد وردت كلمات لها صلة بكلمة زمن من حيث الدلالة العامة وهي: دهر، أزل، خلد، سرمد، مدة، حين، وقت، آن)، وهي تدل على غزارة مادة الزمن في القرآن الكريم وتنوعها وتعدد مداخلها[٧]. غير أن استئثار الله عزوجل بمعرفة المقادير والأوقات لا يعني الجهل التام لغيره بمعرفتها، والمعلوم أن الساعة التي تسير بنظام تردد ذرات السيزيوم هي من أضبط الساعات على الإطلاق، وتسمى بالساعة الذرية، ولا تزيد نسبة الخطأ فيها عن ثانية في كل ثلاثين ألف سنة (وهذه الدرجة من الدقة أمر يتجاوز حدود فهم المرء)[٨]. وأدق منها الساعة الهيدروجينية التي تعمل بأجهزة الميزر، وتصل الدقة فيها إلى خطأ قُدِّر بثانية في كل ملايين من السنين[٩].

قصص نسبية الزمن في القرآن الكريم

من أدل القصص على نسبية الزمن في القرآن الكريم، قصة صاحب القرية في قوله تعالى: (**قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ**) (البقرة: ٢٥٩)، فيكاد يجمع المفسرون أنه مات أول النهار ثم بعثه الله آخره، فلا توجد إشارة ولو بعيدة إلى إمكانية نسبية الزمن، لأن مفاهيم النسبية لم تعرف بعد في عصر أولئك المفسرين. وأما عند المحدثين، فنلاحظ مرورهم على موضوع النسبية مرور الكرام، إذ لا يتعرضون إليه إلّا من الباب الذي يميز تفسيرهم، ففي قصة أصحاب الكهف مثلًا

لم نعثر على مصطلح النسبية ولو إشارة، شرح الكلمات دون أي إضافة تذكر في المعنى العام لنسبية الزمن في هذه الآيات، ولعل الذي يشفع لهم في عدم تناولهم أنهم لا يمكن أن يعرضوا لكل النظريات والأفكار، وإلا لأصبح تفسيرهم موسوعة كونية وعلمية شاملة. لقد وردت إشارات عابرة في كتب تعنى بالدراسات الكونية في القرآن الكريم.

وهناك في القرآن الكريم قصص توضح مفهوم الزمن النسبي، ولكن توخيًا للاختصار فقد عمدنا إلى ذكر قصة واحدة من تلك القصص:

نسبية الزمن في نقل عرش الملكة بلقيس

توصل علماء الفيزياء رياضيًا إلى أن الإحداثيات لا تقف عند أربعة، بل قد تصل إلى أحد عشر إحداثيًا. فالإعجاز العلمي قد بيّن أن الأبعاد، ومنها الزمكان، لها معطيات أخر، سواء تحت إمكان الإحساس به، كالأبعاد الأربعة. أو التي لا يمكن الإحساس بها، مما هو فوق الأربعة، حسب النظريات العلمية الحديثة، وقد جاء ذلك في قصة النبي سليمان عليه السلام عندما سأل ملأه وهو في فلسطين عن أيهم يأتيه بعرش الملكة بلقيس وهو في اليمن، كما في قوله تعالى: **(قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ)** (النمل: ٣٨-٤٠)، فيلاحظ وجود ثلاثة تقديرات زمنية:

١- تقدير الزمن لدى سليمان عليه السلام: **(قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ)**، منسوبًا إلى معطيات الإنس.

٢- تقدير الزمن لدى عفريت من الجن: **(قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ)**، منسوبًا إلى معطيات الجن.

٣- تقدير الزمن لدى الذي عنده علم من الكتاب: **(قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ)**، منسوبًا إلى معطيات الذي عنده علم من الكتاب. أما الحادثة فهي واحدة، وهي نقل العرش واحتمالية تقدير الزمن عند الثلاثة مختلفة، إذ علمنا من الآية الكريمة أن الذي عنده علم من الكتاب استطاع نقل العرش في زمن أقل من طرفة عين، وهذا محتمل من الناحية النظرية، فالمسافة بين اليمن وفلسطين لا تتجاوز ٣ آلاف كيلومتر فلو كانت سرعة نقل العرش تعادل واحد بالمائة من سرعة الضوء (أي ثلاثة آلاف كم/ثا) لاحتاج نقل العرش إلى ثانية واحدة، وهي تعادل طرفة عين. أما العفريت من الجن فحسب قيام النبي سليمان عليه السلام من مقامه، فهو لا يتجاوز ساعات حسب تقدير الزمن، هذا معناه أن لدى الثلاثة ولكل منهم معطيات خاصة بتقدير الزمن، كل بحسب الزمكان الذي ينسب إليه. فالإحداثيات الزمنية التي يتحرك في إطارها تعادل طرفة عين بالنسبة إلى سليمان عليه السلام وبالنسبة إلى العفريت من الجن تعادل مدة جلوس سليمان قبل أن يقوم من مقامه.

لقد بين الإعجاز العلمي القرآني كيف يمكن للمادة (وهي العرش) أن تنتقل من

مكان إلى مكان بما يعادل سرعة طرفة العين وذلك من خلال نقلها إلى إحداثيات زمكانات جديدة ثم إرجاعها إلى إحداثيات الزمكان الأولى التي كانت فيها، دون أن يتبدل حال شيء منها، كليًا أو جزئيًا.

واستطالة الزمن التي جاء بها آينشتاين بين جسمين منطلقين بسرعة قريبة من سرعة الضوء، يمكن تطبيقها إذا كان الجسمان ينطلقان في نفس الزمكان، مما يؤكد عدم انطباقها على الوصف الذي جاء به القرآن الكريم. فإذا افترضنا أن العفريت أو الذي عنده علم من الكتاب كانت سرعته ٠٫٩٩٩٩٩٩ من سرعة الضوء، ثم طبقنا معادلة آينشتاين لوجدنا الزمن ٣٣،٥٧ دقيقة وهذه غير كافية لتفكيك العرش ونقله من اليمن إلى فلسطين وإعادة تركيبه مرة أخرى بحسب زمكان سليمان. إن الإعجاز القرآني هنا يشير إلى أن الإنسان له زمكان، وإن الجن له زمكان، وأنه توجد زمكانات أخرى، وهذا يعني أنهم يتحركون في أبعاد فقط، ولربما كانت لهم أبعاد في الحركة أكثر من ذلك[١٠].

إن السرعة ترتبط بكتلة عرش بلقيس وعلاقتهما معًا بقوانين اينشتاين، إلّا أن منح المدى الزمني بُعدًا يصل إلى (١٠٠٠) سنة يعني أن هذا الرقم هو الحد المنتقى وليس الحد الأقصى، وإن كان الأخير غير مستبعد عن التقدير في هذا السياق[١١].

١- يوم القيامة ونسبية الزمن بين العلم والقرآن ص١٤١، وص٨٨ من كتاب علم الفلك القرآني.
٢- الظواهر الفيزيائية والجيولوجية في القرآن الكريم.
٣- الزمان في فلسفة ابن رشد، ص٤١-٣٩.
٤- مفهوم الزمن في القرآن الكريم، ص١٠-١٤.
٥- مفهوم الزمن في القرآن الكريم، ص٢٣.
٦- التفسير العلمي للآيات الكونية، ص٣١.
٧- مادة الزمان، ج١٠/ص٣٨٩.
٨- من المزولة الشمسية إلى الساعة الذرية عدد ١٥٩، ص١٣١.
٩- الزمان المتحول ص ١٧١.
١٠- المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.
١١- ن.م.

في فضل بيت الله الحرام

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ الإمام أَبِي عَبْدِ اللهِ الصادق عليه السلام:

قَالَ سَأَلْتُه عَنْ قَوْلِ اللّه عَزَّ وجَلَّ: (ومَنْ دَخَلَه كانَ آمِناً)، الْبَيْتَ عَنَى أَم الْحَرَمَ؟ قَالَ: مَنْ دَخَلَ الْحَرَمَ مِنَ النَّاسِ مُسْتَجِيراً بِه فَهُوَ آمِنٌ مِنْ سَخَطِ اللّه، ومَنْ دَخَلَه مِنَ الْوَحْشِ والطَّيْرِ كَانَ آمِناً مِنْ أَنْ يُهَاجَ أَوْ يُؤْذَى حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ الْحَرَمِ).

(الكافي/الكليني/ج٤ص٢٢٦)

موقف أهل البيت عليهم السلام وعلماء الإمامية من الغلو والمغالين

الباحث: سامر محمد رشاد
كلية الشيخ الطوسي الجامعة

ينابيع

موقف أئمة أهل البيت عليهم السلام

اتّخذ أئمّة أهل البيت عليهم السلام موقفًا صارمًا من ظاهرة الغلوّ والمغالين، قد لا نجد ما يناظره في مسائل أخرى، فإنّهم واجهوا ذلك بكلّ حزم وقوّة، وقد تنوّعت أساليبهم في ذلك وتصدّيهم لهذه المشكلة الخطيرة التي واجهت الفكر الديني عموماً، ومدرسة أهل البيت عليهم السلام خصوصًا فتنوعت أساليبهم على جانبين الجانب النظري والجانب العملي.

أولًا: الجانب النظري:

حارب أئمة أهل البيت عليهم السلام هذه الفكرة وأبطلوا ما يستدل به المغالون، وبيّنوا فساد هذه العقيدة، وكما يلي:

١- التحذير من الغلو:

قال الإمام علي عليه السلام: (يهلك فيّ اثنان، ولا ذنب لي: محب مفرط، ومبغض مفرط)[١]. وعنه عليه السلام: (يهلك في اثنان ولا ذنب لي: محب غال، ومفرط قال)[٢].

وعنه عليه السلام: (إياكم والغلو فينا، قولوا: إنا عبيد مربوبون، وقولوا في فضلنا ما شئتم)[٣]. وقال عليه السلام: (لا تتجاوزوا بنا العبودية ثم قولوا ما شئتم ولن تبلغوا، وإياكم والغلو كغلو النصارى فإني بريء من الغالين)[٤].

٢- لعنهم والبراءة منهم:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (اللهم إني بريء من الغلاة كبراءة عيسى بن مريم من النصارى، اللهم اخذلهم أبدًا ولا تنصر

منهم أحدًا)[٥]، وعن الإمام الرضا عليه السلام: (لعن الله الغلاة، ألا كانوا مجوسًا، ألا كانوا نصارى، ألا كانوا قدرية، ألا كانوا مرجئة، ألا كانوا حرورية)[٦].

٣- الغلاة شر خلق الله:

قال الإمام الصادق عليه السلام: (الغلاة شر خلق الله، يصغرون عظمة الله ويدعون الربوبية لعباد الله، والله إن الغلاة لشر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا)[٧].

٤- الغلاة وضاعون:

عن الإمام الرضا عليه السلام قال: (..... إنما وضع الأخبار عنا في التشبيه والجبر الغلاة الذين صغروا عظمة الله تعالى)[٨]. وعن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام، ذكر الغلاة، فقال: (إنَّ ممَّنْ يَنْتَحِلُ هَذَا الأَمْر لَيَكْذِبُ حَتَّى إنَّ الشَّيْطَانَ لَيَحْتَاجُ إلَى كَذِبِه)[٩].

٥- براءتهم من الإسلام:

قال الإمام الصادق عليه السلام: (إن أبي حدثني عن أبيه عن جده أن رسول الله صلوات الله عليهم، قال: صنفان من أمتي لا نصيب لهما في الإسلام : الغلاة والقدرية)[١٠].

٦- إنهم كفار:

عن أبي هاشم الجعفري[١١] قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن الغلاة والمفوضة، فقال: الغلاة كفار.....)[١٢].

٧- عقيدتهم في العبادات:

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (الغالي قد

اعتاد ترك الصلاة والزكاة والصيام والحج فلا يقدر على ترك عادته وعلى الرجوع إلى طاعة الله عز وجل أبدا)[١٣].

٨- البراءة من رموز الغلاة:

تضافرت النصوص الواردة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام في ذمّ رموز الغلاة والمغالين والبراءة منهم للوقوف أمام تأثير هذه المقولات الفاسدة، نشير إلى بعضها:

قال الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام يوماً لأصحابه: (لعن الله المغيرة بن سعيد ولعن الله يهودية كان يختلف إليها يتعلم منها السحر والشعبذة والمخاريق، إن المغيرة كذب على أبي عليه السلام فسلبه الله الإيمان، وإن قومًا كذبوا عليّ مالهم أذاقهم الله حرّ الحديد)[١٤].

وعنه عليه السلام قال: (إن بنانًا والسريّ وبزيعًا لعنهم الله تراءى لهم الشيطان في أحسن ما يكون صورة آدمي من قرنه إلى سرته)[١٥].

وعن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: (كان بنان يكذب على علي بن الحسين عليه السلام، فأذاقه الله حرّ الحديد، وكان المغيرة بن سعيد يكذب على أبي جعفر (الإمام الباقر) عليه السلام، فأذاقه الله حرّ الحديد، وكان محمد بن بشير يكذب على أبي الحسن موسى (الكاظم) عليه السلام، فأذاقه الله حرّ الحديد، وكان أبو الخطاب يكذب على أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام، فأذاقه الله حرّ الحديد، والذي يكذب عليَّ محمد بن فرات)[١٦].

ثانيًا: الجانب العملي:

وسنرى في هذا الجانب ما اتخذه أئمة أهل البيت عليهم السلام وبحزم شديد ضد هذه العقيدة الهدّامة وأتباعها:

١- العقوبة الجسدية:

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللّه وأَبِي جَعْفَرٍ عليهما السلام قَالَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام لَمَّا فَرَغَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ أَتَاه سَبْعُونَ رَجُلاً مِنَ الزُّطِّ (هم جنس من السودان والهنود) فَسَلَّمُوا عَلَيْه وكَلَّمُوه بِلِسَانِهِمْ، فَرَدَّ عَلَيْهِمْ بِلِسَانِهِمْ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: إِنِّي لَسْتُ كَمَا قُلْتُمْ، أَنَا عَبْدُ اللّه مَخْلُوقٌ، فَأَبَوْا عَلَيْه وقَالُوا أَنْتَ هُوَ، فَقَالَ لَهُمْ: لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا وتَرْجِعُوا عَمَّا قُلْتُمْ فِيَّ وتَتُوبُوا إِلَى اللّه عَزَّ وجَلَّ لأَقْتُلَنَّكُمْ، فَأَبَوْا أَنْ يَرْجِعُوا ويَتُوبُوا، فَأَمَرَ أَنْ تُحْفَرَ لَهُمْ آبَارٌ فَحُفِرَتْ، ثُمَّ خَرَقَ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ قَذَفَهُمْ فِيهَا، ثُمَّ خَمَّرَ رُؤُوسَهَا، ثُمَّ أُلْهِبَتِ النَّارُ فِي بِئْرٍ مِنْهَا لَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ مِنْهُمْ فَدَخَلَ الدُّخَانُ عَلَيْهِمْ فِيهَا فَمَاتُوا[١٧].

ومثله إن عليًا عليه السلام أتاه قنبر فقال له: إن عشرة نفر بالباب يزعمون أنك ربهم، قال: أدخلهم، قال: فدخلوا عليه. فقال لهم: ما تقولون؟ فقالوا: نقول: إنك ربنا وأنت الذي خلقتنا، وأنت الذي ترزقنا، فقال لهم: ويلكم لا تفعلوا إنما أنا مخلوق مثلكم، فأبوا وأعادوا عليه... ثم ساق الحديث إلى أن قذفهم في النار ثم قال علي عليه السلام:

إني إذا أبصرت شيئًا منكرًا * أوقدتُ ناري ودعوتُ قنبرا[١٨].

٢- إباحة دمهم:

روى علي بن حديد المدائني قال: (سمعت من سأل أبا الحسن الأول (الإمام موسى الكاظم) عليه السلام فقال: إني سمعت محمد بن بشير - وهو من رموز الغلاة - يقول: إنك لست موسى بن جعفر الذي أنت إمامنا وحجتنا فيما بيننا وبين الله تعالى. قال: فقال: لعنه الله ثلاثًا أذاقه الله حر الحديد قتله الله أخبث ما يكون من قتلة. فقلت له: جعلت فداك إذا أنا

سمعت ذلك منه أوليس حلال لي دمه مباح كما أبيح دم الساب لرسول الله ﷺ وللإمام عليه السلام؟ فقال: نعم حل والله، حل والله دمه وإباحة لك ولمن سمع ذلك منه، قلت: أوليس ذلك بساب لك؟ فقال: هذا ساب لله وساب لرسول الله وساب لآبائي وسابي، وأيُّ سب ليس يقصر عن هذا ولا يفوقه هذا القول؟ فقلت: أرأيت إذا أتاني لم أخف أن أغمز بذلك بريئًا ثم لم أفعل ولم أقتله ما عليّ من الوزر؟ فقال: يكون عليك وزره أضعافًا مضاعفة من غير أن ينتقص من وزره شيء، أما علمت أن أفضل الشهداء درجة يوم القيامة من نصر الله ورسوله بظهر الغيب ورد عن الله وعن رسوله ﷺ)[١٩].

٣- تحريم التعاطف معهم:

فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام حين جاءه هلاك أحد المغالين: (.... ولعن الله من دخل قلبه رحمة لهم)[٢٠].

٤- وجوب مقاطعتهم:

عن الإمام الرضا عليه السلام: (الغلاة كفار، والمفوضة[٢١] مشركون من جالسهم أو خالطهم أو آكلهم أو شاربهم أو واصلهم أو زوجهم أو تزوج منهم أو آمنهم أو ائتمنهم على أمانة أو صدق حديثهم أو أعانهم بشطر كلمة خرج من ولاية الله عز وجل وولاية رسول الله ﷺ وولايتنا أهل البيت[٢٢].

ومثله عن الإمام الرضا حيث جاء ذكر الغلاة عنده قال: (لا تقاعدوهم ولا تصادقوهم وابرأوا منهم برئ الله منهم)[٢٣]، وعن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: (أدنى ما يخرج به الرجل من الايمان أن يجلس إلى غال فيستمع إلى حديثه ويصدقه على قوله، إن أبي حدثني، عن أبيه، عن جده عليه السلام أن رسول الله ﷺ قال: صنفان من أمتي لا نصيب لهما في الاسلام : الغلاة والقدرية)[٢٤]. ومثله قال الصادق عليه السلام: (احذروا على شبابكم الغلاة لا يفسدونهم، فإن الغلاة شر خلق الله، يصغرون عظمة الله، ويدعون الربوبية لعباد الله، والله إن الغلاة شر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا)[٢٥].

هذه بعض الأحاديث التي وردت في حق الغلاة والموقف الذي وقفه أهل البيت في إبطال فكرهم وكشف كذبهم وكشفهم للمسلمين وما يجب أن يتخذوه في شأنهم.

موقف أعلام الشيعة من الغلو والغلاة:

في نفس المسار والنهج الذي سار عليه أئمّة أهل البيت عليهم السلام، جاءت كلمات وفتاوى أعلام الشيعة أيضًا، حيث حكموا بتكفيرهم والبراءة منهم، وإليك بعضها:

١- الشيخ المفيد، قال: (والغلاة من المتظاهرين بالإسلام، هم الذين نسبوا أمير المؤمنين والأئمّة من ذرّيته عليهم السلام إلى الألوهيّة والنبوّة، ووصفوهم من الفضل في الدّين والدُّنيا إلى ما تجاوزوا فيه الحدّ وخرجوا عن القصد، وهم ضلاّل كفّار حكم فيهم أمير المؤمنين عليه السلام بالقتل والتحريق بالنار، وقضت الأئمّة عليهم السلام عليهم بالإكفار والخروج عن الإسلام)[٢٦].

٢- الشيخ الصدوق، قال: (اعتقادنا في الغلاة والمفوّضة أنّهم كفّار بالله تعالى، وأنهّم أشرّ من اليهود والنصارى والمجوس والقدريّة والحروريّة ومن جميع أهل البدع والأهواء المضلّة، وأنّه ما صغّر الله جل جلاله تصغيرهم شيء)[٢٧].

٣- العلاّمة المجلسي قال: (اعلم أن الغلو في النبي ﷺ والأئمّة عليهم السلام إنّما يكون

بالقول بألوهيّتهم أو بكونهم شركاء لله تعالى في المعبوديّة أو في الخلق أو الرزق، أو أنّ الله تعالى حلّ فيهم أو اتّحد بهم، أو أنهّم يعلمون الغيب بغير وحي أو إلهام من الله تعالى، أو بالقول في الأئمّة عليهم السلام أنهّم كانوا أنبياء، أو القول بتناسخ أرواح بعضهم إلى بعض، أو القول بأنّ معرفتهم تُغني عن جميع الطاعات ولا تكليف معها بترك المعاصي والقول بكلٍّ منها إلحاد وكفر وخروج عن الدِّين، كما دلّت عليه الأدلّة العقليّة والآيات والأخبار السالفة وغيرها. قد عرفت أنّ الأئمّة عليهم السلام تبرّؤوا منهم وحكموا بكفرهم وأمروا بقتلهم، وإن قرع سمعك شيء من الأخبار الموهمة لشيء من ذلك، فهي إمّا مؤوّلة أو هي من مفتريات الغلاة)[٢٨].

٤- الشيخ الأنصاري، قال: (وأمّا الغلاة، فلا إشكال في كفرهم؛ بناءً على تفسيرهم بمن يعتقد ربوبيّة أمير المؤمنين عليه السلام أو أحد الأئمة عليهم السلام)[٢٩].

٥- الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء[٣٠] قال في معرض حديثه عن الغلاة ومقالاتهم: (وأمّا الشيعة الإماميّة وأئمّتهم عليهم السلام فيبرؤون من تلك الفرق براءة التحريم... ويبرؤون من تلك المقالات ويعدّونها من أشنع الكفر والضلالات، وليس دينهم إلاّ التوحيد المحض وتنزيه الخالق عن كلّ مشابهة للمخلوق)[٣١].

٦- الشيخ المظفر[٣٢] قال: (لا نعتقد في أئمتنا عليهم السلام ما يعتقده الغلاة والحلوليين (**كَبُرت كَلِمةً تَخرُجُ مِن أفوَاههم**) بل عقيدتنا الخاصة أنهم بشر مثلنا، لهم ما لنا، وعليهم ما علينا، وإنّما هم عباد مكرمون، اختصّهم الله تعالى بكرامته، وحباهم بولايته، إذ كانوا في أعلى درجات الكمال اللائقة في البشر من العلم والتقوى والشجاعة والكرم والعفّة وجميع الأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة، لا يدانيهم أحدٌ من البشر فيما اختصوا به)[٣٣].

٧- السيد الخوئي قال: (الغلاة على طوائف فمنهم من يعتقد الربوبيّة لأمير المؤمنين أو أحد الأئمّة الطاهرين عليهم السلام، فيعتقد بأنّه الربّ الجليل وأنّه الإله المجسّم الذي نزل إلى الأرض، وهذه النسبة لو صحّت وثبت اعتقادهم بذلك، فلا إشكال في نجاستهم وكفرهم، لأنّه إنكار لألوهيّته سبحانه؛ لبداهة أنّه لا فرق في إنكارها بين دعوى ثبوتها لزيد أو للأصنام، وبين دعوى ثبوتها لأمير المؤمنين عليه السلام لاشتراكهما في إنكار ألوهيّته تعالى، وهو من أحد الأسباب الموجبة للكفر)[٣٤].

نكتفي بهذه الشهادات من كبار الطائفة الشيعية لما فيه تمام الغرض.

والخلاصة: فإن أهل البيت عليهم السلام وعلماء الإمامية كان موقفهم واضحًا وصريحًا من البراءة من الغلاة بكل صنوفهم وتوجهاتهم، وأنهم كفار مباح دمهم، وحذروا المسلمين عمومًا وأتباعهم خصوصًا من الانجرار وراء أفكارهم ومعتقداتهم.

١- عيون أخبار الرضا/الشيخ الصدوق/ج٢ص٢١٧.
٢- الأمالي/الشيخ الصدوق/ص٧٠٩.
٣- الخصال/الشيخ الصدوق/ص٦١٤.
٤- الاحتجاج/الشيخ الطبرسي/ج٢ص٢٣٣.
٥- الأمالي/الشيخ الطوسي/ص٦٥٠.
٦- عيون أخبار الرضا عليه السلام/ الشيخ الصدوق/ج٢ ص٢١٨.
٧- الأمالي/الشيخ الطوسي/ص٦٥٠.
٨- التوحيد/الشيخ الصدوق/ص٣٦٤.
٩- الكافي/للكليني/ج٨ص٢٥٤.

١٠ـ البحار/المجلسي/ج٢٥ص٢٧٠.
١١ـ هو راو بغدادي شيعي عاصر عددًا من الأئمة الاثني عشر عليهم السلام وروى عنهم، ويُعدّ من كبار الرواة الشيعة ومن الثقات عندهم، فقد عاصر الإمام الرضا والجواد والهادي والعسكري والمهدي.
١٢ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام/ الشيخ الصدوق/ ج٢ص٢١٩.
١٣ـ الأمالي/الشيخ الطوسي/ص٦٥٠.
١٤ـ بحار الأنوار/العلامة المجلسي/ج٢٥-ص٢٨٩.
١٥ـ رجال الكشي/الشيخ الطوسي/ج٢ص٥٩٢.
١٦ـ م.ن
١٧ـ الكافي/للكليني/ج٧ص٢٥٩.
١٨ـ رجال الكشي/الشيخ الطوسي/ج١ص٢٨٨.
١٩ـ م.ن/ج٢ص٧٧٨.
٢٠ـ م.ن/ج٢ص٥٨٤.
٢١ـ المفوضة الذين يقولون: ليس لله في أعمال العباد مدخل أصلا كالمعتزلة.
٢٢ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام/ج٢ص٢١٩.
٢٣ـ م.ن.
٢٤ـ الخصال/الشيخ الصدوق/ص٧٢.
٢٥ـ الأمالي/الشيخ الطوسي/ص٦٥٠.
٢٦ـ تصحيح اعتقادات الإماميّة- الشيخ المفيد- ص١٣١.
٢٧ـ الاعتقادات في دين الإماميّة: - الشيخ الصدوق-ص٩٧.
٢٨ـ بحار الأنوار- الشيخ محمد باقر المجلسي- ج٢٥ - ص ٣٤٦.
٢٩ـ كتاب الطهارة - الشيخ الأنصاري - ج ٥ - ص ١٤٩ – ١٥٠.
٣٠ـ الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء هو عالِم شيعي نال رتبة المرجعية للطائفة ولد في مدينة النجف الأشرف سنة ١٢٩٤ هـ وهو من عائلة علمية عريقة شاركت مشاركة فعالة في صنع تاريخ النجف العلمي، حيث تزعمت الحركة الدينية فيها نحو مائة وثمانين سنة منذ هجرة جدها الأعلى الشيخ خضر بن يحيى المالكي إلى النجف، والذي خلفه نجله الشيخ جعفر الكبير صاحب كتاب كشف الغطاء المعروف، كانت سنة وفاته ١٣٧٣هـ، ودفن بمقبرة وادي السلام في مدينة النجف.
٣١) أصل الشيعة وأصولها- الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء- ص ١٧٤ ١٧٥.
٣٢ـ الشيخ محمد رضا المظَفر هو فقيه شيعي عراقي ولد سنة ١٣٢٢ هـ . وترعرع في أحضان أسرة علمية برزت على الساحة الدينية منذ أواسط القرن الثاني عشر الهجري، والعروض والفلسفة، وكان من مدرّسي أسفار الملا صدرا الفلسفية المعروفين أسس كلية الفقه حيث تخرج منها الكثير من العلماء امثال السيد محمد تقي الحكيم والشيخ أحمد الوائلي وغيرهم وكانت سنة وفاته ١٣٨٣ هـ .
٣٣ـ عقائد الإمامية- محمد رضا المظفر-ص ١٠٢.
٣٤ـ التنقيح في شرح العروة الوثقى- السيد الخوئي-ج ٣ -ص ٧٣.

آليات الحجاج اللغوية في رسائل الإمام الحسن عليه السلام روابط التعليل والعطف الحجاجي أنموذجان:

د. عبد الإله العرداوي
كلية التربية الأساسية/جامعة الكوفة

الروابط الحجاجية:

ينابيع ارتبط مفهوم الروابط في عدة دراسات بالمباحث النحوية والدلالية من دون النظر إلى وظيفتها الحجاجية والتداولية، إذ عدّ بعض الدراسين (إنّ دورها لا يتجاوز الربط بين الجمل والقضايا، أما بُعدها الحجاجي والتداولي فقد برز مع ديكرو في إطار صياغته للتداولية المدمجة، وهي النظرية التداولية التي تشكل جزءًا من النظرية الدلالية)[1]، إذ لم يغفل ديكرو وزميله في أثناء صياغتهما لـ (النظرية الحجاجية في اللغة) هذا الجانب المهم الذي يتمركز في أبنية اللغة بوصفها ظاهرة لغوية مهمة جدًا لها ارتباط بطريقة مباشرة في توجيه الحجاج من خلال إحداث الانسجام داخل الخطاب، والدفع باتجاه تحقيق الإقناع عبر استمالة المتلقي وتوجيهه نحو الغاية التي يريدها المتكلم بمعنى أنها عناصر لغوية تلعب دورًا أساسيًا في اتساق النص وانسجامه، وربط أجزائه شكلًا ومضمونًا من أجل تحقيق الوظيفة التوجيهية الحجاجية للملفوظات[2].

وبحسب تصور ديكرو فقد أشار شكري المبخوت إلى تنوع أشكال الربط الحجاجي، بقوله: (إذا كانت الوجهة الحجاجية محددة بالبنية اللغوية، فإنها تبرز في مكونات ومستويات مختلفة من هذه البنية، فبعض هذه المكونات يتعلق بمجموع الجملة، أي هو عامل حجاجي في عبارة ديكرو، فيقيدها بعد أن يتم الإسناد فيها، ومن هذا النوع نجد النفي والاستثناء المفرغ والشرط والجزاء وما إلى ذلك مما يغيرّ قوة الجملة دون محتواها الخبري، ونجد مكونات أخرى ذات خصائص معجمية محددة تؤثر في التعليق النحوي، وتتوزع في مواضع متنوعة من الجملة الحجاجية اللغوية، ومن هذه الوحدات المعجمية حروف الاستئناف بمختلف معانيها، والأسوار (بعض، كل، جميع) وما اتصل بوظائف نحوية مخصوصة كحروف التقليل، أو ما تخوض لوظيفة من الوظائف مثل (قط) أو (أبدًا)[3].

ومن هنا ميّز أبو بكر العزاوي بين الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية

(فالروابط الحجاجية تربط بين قولين أو بين حجتين على الأصلح (أو أكثر) وتسند لكل قول دورًا محددًا داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة)[٤].

كما فصّل العزاوي القول في طبيعة هذه الروابط وقسمها على أقسام هي[٥]:

ـ الروابط المدرجة للحجج (حتى، بل، لكن، مع ذلك، لأن ...).

ـ الروابط المدرجة للنتائج (إذن، لهذا، بالتالي ...).

ـ الروابط التي تدرج حججاً قوياً (حتى، بل، لكن، لا سيما ...).

ـ روابط التعارض الحجاجي (بل، لكن، مع ذلك ...).

ـ روابط التساوق الحجاجي (حتى، لا سيما ...).

من خلال ما سبق تبيّن أن الروابط اللغوية تسهم في انسجام الخطاب وتماسكه من خلال ربطها بين القيمة الحجاجية لقول ما وبين النتيجة، أي الربط بين قضيتين وترتيب أجزاء القول، ومنحها القوة المطلوبة بوصف هذه الأشياء حججًا في الخطاب[٦].

لقد أثرت هذه الروابط تأثيرًا كبيرًا في أدلجة الحجاج في رسائل الإمام الحسن عليه السلام بالخاصية الإقناعية والتأثيرية وهذا ما سنراه في الإطار التطبيقي.

١- روابط التعليل الحجاجي:

الرابط الحجاجي المتمثل بـ(لام التعليل):

من أدوات الربط التي تدخل على الفعل المضارع فيكون ما بعدها علة لما قبلها، ويقال لهذه اللام: لام العلة، ولام السبب، ولام كي، لأن معنى التعليل فيها راجع إلى معنى الاختصاص. فإذا قلنا: جئتك للإكرام، دلت اللام على أن المجيء مختص بالإكرام إذا الإكرام سببه دون غيره[٧] فهذا الرابط يستعمله الإمام الحسن عليه السلام من أجل التبرير أو التعليل لفعله فهو نتيجة الدعوى التي يقصدها المرسل، فعليه هي من الروابط التي تربط بين النتيجة والحجة لدعم النتيجة وتبريرها، ومن ذلك قوله عليه السلام: (فإن الله جلّ جلاله، بعث محمدًا رحمة للعالمين، ومنّة للمؤمنين وكافة للناس أجمعين لينذر من كان حيًّا، ويحق القول على الكافرين)[٨].

ويمكن تحليل المثال حجاجيًا كالآتي:

النتيجة: بعث محمدًا رحمة للعالمين، ومنة للمؤمنين، وكافة للناس أجمعين.

الرابط الحجاجي: لام التعليل.

الحجة: لينذر من كان حيًّا.

فالرابط هنا قد تموضع بعد التصريح بالحجة (لينذر من كان حيًا) وجاء مرتبطًا بالنتيجة (بعث محمدًا رحمة للعالمين، ومنّة للمؤمنين، وكافة للناس أجمعين) من أجل تعليل الإنذار وتبريره بما يوجه القول إلى الدلالة الإثباتية الناجعة في قلوب المؤمنين.

ومنه قوله عليه السلام: (فوالله ما لك خير أن تلقى الله من دمائهم بأكثر مما أنت لاقيه به، وادخل في السلم والطاعة، ولا تنازع الأمر أهله، ومن هو أحق به منك، ليطفئ الله النائرة بذلك، ويجمع الكلمة، ويصلح ذات البين)[٩]. فنلحظ البيان الحجاجي من خلال:

النتيجة ١: وادخل في السلم والطاعة.

النتيجة ٢: ولا تنازع الأمر أهله.

النتيجة ٣: ومن هو أحق به منك.

الرابط الحجاجي: لام التعليل.

حجة ١: يطفئ النائرة بذلك.

حجة ٢: ويجمع الكلمة.

حجة ٣: ويصلح ذات البين.

فالمثال أعلاه، بين متوالية حجاجية من

خلال الرابط (اللام) في توجيه القول وتبرير النتائج وتعليلها لبيان حجج الخطاب وإقامتها ومفادها: ما لك خير أن تلقى الله من دمائهم بأكثر مما لقيت وادخل في السلم والطاعة، ولا تنازع في الأمر أهله، ومن هو أحق به منك حتى يطفئ الله النائرة ويجمع الكلمة ويصلح ذات البين.

٢- روابط العطف الحجاجي:

تتسق مجموعة من الحروف ببعد حجاجي مهم من خلال ربطهما بين الحجج والنتائج والتنسيق بينهما من أجل التعليل والتفسير والتبرير، ومن هذه الروابط أحرف العطف: (ثم، الفاء، الواو) إذ أنها تقوم بدور حجاجي كبير، فالملاحظ أنها تقوم بالربط بين قضيتين (حجتين) لنتيجة واحدة، ووصفهما سلمًا حجاجيًا يُخضع هذه الحجج إلى تراتبية معينة بحسب قوتها في دعم النتيجة النهائية، فإنها تسهم أيضًا في بداعة المعنى المقصود ولاسيما إذا استعمل كل حرف واستغلت وظيفته في الموضع المناسب، فذلك يزيد من الإثبات على المعنى من جهة، ويلقي على الخطاب نوعًا من التنظيم والانسجام مرة أخرى[١٠]. وفي هذا المورد سنحاول أن نبين عمل هذه الروابط في رسائل الإمام الحسن عليه السلام، وبيان مستوى دعمها لعمل المحاججة:

أ- الرابط الحجاجي (ثم):

هي من حروف العطف التي تفيد التراخي والمهلة بين قضيتين متباعدتين، فضلًا عن إفادتها الترتيب بين الحجج، ومثالها قوله عليه السلام: (والله حسيبك فسترد عليه، وتعلم لمن عقبى الدار وبالله لتلقين عن قليل ربك، ثم ليجزينك بما قدمت يداك)[١١]، فالحجج التي أقامها الإمام عليه السلام متتالية ومرتبة تنسق وتنسجم مع ما ينبغي أن يكون عليه العبد في اللقاء الأخروي، وقد أفادت (ثم) في إقامة هذه التراتبية في عرض الحجج وبحسب سياقاتها، وحقيقة (ثم) هنا دالة على التراخي والمهلة للربط بين المعطوف والمعطوف عليه، وهذه المهلة مرتبطة بالزمن الحقيقي الفعلي مقترنًا بزمن نفسي مفعم بالأحاسيس التي ترتكز على الوعد والبشارة بالجنة والجزاء الأخروي.

ومنه قوله عليه السلام: (فرأت العرب أن القول ما قالت قريش، وأن الحجة في ذلك لهم، على من نازعهم أمر محمد لهم وسلمت إليهم ثم حاججنا نحن قريشًا بمثل ما حاججت به العرب)[١٢]. فنلحظ هنا أن الرابط (ثم) قد توسطت بين الأفعال للدلالة على التراخي وإعطاء المهلة، وكأن بين الأفعال المتناسقة تراخيًا زمنيًا مع إفادة الترتيب في إلقاء هذه الحجج.

ب ـ الرابط الحجاجي (الفاء):

من حروف العطف التي تضطلع بمهمة حجاجية، إذ أنها تربط بين النتيجة والحجة من أجل التعليل والتفسير فهي أداة ربط تفيد التعليل والاستنتاج في الخطاب الحجاجي التداولي، ومن ثم فهي تجمع بين قضيتين متباعدتين في الدلالة على التقارب بين الأحداث، فضلًا عن الدلالة على الترتيب والاتصال، وأكثر ورودها كون ما بعدها أو المعطوف بها متسببًا عما قبله[١٣].

ومن أمثلتها قوله عليه السلام: (وخرجت عن الدار المؤنسة، ففارقتها من غير قلى فاستودعتها للبلى)[١٤]، فهنا نجد الرابط (الفاء) قد عمل على الترتيب والاتصال/ التسارع في تلبية الدعوى (الخروج) من

دون مهلة، إذ أفادت التعقيب مباشرة خلافًا لما تفيده (ثم) من معنى التراضي فكان ما قبلها علّة وسببًا لما بعدها.

ومنها قوله عليه السلام: (فإنك عمدت إلى رجل من المسلمين، له ما لهم، وعليه ما عليهم، فهدمت داره، وأخذت ماله، وحبست أهله وعياله، فإن أتاك كتابي هذا فابن له داره)[١٥]، فنلحظ فيه أن (الفاء) قد ربط بين الحجة والنتيجة فكأن ما بعدها من حجة قد عللت وفسرت النتيجة التي سبقت الرابط، وكان لتعاضد (الواو) معها في سياق العبارات سبيلًا لمزيد من الاتساق التداولي وأدلجة الأنساق المعرفية.

ومنه قوله عليه السلام: (وليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد لأحد ـ من بعده ـ عهدًا بل يكون الأمر للحسن من بعده، فإن حدث به حدث فلأخيه الحسين)[١٦]، إذ يتمحور التعقيب الحجاجي في (الفاء) عن مغزى عقدي/الخلافة الذي يرتبط بقضايا مصيرية تتحكم فيها حيثيات معرفية تقتضي في الظاهر (الأنا ـ الإمام الحسن عليه السلام) الصفاء الروحي، ومراعاة مصالح الأمة الإسلامية بينما في المضمر (الآخر ـ معاوية بن أبي سفيان) الفراغ الروحي ومراعاة المصالح الشخصية، فدلالة النتيجة المضمرة/نكث الصلح واردة في علم الإمام الحسين عليه السلام/ الغيب، لكن إرادة الواقع المألوف ضرورة للمؤتلف والمختلف/الناس من أجل تثبيت الحقائق.

ج ـ الرابط الحجاجي (الواو):

يشير هذا الرابط إلى وظيفة الجمع بين قضيتين (حجتين) ويستعمل حجاجيًا بوصفه رابطًا عاطفيًا يعمل على ترتيب الحجج ووصل بعضها بالبعض الآخر، بل يعمل على رص الحجج وتماسكها وتقويتها، فضلًا عن التدرجية أو السلمية في ترتيب الحجج وعرضها[١٧].

ومن الشواهد في نص رسائل الإمام الحسن عليه السلام، قوله عليه السلام: (لا أحسبك تحظى بما تذكر غير قدرك الحقير، ونسبك الدخيل، ونفسك الدنية الحقيرة التي آثرت الباطل على الحق، وقنعت بالشبع والدني من الحطام الفاني)[١٨].

فالرابط الحجاجي (الواو) قام بالربط والوصل بين الحجج، وعمل أيضًا على ترتيبها، بالشكل الذي يضمن تقوية النتيجة المطروحة ودعمها، وهي (لا أحسبك تحظى بما تذكر) كما عمل على حصول الترادفية في النتيجة الواحدة، وهذا الربط النسقي بين الحجج قد أضفى سلّمية تدرّجية باتجاه الحجة الأقوى بشكل أفقي، أي عكس السلم الحجاجي.

(ن) لا أحسبك تحظى بما تذكر
ق٥ غير قدرك الحقير
ق٤ ونسبك الدخيل
ق٣ ونفسك الدنية الحقيرة
ق٢ وقنعت بالشبع
ق١ والدنيّ من الحطام الفاني

وهنا يتضح أن الحجة الأولى هي الحجة الأقوى مقارنة بالحجج التي سبقتها لخدمة النتيجة المعروضة لورودها في أعلى السلم الحجاجي.

ومن شواهد (الواو) الحجاجية، قوله عليه السلام: (إن عليًّا لما مضى لسبيله رحمة الله عليه يوم قبض، ويوم منّ الله عليه بالإسلام، ويوم يبعث حيًّا ولّاني المسلمون الأمر من بعده)[١٩].

فالحجج المترادفة قد اتسقت واتحدت باتجاه دعم النتيجة المطروحة وتقويتها بقوة الرابط (الواو) الذي أفاد التعليل

والتبرير لمضمون النتيجة (أن عليًّا لما مضى لسبيله رحمه الله عليه) كما اشتغل الرابط على التراتبية، وإدراج الحجج بشكل أفقي بحيث يتضح أن الحجة الأولى هي الحجة الأقوى لخدمة النتيجة المطروحة لوقوعها في أعلى السلم الحجاجي.

(ن) أن عليًا لما مضى لسبيله رحمة الله عليه

ق١ يوم قبض

ق٢ ويوم منّ الله عليه بالإسلام

ق٣ ويوم يبعث حيًّا

١ـ معالم لدراسة تداولية حجاجية للخطاب الصحافي: ١٩١.

٢ـ ينظر: رسائل الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة ـ دراسة حجاجية ـ: ٩٣ ـ ٩٤.

٣ـ ينظر: نظرية الحجاج في اللغة ضمن كتاب (أهم نظريات الحجاج): ٣٧٧.

٤ـ الحجاج في اللغة: ١٤.

٥ـ ينظر: الحجاج في اللغة: ٦٥.

٦ـ ينظر: رسائل الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة ـ دراسة حجاجية ـ: ٩٨.

٧ـ ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني: ١٠٩.

٨ـ مقاتل الطالبيين: ٣٥، وشرح نهج البلاغة: ٣٣/١٦، وأعيان الشيعة: ٥٦٧/١.

٩ـ شرح نهج البلاغة: ٣٤/١٦، وبحار الأنوار: ٤٠/٤٤، وكتاب الاربعين: ١٨٢.

١٠ـ ينظر: الحجاج في كتاب المثل السائر (رسالة ماجستير): ٩٣.

١١ـ مقاتل الطالبيين: ٣٥، وشرح النهج: ٣٥/١٦، وأعيان الشيعة: ٥٦٨/١.

١٢ـ مقاتل الطالبيين: ٣٥، وشرح النهج: ٣٤/١٦، وأعيان الشيعة: ٥٦٨/١.

١٣ـ ينظر: رسائل الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة ـ دراسة حجاجية ـ: ١٢٤.

١٤ـ مستدرك الوسائل: ٤٧٩/٢، والأمالي (الطوسي): ٢٠٣، وبحار الانوار: ٣٣٦/٤٣.

١٥ـ شرح نهج البلاغة: ١٩٤/١٦ والإيضاح: ٥٤٩، الغدير: ٣١/١١، وتاريخ مدينة دمشق: ١٩٨/١٩. وأنساب الإشراف: ٣/هامش ص٥٣، ووفيات الأعيان: ٣٦٢/٦، وأعيان الشيعة: ٥٧٣/١.

١٦ـ ينظر: مصادر الصلح المذكورة سابقًا.

١٧ـ ينظر: رسائل الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة ـ دراسة حجاجية: ١٢٣.

١٨ـ التشريف بالمنن في التعريف بالفتن (الملاحم والفتن): ٣٨٥.

١٩ـ مقاتل الطالبيين: ٣٦، وشرح نهج البلاغة: ٣٤/١٦، وكتاب الأربعين: ١٨١، وبحار الأنوار: ٤٠/٤٤، وأعيان الشيعة: ٥٦٧/١.

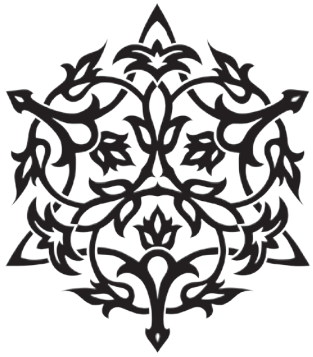

الغدير في الشعر العربي

الباحثة: سرى عبد الرؤوف عرار
كلية التربية /القرنة/جامعة البصرة

بداية احتل حديث الغدير موقعه المتميز في الشعر العربي منذ لحظة وقوع الحادثة إلى يومنا هذا، فلا تكاد تمر مناسبة إلّا وقد ذكر الغدير شعرياً بها.

فقد أكثر الشعراء في الحديث عن بيعة الغدير في شعرهم، حتى جمعهم العلامة الأميني في موسوعته الخالدة (الغدير في الكتاب والسنة والأدب)، وذكر فيه الشعراء بحسب القرون والأزمان، ومن أجل الاطلاع على نماذج من هذا الشعر وشعرائه، نمر مروراً سريعاً بشعر الغدير عند بعض الشعراء القدامى، وكذلك بعض الشعراء المحدثين، باعتبار أن ما كتب في هذا الموضوع لا يمكن حصره في بحث أو مقال لكثرته وتنوعه.

عند مراجعة أحداث التأريخ نجد أن أول من عمل على تخليد واقعة الغدير هو حسان بن ثابت، إذ نلحظ أنه بمجرد نزول الرسول محمد ﷺ من على المنبر وذلك بعد إعلانه لإمامة علي عليه السلام استجاز حسان بن ثابت رسول الله ﷺ في أن يفرغ ما نزل به الوحي في قالب الشعر، فأجاز له الرسول ﷺ ذلك، فقام وأنشد:

يناديهم يوم الغدير نبيهم
بخم وأسمع بالرسول مناديا
فقال: فمن مولاكم ونبيكم؟
فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت نبينا
ولم تلق منا في الولاية عاصيا
فقال له: قم يا علي؛ فإنني
رضيتك من بعدي إماما وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليه
فكونوا له أتباع صدق مواليا
هناك دعا اللهم؟ وال وليه
وكن للذي عادا عليا معاديا

فلما فرغ من قوله، قال له النبي ﷺ: (لا تزال يا حسان مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك)[1]، لذلك نرى مثلما يحصل في الوقت الحاضر عندما يصدر خبر هام من قبل شخص مهم تأخذه القنوات الإعلامية لنشره وكذلك كان الشعر ينشر الأحداث المهمة.

لقد كان أمير المؤمنين عليه السلام عالماً بأهمية الشعر ودوره في تخليد الوقائع العظيمة.

(وروى الواحدي عن أبي هريرة قال: (اجتمع عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منهم: أبو بكر، وعمر وعثمان وطلحة والزبير والفضل بن عباس وعمار وعبد الرحمن بن عوف وأبو ذر والمقداد وسلمان وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم أجمعين، فجلسوا وأخذوا في مناقبهم فدخل عليهم علي فسألهم: فيم أنتم؟ قالوا: نتذاكر مناقبنا مما سمعنا من رسول الله، فقال علي: اسمعوا مني ثم أنشأ يقول:

لقد علم الأناس بأن سهمي
من الإسلام يفضل كل سهم
وأحمد النبي أخي وصهري
عليه الله صلى وابن عمي
وإني قائد للناس طرًا
إلى الإسلام من عرب وعجم
وقاتل كل صنديد رئيس
وجبار من الكفار ضخم
وفي القرآن ألزمهم ولائي
وأوجب طاعتي فرضًا بعزم
كما هارون من موسى أخوه
كذا أنا أخوه وذاك اسمي
لذاك أقامني لهم إمامًا
وأخبرهم به بغدير خم
فمن منكم يعادلني بسهمي
وإسلامي وسابقتي ورحمي؟
فويل ثم ويل ثم ويل
لمن يلقى الإله غدا بظلمي
وويل ثم ويل ثم ويل
لجاحد طاعتي ومريد هضمي
وويل للذي يشقي سفاها
يريد عداوتي من غير جرمي)[٢].

فلولا معرفة الإمام علي عليه السلام بأهمية الشعر وقدرته العجيبة على الانتشار، وسحره في حفظ الوقائع والتراث والأنساب لما قاله عليه السلام، ولكنه كان يعلم بأن للشعر مكانة عند العرب في توثيق المناقب والمآثر.

عندما نقول الشعر الفصيح فنحن نقصد بذلك مجموعة الشعراء القدامى تقريباً الذين عاشوا وعاصروا اللغة العربية الفصيحة وعملوا على جعل شعرهم صحيفة لنقل واقعة الغدير إلى وقتنا الحالي ومن هؤلاء: أبو المستهل الكميت الذي قال:

نفى عن عينك الأرق الهجوعا
وهم يمتري منها الدموعا
دخيل في الفؤاد يهيج سقمًا
وحزنًا كان من جذل منوعا
وتوكاف الدموع على اكتئاب
أحل الدهر موجعه الضلوعا
ترقرق أسحما دررًا وسكبًا
يشبه سحها غربًا هموعا
لفقدان الخضارم من قريش
وخير الشافعين معًا شفيعا
لدى الرحمن يصدع بالمثاني
وكان له أبو حسن قريعا
حطوطًا في مسرته ومولى
إلى مرضاة خالقه سريعا
وأصفاه النبي على اختيار
بما أعيى الرفوض له المذيعا
ويوم الدوح دوح غدير خم
أبان له الولاية لو أطيعا
ولكن الرجال تبايعوها
فلم أر مثلها خطرًا مبيعا

فلم أبلغ بها لعنًا ولكن
أساء بذاك أولهم صنيعا
فصار بذاك أقربهم لعدلٍ
إلى جورٍ وأحفظهم مضيعا
أضاعوا أمر قائدهم فضلوا
وأقومهم لدى الحدثان ريعا
تناسوا حقه وبغوا عليه
بلا ترة وكان لهم قريعا
فقل لبني أمية حيث حلوا
وإن خفت المهند والقطيعا
ألا أف لدهر كنت فيه
هدانا طائعًا لكم مطيعا
أجاع الله من أشبعتموه
وأشبع من بجوركم أجيعا
ويلعن فذ أمته جهارًا
إذا ساس البرية والخليعا
بمرضي السياسة هاشمي
يكون حيًا لأمته ربيعا
وليثًا في المشاهد غير نكس
لتقويم البرية مستطيعا
يقيم أمورها ويذب عنها
ويترك جدبها أبدًا مريعا[3]

في حين قال السيد الحميري:

يا بايع الدين بدنياه
ليس بهذا أمر الله
فارجع إلى الله وألق الهوى
إن الهوى في النار مأواه
من أين أبغضت عني الرضى
وأحمد قد كان يرضاه
جهدك أن تسلبه اليوم ما
كان رسول الله أعطاه
من ذا الذي أحمد من بينهم
يوم غدير الخم ناداه
أقامه من بين أصحابه
وهم حواليه فسماه
هذا علي بن أبي طالب
مولى لمن قد كنت مولاه
فوال من والاه يا ذا العلى
وعاد من قد كان عاداه[4]

في حين قال أبو الطيب المتنبي في غدير خم:

إني سألتك بالذي
زان الإمامة بالوصي
وأبان في يوم الغدير
لكلّ جبّار غوي
فضل الإمام عليهم
بولاية الربّ العلي[5]

وكذلك قال قيس بن سعد بن عبادة:

قلت لما بغى العدو علينا
حسبنا ربنا ونعم الوكيل
حسبنا ربنا الذي فتح البصـ
ـرة بالأمس والحديث طويل

ويقول فيها:

وعلي إمامنا وإمام
لسوانا أتى به التنزيل
يوم قال النبي: من كنت مولاه
فهذا مولاه خطب جليل
إنما قاله النبي على الأمة
حتم ما فيه قال وقيل[6]

في حين قال دعبل الخزاعي:

ولو قلدوا الموصى إليه أمورها
لزمت بمأمون عن العثرات
أخي خاتم الرسل المصفى من القذى
ومفترس الأبطال في الغمرات
فإن جحدوا كان (الغدير) شهيده
وبدر وأحد شامخ الهضبات[7]

فهذه مجموعة من الأبيات التي تناولت واقعة الغدير وجعلتها محل خلود واهتمام من قبل مجموعة من فحول شعراء العربية.

ولم يقتصر شعر الغدير على الشعراء

المتقدمين فقط، وإنما تصدى المتأخرون لتحمل هذه المسؤولية ألا وهي استمرار واقعة الغدير عبر الأجيال، فمثلًا قول الشاعر الدكتور مصطفى جمال الدين:

ظمئ الشعر أم جفاك الشعور
كيف يظمأ من فيه يجري الغدير
كيف تعنو للجدب أغراس فكر
لعلي بها تمت الجذور
نبتت بين (نهجه) وربيع
من بنيه غمر العطاء البذور
وسقاها نبع النبي، وهل بعد
نمير القرآن يحلو نمير؟
فزهت واحة، ورفت غصون
ونما برعم، ونمت عطور
وأعدت سلالها، للقطاف
الغض منا، قرائح وثغور
هكذا يزدهي ربيع علي
وتغني على هواه الطيور
شربت حبه قلوب القوافي
فانتشت أحرف، وجنت شطور[8]

كان للشعر دور كبير في عكس أهمية هذه الواقعة يمكن أن نستعرضها من خلال النقاط الآتية:

١-أدت كثرة الشعر الذي قيل في الغدير إلى لفت الانتباه إلى هذه الظاهرة العظيمة وخاصة من قبل الجانب الأدبي، فبعد أن كانت الدراسات الأدبية مقتصرة في الشعر على دراسة الأطلال والشعر الجاهلي وجدت أمامها منبعاً غزيراً من الأشعار تناولت هذه الواقعة بكل تفاصيلها.

٢- أدى الشعر إلى حفظ أحداث هذه الواقعة وتناقلها عبر الأجيال كما عمل على الإشارة إلى أهمية وعظمة صاحب هذه الواقعة ألا وهو أمير المؤمنين عليه السلام.

إن واقعة الغدير من الوقائع العظيمة، وقد نالت شهرتها لأنها بداية الإمامة ونهاية النبوة، ولعظم هذه الواقعة كان لا بد أن تخلد عبر الأجيال والازمان، لذلك تعرضت لحفظها أهم وسائل الحفظ من ذلك الوقت وإلى الآن، ألا وهما القرآن الكريم والشعر العربي.

إنّ الشعر العربي كان وسيلة إعلام ذلك العصر، لأن الشعر سهل الحفظ ويدل على فصاحة قائله، لذلك عمل على خلود هذه الواقعة من خلال مجموعة من الأبيات نظمت في السابق ولا زالت تنتظم من أجل الجيل اللاحق، ومن هنا أثبتت هذه الواقعة خلودها وأصبح الغدير يردد في الأصداء.

المصادر:

١ـ أقسام المولى/الشيخ المفيد/ص٧.
٢ـ بحار الأنوار/ج٣٤/ص٤٤٢.
٣ـ الغدير: ٢ / ١٨٠.
٤ـ المناقب ابن شهراشوب/ج٢ص٢٣٤.
٥ـ بغية الطلب/ابن العديم الحلبي/ج٢ص٦٧٦.
٦ـ أقسام المولى/الشيخ المفيد/ص٣٦.
٧ـ الغدير/الأميني/ج٢ص٣٥٠.
٨ـ القصيدة الغديرية للشاعر السيد مصطفى جمال الدين رحمه الله.
www.mrsawalyeh.comمنتديات مرسى الولاية - منتديات الأدبية - مرسى الأدب العام.

فَضلُ بَيتِ اللهِ الحَرام

* قال تعالى: (إنَّ أوَّلَ بَيت وُضِعَ لِلنّاسِ لَلَّذي بِبَكَّةَ مُبارَكًا وهُدًى لِلعالَمينَ)
(آل عمران:٩٦)

* وقال سبحانه: (وإذ جَعَلنَا البَيتَ مَثابَةً لِلنّاسِ وأمناً واتَّخِذوا مِن مَقامِ إبراهيمَ مُصَلًّى وعَهِدنا إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ أن طَهِّرا بَيتِيَ لِلطّائِفينَ والعاكِفينَ والرُّكَّعِ السُّجودِ)

(البقرة:١٢٥)

* قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أول مسجد وضع على الأرض المسجد الحرام، ثم المسجد الأقصى بعده بأربعين سنة.
(ذكرى الشيعة/ الشهيد الأول/ ج٣ص١١٥)

* وقال الإمام عليّ عليه السلام – في قَولِهِ تَعالى: (إنّ أوَّلَ بَيت وُضِعَ لِلنّاسِ لَلَّذي بِبَكَّةَ مُبارَكًا): كانَتِ البُيوتُ قَبلَهُ، ولكِن كانَ أوَّلَ بَيت وُضِعَ لِعِبادَةِ الله.
(تفسير ابن أبي حاتم الرازي: ج٣ص٧٠٧)

* وسَأَلَ رَجُلٌ الإمام عَلِيّاً عليه السلام عَن (أوَّلَ بَيت وُضِعَ لِلنّاسِ لَلَّذي بِبَكَّةَ مُبارَكًا): أهُوَ أوَّلُ بَيت بُنِيَ فِي الأَرضِ؟ قالَ عليه السلام: لا، ولكِنَّهُ أوَّلُ بَيت وُضِعَ فيهِ البَرَكَةُ والهُدى ومَقامُ إبراهيمَ، ومَن دَخَلَهُ كانَ آمِنًا.
(المستدرك / الحاكم النيسابوري:ج٢ص٢٩٢)

* وقال الإمام الباقر عليه السلام: (إنَّ أوَّلَ بَيت وُضِعَ لِلنّاسِ لَلَّذي بِبَكَّةَ مُبارَكًا)، فَأَوَّلُ بُقعَة خُلِقَت مِنَ الأَرضِ الكَعبَةُ، ثُمَّ مُدَّتِ الأَرضُ مِنها.
(من لا يحضره الفقيه: ج٢ص٢٤١)

القصة القصيرة:

ورزقكم في السماء

كمال السيد
كاتب وروائي

ينابيع

كان يمسك بيد زوجته وبيده الأخرى عدسة تصوير، ويتمشيان على ذلك الساحل الجميل من سواحل (مدغشقر).

قدما لقضاء شهر العسل واتفقا على أن يمضيا ثلاثة أيام فقط، لتواضع دخله.

عليهما أن يبدآ حياتهما المشتركة من الصفر تقريباً!

طلب من زوجته أن تتمشى بمفردها على الساحل ليقوم بتصويرها، راحت تتمشى وهي تبتسم، ثم توقفت عند صخرة وأدارت ظهرها إلى مياه المحيط.

كانت تنظر إلى زوجها بسعادة وأمل، أما هو فقد ركز عدسة التصوير على وجهها وكان يفكر في المستقبل، سوف يعمل ويعمل ويكسب رزقه ليوفر لزوجته حياة كريمة، ربما سيعانيان من الفقر في بدايات حياتهما المشتركة، ولكنه سيبذل كل جهده ويعوض عن هذه المعاناة.

كان الأفق صافياً وقد التقت زرقة المياه مع زرقة السماء في ذلك الساحل الذي يبعد عن العاصمة ثلاثين كيلومتراً..

وفيما كان الشاب يواصل تصويره للشواطئ الحالمة ظهر في الأفق جسم كبير، فحرك عدسته بهدوء، فإذا بها طائرة ركاب ضخمة تترنح في تحليقها يميناً وشمالاً قبل أن ترتطم بالمياه، وينفصل جناحها الأيمن بعيداً.. ظل يتابع التصوير إلى أن غطست تماماً!!

انتبهت الفتاة إلى جهة التصوير ورأت اللحظات الأخيرة من ارتطام الطائرة بالمياه..

راحا ينظران إلى النقطة التي غطست فيها الطائرة واختفى كل شيء عن سطح البحر وكأن شيئاً لم يكن، ترى كم عدد ركابها؟! هل غرقوا جميعاً؟! ربما يظهر أحدهم ويشق طريقه من الأعماق إلى السطح! تألما لمصير الضحايا..

مرّت ساعة ولكن لا شيء.. فجأة تناهت إليهما أصداء صفارات سيارات الإسعاف التي هرعت إلى مكان الحادث! ثم وصل مراسلون يعملون لدى وكالات الأنباء،

كانوا يبحثون عمّن يزودهم بالمعلومات عن كيفية سقوط الطائرة، فوجئ الجميع بما قال الشاب:

ـ إنني احتفظ بشريط كامل يصوّر كيفية سقوط الطائرة!

ـ تسابق المراسلون في تقديم العروض المغرية، ليفوز أحد المراسلين.

عندما قال:

ـ إنني على استعداد لتقديم مبلغ ستة عشر آلاف دولار أمريكي مقابل شراء الفلم حصرياً!

تضاعفت سعادة الزوجين الشابين، فهذا المبلغ يكفل بداية حياة زوجية كريمة وعيشٍ رغيد.

وصدق أمير المؤمنين عليه السلام في قوله:

(الرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك).

حكم ومواعظ:

من أقوال
الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

ـ العفو تاج المكارم.

- المعروف أفضل المغانم.

- التكبر يظهر الرذيلة.

- التواضع ينشر الفضيلة.

- الصفح أحسن الشيم.

- المودة أقرب الرحم.

- العقل ينبوع الخير.

- الجهل معدن الشر.

ـ العفو تاج المكارم.

- المعروف أفضل المغانم.

(عيون الحكم والمواعظ/ الليثي الواسطي/ص١٩)

أجوبة مسابقة العدد (٧٥)
وأسماء الفائزين

السـؤال الأول: ب ـ محمد جواد عواد البغدادي.

السـؤال الثاني: ب ـ الشوكة التي تكون في رجل الغراب.

السـؤال الثالث: ب ـ السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي.

السـؤال الرابع: أ- ابن السكيت .

السؤال الخامس: ب ـ علي بن سويد.

السؤال السادس: ج ـ الإمام علي بن الحسين.

السـؤال السابع: أ ـ موسى بن اسماعيل بن الكاظم.

السـؤال الثامن: أ ـ آخر شهر جمادى الآخرة.

السـؤال التاسع: أ ـ ثلاثة أيام.

الفائز بالجائزة الأولى: فالح حسن علي / الحلة/ المهندسين.

الفائز بالجائزة الثانية: مهند سليم صالح / بغداد/ البياع.

الفائز بالجائزة الثالثة: قاسم محمد عباس/ بغداد/ الكاظمية.

على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم

ويسقط حق المطالبة بالجوائز بعد مرور ثلاثة أشهر من صدور العدد.

مسابقة العدد (٧٧)

١ سعيد بن جبير، من سادات التابعين، قال عنه ابن حبان: (كان فقيها، عابداً، فاضلاً، ورعاً) قتله الحجاج بن يوسف الثقفي ثم لم يمكث الحجاج إلا أياماً حتى مات بعد أن أصيب بعقله وهو يقول: ما لي ولسعيد بن جبير ما لي ولسعيد بن جبير، فمتى قتل سعيد؟

أ- سنة ٨٥هـ ب-سنة ٩٠ هـ ج- سنة ٩٥ هـ.

٢ الشيخ محمد جواد بن حسن بن طالب البلاغي، من أشهر علماء الشيعة، اضطلع بمهمة تأليف الكتب التي من شأنها مقارعة الأفكار المنحرفة ومجابهة العقائد الضالة ورد أصحاب الشبه الباطلة وكان من أهم مؤلفاته كتاب يقع في ثلاث مجلدات باحث فيها الأديان على أصولها المسلّمة عند منتحليها، فما اسم هذه الكتاب؟

أ- أنوار الهدى ب- الرحلة المدرسية ج-المصابيح

٣ قصيدة كتبها السيد الحميري الشاعر المعروف تطرق فيها لحادثة الغدير وقد رأى زيد بن الإمام الكاظم النبي يقرأ أبياتاً من تلك القصيدة هو يقول : أو لم أعلمهم (ثلاثاً)، فما البيت الذي يلي ما استشهد به النبي (ص)؟

أ- إذا توفيت وفارقتنا ** وفيهم في الملك من يطمع

ب- جعل الولاية بعده لمهذب ** ما كان يجعلها لغير مهذب

ج- فإن وليكم بعدي علي ** ومولاكم هو الهادي الوزير

٤ إمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام قال عنه صاحبه: حججت معه سنة فكان كلما هم بالتلبية انقطع الصوت في حلقه، فقلت: لابد أن تقول يا بن رسول الله فقال عليه السلام: أخشى أن يقول لي الله لا لبيك ولا سعديك، من هو الإمام؟

١. الإمام السجاد عليه السلام ب- الإمام الباقر عليه السلام ج- الإمام الصادق عليه السلام

كوبون المسابقة

ينابيع ٧٧

الاسم الثلاثي :العنوان:

جواب السؤال الأول

أ	
ب	
ج	

جواب السؤال الثاني

أ	
ب	
ج	

جواب السؤال الثالث

أ	
ب	
ج	

جواب السؤال الرابع

أ	
ب	
ج	

كوبون المسابقة

جوائز المسابقة

الأولى: ١٠٠,٠٠٠ دينار. الثانية: ٧٥,٠٠٠ دينار. الثالثة: ٥٠,٠٠٠ دينار. يتعين الفائز بإجراء القرعة.

شروط المسابقة

* الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط. * يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه(مسابقة مجلة ينابيع) مع الاسم الثلاثي الصريح والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة. ويخلافه تهمل الإجابات. * آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/ ذي الحجة/ ١٤٣٨هـ

جواب السؤال السابع	أ	ب	ج

جواب السؤال السادس	أ	ب	ج

جواب السؤال التاسع	أ	ب	ج

جواب السؤال الخامس	أ	ب	ج

جواب السؤال الثامن	أ	ب	ج

٥ ندب الإمام الرضا عليه السلام شيعته لزيارته في خراسان، بالرغم من صعوبة الزيارة ومشقة الطريق وقتذاك ولكن ضمن لزائره أن يحضره في مواقف ثلاث: إذا تطايرت الكتب يميناً وشمالاً، وعند الصراط وفي موقف ثالث، فما هو ذلك الموقف؟

١. عند نزول القبر ب- عند الميزان ج- عند المساءلة

٦ بشير الرحال، من أصحاب الإمام محمد الباقر عليه السلام، وسموه بشراً في بعض المواضع، وقد جاءه لقب الرحال لكثرة رحلاته بين حج بيت الله الحرام والغزو في سبيل نشر الإسلام في ربوع المعمورة فكم كانت رحلاته بين الحج والغزو؟

أ- ٥٠ رحلة ب- ٦٠ رحلة ج- ٧٠ رحلة

٧ علي العريضي، الابن الأصغر للإمام الصادق تركه طفلاً عند وفاته عليه السلام، ولما نشأ وكبر أصبح عالماً كبيراً، حدث عن أخيه الإمام موسى الكاظم عليه السلام، مات في زمن الإمام علي الهادي عليه السلام فكم إماماً أدرك منذ ولادته وحتى وفاته؟

أ- خمسة أئمة ب- أربعة أئمة ج- ثلاثة أئمة

٨ سفيان بن عيينة، من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، وقد روى عنه عليه السلام أنه قال في مواساة الإخوان بعضهم لبعض: (إنما سموا إخواناً لنزاهتهم عن الخيانة، وسموا أصدقاءً لأنهم يصادقوا حقوق المودة)، ففي أي مسجد سمع سفيان هذا الحديث من الإمام عليه السلام؟

أ- مسجد الشجرة ب- مسجد الخيف ج- مسجد الغمامة

٩ يا راكباً قف بالمحصب من منى ... واهتف بنازل خيفها والناهض
إن كان رفضاً حب آل محمد..... فليشهد الثقلان إني رافضي

أبيات للإمام الشافعي قالها للتعبير عن حبه لآل النبي المصطفى، فمن رواها عنه؟

أ- ربيع بن سليمان ب- محمد بن يوسف ج- أحمد بن سعيدالفارسي

قناة المنهاج الفضائية

MINHAJ TV CHANNEL

للحقيقة نهجها

www.minhaj-tv.com

info@minhaj-tv.com

التردد: 11641 أفقي | معدل الترميز: 27500

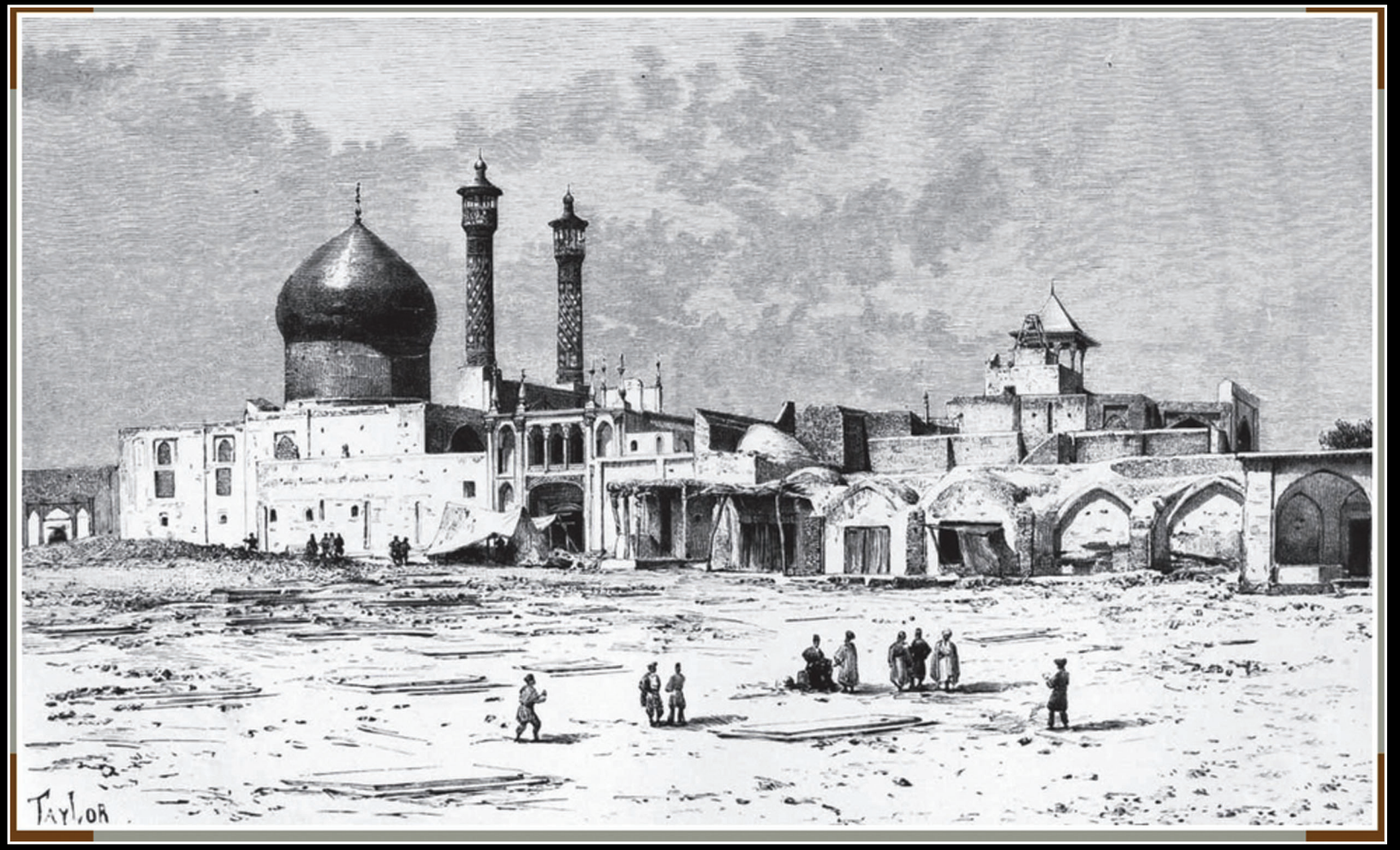

عتباتنا | لوحة فنية لمزار السيدة فاطمة المعصومة (القبة والصحن القديم) ١٢٩٨هج ـ الرسام جان ديولافوا